

مع هذا العدد رسالة الحج هدية

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة - العدد ٩٥ - غرة ذي القعدة ١٣٩٢ هـ - ٦ ديسمبر ١٩٧٢ م





سمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح عند وصوله الى مطار الكويت الدولي قادما من الولايات المتحدة الأمريكية ، ويرى سموه وسمو ولي العهد وعدد آخر من كبار المسؤولين في أعقاب نزول سموه من الطائرة .



احد ابواب الحرم المكي وقد  
اجتمعت فيه الى روعة الفن الاسلامي  
جلال الروحانية .

### الثمن

٥. فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	العراق
٥. فلسا	الاردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
دروهم وربع	المغرب
١ روبية	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعدن
١٥ قرشا	لبنان وسوريا
٤. مليما	مصر والسودان

الاشتراك السنوي للهيئات فقط

في الكويت ١ دينار  
في الخارج ٢ ديناران  
( او ما يعادلها بالاسرائيلي )  
اما الانفراد فيشترون راسا  
مع متعهد التوزيع كل في نظره

### عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي - وزارة  
الاوقاف والشئون الاسلامية .  
ص.ب : ١٣ كويت  
هاتف : ٤٢٨١٣٤ - ٤٢٢٠٨٨

## الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

المعد ٩٥

غرة ذي القعدة ١٣٩٢ هـ  
٦ ديسمبر ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية  
بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وابقاظ  
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية  
والسياسية

# الأوضاع العربية ومسئولية الحكام العرب

ألقى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد بتصريحات الى مؤبد صحيفة الاهرام القاهرية السيد زكريا نيل بمناسبة انعقاد لجنة وزراء الخارجية والدفاع العرب في الكويت . وقد تساءل سموه في بداية تصريحاته قائلا :

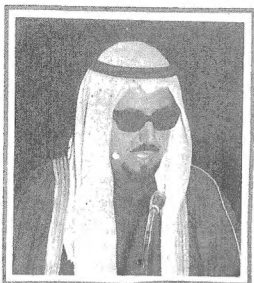
هل ينعقد هذا الاجتماع وينفض كما انفض غيره من الاجتماعات وتكون حصيلته الجبود الى اين نحن ذاهبون ؟ وهل انست في وجوهنا كل وسائل الممارسات الايجابية لمجابهة عدوان اسرائيل وعنفنا من الفترات والطاقت والوسائل ما نستطيع به ان نعمل وان نغرض وان نستخلص الحق العربي من مقتضيه ، ثم عاد سمو الشيخ جابر الاحمد فقال : من المسئول عن هذه الاوضاع التي اوشكت ان تؤثر في الانسان العربي وتطفئ فيه كل حماس ؟

وفيما يلي النص الكامل لتصريح سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء :

## نعم نستطيع ان نعمل ..

هكذا قال رئيس وزراء الكويت .. ولكن كيف ؟

الظروف الآن قد اختلفت ، والآن ماذا نطلب من مصر أكثر مما تتحملة من الابعاء اننا نؤيدها ونقف الى جانب رئيسها الرئيس أنور السادات ، ويكفي أن موقفه كان صريحا كل الصراحة أعلن على العرب أن المسئولية ليست مسئوليّة مصر وحدها ، ولكنها مسئوليّة الدول العربية كلها ، وان خطر اسرائيل قد تجاوز كل الحدود والحسابات ولذلك يجب أن تكون المجابهة جماعية ومحددة الالتزام .



مسمو

ولى العهد ورئيس

مجلس الوزراء

### اذن هل ترى أن قومية المعركة هي الاساس ؟

قال الشيخ جابر الاحمد : اننا نؤيد كل التأييد قومية المعركة ، نؤيدها فعلا والتزاما لا قولاً وتصريحاً بل اننى أرى أن كل من يخرج عن قومية المعركة أو يتصل منها خائن لقضيته ووطنه ، ولقد سجلنا التزامنا لقومية المعركة كتابة فى رسالة الى الأخ العقيد معمر القذافى رئيس مجلس الثورة الليبية ، ونعتبر أن كل دولة عربية وكل طاقة عربية مهما كانت ضآلتها عليها واجب فى معركتنا مع عدونا ، ولكن سؤالى الآن الى أين نحن ذاهبون ، هل ستبقى الدول العربية على هذه الحالة ، وان ينحصر دورها فى أن تسجل على إسرائيل كل تحركاتها ، وتكتفى من المجابهة بذكر تفاصيل مسهبة عن كل عدوان تشنه على أراضينا ؟ ما الذى دهانا وما هى الحلقة المفقودة التى أدت الى وضعنا هذا ؟ هناك من يهمهم أن تبقى الاوضاع على ما هى عليه الآن بين العرب واسرائيل ، وفى مقدمة ذلك الدول الكبرى ، التى لها مصالح فى استمرار هذه الاوضاع واذن علينا أن نسقط من حسابنا هؤلاء الذين لا يريدون لنا الا ما يريدونه هم والذى يتفق مع مصالحهم الذاتية .

ثم قال الشيخ جابر الاحمد : من المخجل لنا ولمسمعتنا العربية أن تضيق منا الوسائل وهي في يدنا ، نعم — قالها بقوة — توجد امكانيات عربية وطاقات عربية وأسلحة عربية تستطيع أن تقوم بدورها بكل كفاءة فاذا كانت مصر الرابضة في وجه العدوان وتجنّد مئات الالوف من شبابها تحت السلاح في مجابهة العدو ولا يستطيع طيرانها أن يصل الى مدى العمق في داخل اسرائيل ردا على ما تقوم به من اعتداءات متواصلة على الاجواء العربية الى حد السيطرة عليها فان جماعية مجابهة العدو تفرض علينا أن يكون هناك تكامل في قوتنا العسكرية هناك الاردن على حدود اسرائيل وهناك سوريا أيضا •  
ومن هناك يمكن تعويض القصور في الوصول الى عمق اسرائيل •

### نترك مقاعد الحكم

اذن ما هي الوسائل ، والكل ينتقد ، ولا يستطيع أن يقدم حلا أو مقترحا ؟ •• قال الشيخ جابر الاحمد : نقطة واحدة هي الاساس ، الثقة بين العرب وهذا العنصر مفقود بيننا ولا توجد ثقة بين الدول العربية بعضها البعض وهذه هي مشكلتنا التي أوصلتنا الى تلك الأوضاع المتدهورة كيف تتوافر الثقة فيما بيننا كانت هناك محاولات سابقة ولا تزال مستمرة لتوحيد الصف العربي ، وتصفية الجو وازالة الخلافات وقد نتجح هذه المحاولات ولكن من الذي يضمن ان يبقى للكلمة والاتفاق شرفه سواء كان مكتوبا أو غير مكتوب •

سؤال واحد نوجهه لأنفسنا : هل نحن جديرون بمسئولية الحكم وقيادة أمتنا الى النصر اذا كنا جديرين بذلك فلا يهمننا ونحن نخوض معركة تحرير وشرف ومصير أن نظل على مكاتبنا أو في مناصبنا يتحتم علينا أن ننزل

على إرادة الشعب العربي • لنحافظ على عنصر الحماس فيه ، وان نتحرك بأى عمل عربى جماعى له هدفه المحدد الذى نصل اليه فى صراعنا مع عدونا أما أن نتجمد هكذا فإن مصير العرب كله مهدد بكارثة لا يستطيع أحد أن يحيط بحجمها •

### المسئولية وتحديد المواقف

يقول الشيخ جابر الأحمد : اننا لا نريد أن نسبق الحوادث قبل أن تتضح النتائج فى اجتماع الكويت ، ولكننا سنقف على حافة الهاوية ، اذا تكررت تجربة الاجتماعات السابقة ، والتعليمات صريحة ومحددة لوفد الكويت فى هذا الاجتماع ، سنلتزم التزاما كاملا بتنفيذ ما نتفق عليه مع أشقائنا داخل خطة عربية ، وبدون أية تحفظات ، ولذلك فإننا نلح أن يكون هذا الاجتماع وما يتوصل اليه على مستوى الاخطار ، وأن تحدد فيه المواقف العربية والمسئولية بكل وضوح ، وانه فى سبيل الهدف القومى ومستقبل الشعب العربى لا يهمنا سوى الاتفاق العربى والوصول الى تخطيط محدد لهدف محدد فى أى تجمع عربى يكون فى الكويت أو فى خارج الكويت •• اننى أؤكد على ذلك حتى لا يتصور أحد أن مجرد انعقاد هذا الاجتماع فى الكويت سيكون دعاية للكويت وما قيمة أى دعاية لأى بلد عربى لا تزال تجثم على صدره الهزيمة والاحتلال •

ثم قال رئيس وزراء الكويت : يجب علينا جميعا أن نحذر من وقوع شىء هام فى مجال تحركنا السياسى ، وهو أن أصدقائنا سينصرفون عن قضيتنا بعد أن وقفوا موقف التأييد لحقنا ثم طال بهم الانتظار ولم يجدوا من أصحاب الحق سوى الحيرة والتخاذل والجمود ، فمضى نتحرك وتغيير الظروف الدولية يفرض علينا أن نحسم صراعنا مع عدونا مهما كان حجم التضحيات •

# الايمان والعمل



للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن موقوفا :  
 « ليس الايمان بالتبني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وان قوما اتهم امانى  
 المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نعمن الظن بالله تعالى : وكذبوا  
 لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل » .  
 وأخرج البخارى في تاريخه عن انس مرفوعا :  
 « ليس الايمان بالتبني ولا بالتحلى ولكن ما وقر في القلب ، فأما علم القلب فالعلم  
 النافع وعلم اللسان حجة على بنى آدم » .

الايمان هو التصديق بما علم من الدين بالضرورة تصديقا يستقر في القلب ،  
 وتظهر آثاره على الجوارح ، والذي يتصف بالايمان حقا يوقن بمعرفة الله تعالى  
 ايقانا لا يقبل الشك ، فيتحلى بمكارم الاخلاق ، ويظهر اثر ذلك في تهذيب النفس ،  
 واستفجاة العمل ، فلا يجديه نفعا ان يقول : ابنى مؤمن وهو خبيث الخيرة ،  
 اسد الطوبى ، كزبه الاداء ، والحديث الشريف يدعو الى العمل وينهى عن  
 التواكل والافتقار بالامانى الزائفة التى لا تحقق شيئا نافعا ، وكثيرا ما يهلك  
 الانسان شيعة انه حيث يخيّل اليه السراب ماء وظل السحاب واقيا من حماسة  
 الغيظ فيدع الحقائق الواقعة الى وادى الامانى الزائفة ، وتمضى الايام دون ان  
 يحصل على طلبته او يحقق رغبته ، والاسلام يعتمد في توجيهاته السامية على  
 العمل المثمر ، فمن زعم انه محسن الظن بالله فان شرع في تحقيق الصلة  
 الروحية القوية الدافعة الى الجد والمثابرة على فعل الخير كان احسان ظنه معينا  
 له على الدوام والثبات وجنى اطيب الثمرات ، واما من تواكل ولاذ باسباب الخمول  
 فان احسان ظنه بالله فى هذه الحالة خيال او خيال « بالمثانة التحتية فى الاولى  
 والموحدة فى الثانية » . . ومظهر الايمان الجاد يتجلى فى اداء وصايا الله لعباده  
 والبعد عن كل ما ينافيها ، وقد وضع القرآن الكريم تلك الوصايا وسردها احيانا  
 مجمعة واحيانا اخرى متفرقة ، كما وردت تلك الوصايا فى الكتب السماوية التى  
 سبقت الكتاب العزيز ، اذ هى تجمع اصول ما حرم الله على عباده فى الأقوال  
 والأعمال كما تشمل ما يقابلها من اصول الخير والفضائل ، وقد وردت متفرقة



هى كثير من سور المهران الكريم غورد بعضها فى سورة البقرة وسورة النساء وسورة النحل ، كما ورد لبعضها تفصيل فى سورة الاسراء ، ولكنها جمعت كاملة فى سورة الانعام حيث قال الله تبارك وتعالى « قل تعالى ائتم ما حرم ربكم عليكم ، ان لا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تتقون . ولا تقرّبوا مال اليتيم الا بالتي هى احسن حتى يبلغ اشده ، واوفوا الكيل والميزان بالقيسط ، لا تكلف نفسا الا وسعها ، واذا قتلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون ، وان هذا صراطي مستقيما فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » .

هذه هى الوصايا العشر كما وردت فى سورة الانعام ولكى يستطيع المسلمون الايام بها وادراك مراميها التى تثبت اركان الخير فى الارض وتنتشر السلام وتحبس العقبي فى الآخرة نفسرها فى ايجاز ، ففى تفسيرها زيادة على ما سبق توضيح الطريق للسالك المؤمن الذى لم تغره الامانى الكاذبة ، وانما تزود بالعمل بعد ان ادرك النتائج الطيبة لاحسان ظنه بالله فاحسن العمل فنقول والله ولى التوفيق .

« قل تعالى ائتم ما حرم ربكم عليكم » امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لعباد الله جميعا : اقبلوا على ابيّن لكم ما حرم ربكم عليكم فانه سبحانه هو الذى يحل ويحرم واتا مبلغ عنه باذنه فاسمعوا على هذه الوصايا وتمسكوا بها جاء فيها :

الوصية الاولى : « ان لا تشركوا بى شيئا » نهى عن الاشراك بالله لان الشرك هو الكفر وهو اشد المحرمات افسادا للعقل ، وهو طمس للفطرة السليمة ، فكل ما عدا الله سبحانه مخلوق لله وعبد له « ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا » فاعبدوه وحده بها شرعه على النسبة رسله لا حسب اهوائكم ولا اهواء احد من الخلق امثالكم .

الوصية الثانية : « وبالوالدين احسانا » واحسنوا للوالدين احسانا كاملا تاما لا تدخروا فيه وسعيا ولا تالوا فيه جهدا ، وهذا نهى عن الاساءة مهما صغرت ، وقد ورد فى سورة الاسراء قوله تعالى : « ولا تقل لهما اف » وفى سورة لقمان « ان اشكر لى ولوالديك » وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى العمل افضل ؟ « قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم : اى ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم اى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله » فقدم بر الوالدين على الجهاد فى سبيل الله الذى هو اكبر الحقوق العامة على الانسان ، لان حقوق الوالدين على ولدهما اعظم واجل عند الله من جميع حقوق الخلق عليه ، وعاطفة البنوة من اقوى غرائز الفطرة ، فمن قصر فى بر الوالدين والاحسان اليهما كان فاسد الفطرة مضيقا للحقوق جميعها فلا يرجى منه خير لاحد .

والوصية الثالثة : « ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم » فلا يجوز بحال ولا يحل ابدا ان تقتلوا اولادكم من الفقر الواقع بكم فعلا اى الفقر المتحقق الحاصل ، وفى آية اخرى وردت فى سورة الاسراء نهى عن قتل الاولاد خشية الفقر المتوهم اى غير الحاصل فعلا ، وانما يخاف حصوله لكثرة الاولاد قال تعالى : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياهم » وقدم هنا رزق الاولاد على رزق الاباء عكس آية الانعام ، فلا يباح باى حال الإقدام على هذا

المفعول المشائن لأن الله سبحانه هو الذى يرزق العباد ويفضن لهم ذلك فى صريح القرآن الكريم : « وفى السماء رزقكم وما توعدون ، غروب السماء والأرض إنه لحق مثلها انكم تعطون » « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » ولكن يجب السعى والكسب والجد فى الحياة ليحصل الرزق ، ويتحقق ، فالسما لا تمطر ذهبا ولا فضة . « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وحفت الآيات والأحاديث الشريفة على وجوب العمل لكسب القوت والحصول على ما يمكن الحصول عليه من العيش الحلال ، ولا يعترف الإسلام بالكسالى والأتكاليين ولا يقر أبدا السؤال غايلد العليا خير من اليد السفلى دائما ، وخيرات الأرض تكفى أهلها مهما تكاثروا غالذى خلق الأرض قدر فيها اقواتها وهو الحكيم العليم .

الوصية الرابعة : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وتطلق الفاحشة على ما ثبتت شدة قبحه عقلا وشرعا ، وما يرتكب الفاحشة الا العبيد عن معرفة الله تعالى وعن المعقول ، والفواحش التى يقتربها الجاهلون منها : الزنا واللواط وقذف المحصنات والمحصنات ، وكثير من الناس من يرتكب بعض الفواحش معلنا بها ، ومنهم من يأتيتها سرا بعيدا عن رقابة الناس ، اخرج ابن ابي حاتم عن ابي حازم انه سمع مولاة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مسألة الناس من الفواحش » وعن عمر بن حصين فيما أخرجه ابن ابي حاتم ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اريتكم الزانى والسارق وشارب الخمر ، ما تقولون فيهم ؟ قالوا الله ورسوله اعلم قال : هن فواحش وفيهن عقوبة » وعن عكرمة قال : « ما ظهر منها ظلم الناس وما بطن الزنا والسرقة » لأن الناس يفعلونها فى الخفاء وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحد اغير من الله ، من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال تعالى : « وذرنا ظاهر الاثم وباطنه » وفى سورة الاعراف : « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تتركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

الوصية الخامسة : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » نهى عن قتل النفس التى حرم الله قتلها بالإسلام او بالمهد او بالاستئمان ، روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة . وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما » وفى قول الله تعالى : « الا بالحق » اشارة الى ما يباح به قتل النفس شرعا وفى الحديث الشريف : « لا يحصل دم امرئ مسلم الا بأمر ثلاثة : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق » « ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » الاشارة الى الوصايا الخمس التى مروت وتليت فى الآية الكريمة ، والوصية معناها : ما يعهد الى الإنسان عمله من خير او ما يطلب اليه تركه من شر مع اقتران ذلك بما يرجى له من اثر ، والمعنى : انما وصاكم الله بذلك لما فيه من الخير العميم والمنفعة المؤكدة ، وكل هذا مما تدركه العقول الناضجة ، وفى قوله تعالى : « لعلكم تعقلون » تعريض بان ما هم عليه من الشرك وما بعده اشياء لا يقرها العقل السليم ، وليست فيها ادنى مصلحة ظاهرة للعاقل المفكر المتدبر ، فعسى ان تعقلوا ما فيه الفائدة وهو ما ارشدنا اليه رب العالمين ، فتفسيروا على نهجه القويم ، وتسلكوا طريقه المستقيم .

الوصية السادسة : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ

أشده « أى أن مما يتلى عليكم من الوصايا التى وصاكم الله بها هو الا لا تقربوا مال اليتيم اذا كنتم ولاء امره او إذا تعاملتم معه الا بأفضل ما يوصل اليه الخير من حفظ ماله وتنميته المحققة من وجوه الحلال ، وقوله تعالى « ولا تقربوا » ابلغ فى النهى من النهى عن الفعل لأن هذا التعبير الكريم يتضمن النهى عن الاسباب والوسائل التى تؤدى الى الفعل وتوقع فيه ، وبلوغ الأشد معناه : بلوغ سن الرشد والقوة ، وقال صاحب لسان العرب : « الأشد معناه مبلغ الرجل الحكمة والمعرفة » وأورد ابن منظور المصرى (١) عن الأزهري انه قال : « ورد الأشد فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة معان يقرب اختلافها : فاما قوله فى قصة يوسف عليه السلام : ولما بلغ أشده : فمعناه الإدراك والبلوغ وحينئذ راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وكذلك قوله تعالى : ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، قال الزجاج : معناه احفظوا عليه ماله حتى يبلغ أشده فإذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله ، قال وبلوغه أشده أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغاً ، وقال بعضهم حتى يبلغ ثمانى عشرة سنة ، قال أبو اسحق : لست أعرف ما وجه ذلك لأنه اذا أدرك قبل ثمانى عشرة سنة ، وقد أونس منه الرشد فطلب دفع ماله اليه وجب له ذلك ، قال الأزهري ، وهذا صحيح وهو قول الشافعى وقول أكثر أهل العلم . الخ واما قوله تعالى فى قصة موسى صلوات الله على نبينا وعليه : « ولما بلغ أشده واستوى » فإنه قرن بلوغ الأشد بالاستواء وهو أن يجتمع امره وقوته ويكتهل وينتهي شبابه ، واما قول الله تعالى فى سورة الأحقاف : « حتى اذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة » فهو أقصى بلوغ الأشد وعند تمامها بعث محمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقد اجتمعت حنكته ونهام عقله فبلوغ الأشد محصور الأول محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك ، وقد اشترط الشارع الحكيم لابناء اليتامى أموالهم بلوغهم سن الحسب والرشد معا وظهور رشدهم فى المعاملات المالية بالاختبار والتحريه قال تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم » وهو خطاب للأولياء والأوصياء ، وميزان الرشد يبرز بكثرة التجارب والمران واحسان المعاملات المالية واجادة التصرف فى تغليب المال واستثماره .

الوصية السابعة : « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » أمر باتمام الكيل فى حالتي الأخذ والعطاء ، وإيفاء الميزان لأنفسكم فيما تشترون ، أو لفيركم فيما تبيعون ، وقد ذم الله سبحانه المطففين فى سورة سماعها باسمهم وتوعدهم فيها بالمعذاب الشديد على فعلهم فقال تبارك وتعالى : « ويل للمطففين » الذين اذا أكتلوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . وأوضحت الآيات أنهم بعيدون عن الإيمان بيوم البعث والحساب ( الا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ) ولما كانت اقامة القسط تاماً امراً دقيقاً جداً لا يمكن تحقيقه فى كل مكمل أو موزون تمام التحقيق قال سبحانه : « لا تكلف نفسا الا وسعها » أى انه تعالى لا يلزم انساناً الا ما يسعه فعله بدون مشقة ولا حرج ، فالمراد — أن يضبط الكيل والميزان بحيث يعتقد انه لم يظلم فيها بزيادة او نقص يعتد به شرعاً وقد قص القرآن الكريم علينا ما كان من قوم سيدنا شعيب عليه السلام وبمدهم عن المدل فى ميزان أو كيل فحكى عن نبههم قوله : « ويا قوم أوفوا الكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان : « أنكم

وليم امراً هلكت فيه الامم السالفة فيكم» ويكى مى سده الزجر عن الانطيف  
مى خيل او ميزان ان الله تبارك وتعالى سماء عنا مى الارض وهسادا .

الوصية القائمة : « واذا قلم فاعدلوا ولو كان ذا قريى » امر بالعدل فى  
الاقوال حين الشهادة او القضاء ولو كان المنهود به او عيه ، وحددت المماضى  
عنتهم مريباً هرايه لحم ودم او نفس وروح ، عانعدل مى الاسوال لازم وواجب  
كالعدل مى الافعال ، وقد وضع الله سبحانه ذلك مى سورة النساء حيث يعول  
تبارك وتعالى : « يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالمسط تشهداء لله ولو على  
انفسكم او الموالدين والاقرين بن يكن عيباً او معيرا عالله اولى بهما علا سيعوا  
الهلوى ان تعدلوا وين تلوا او معرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً » ونسدد  
الله مى ذلك اى مى العدل حين الشهادة والقضاء مهما كانت الصلة بالمنهود له  
او عليه ، وكذلك المتقاضى لان العدل هوام الحياة حياة الامم ، فلا يجوز ان تحكما  
المصلات فتحملنا على الظلم او الميل عن الصراط المستقيم ، ومن حاد او ظلم فالله  
سيحاسبه فهو جل وعلا يعلم كائنة الاعين وما تخفى الصدور فلا تخفى عليه  
خافية .

الوصية التاسعة : « وبعهد الله اوخوا » وهو ينظم ما عهد الله تعالى الى  
خلقه على السنة انبيائه ورسله ، وما يعاهد الناس بعضهم بعضاً عليه مما يوافق  
الشرع ، وقد ورد لفظ العهد فى القرآن كثيراً مشيراً الى ذلك قال تعالى : « ولقد  
عهدنا الى آدم » وقال سبحانه : « ألم اعهد اليكم يا بنى آدم » وقال ايضا :  
« واوخوا بعهد الله اذا عاهدتم » وقال : « او كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم »  
وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين فقال عز اسمه : « والموفون بعهدهم اذا  
عاهدوا » وقال : « والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون » وعد الرسول صلى  
الله عليه وسلم نكث العهد من صفات المنافقين فقد روى البخارى عن عبد الله  
ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اربع من كن  
فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى  
يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر  
نعود بالله من النفاق واهله « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » اى ان ما سمعتموه  
مما تلاوته عليكم هو ما وصاكم الله به فليحكم تذكرون ما فيه من الصلاح لكم  
يحكمكم ذلك على العمل به ويذكر بعضكم بعضاً وهذا من التواصى بالحق  
والتواصى بالصبر ، وعد الله تعالى التذكر للخير والعمل به من دلائل الانابة اليه  
والرجوع الى اوامره وخشيته وخوف عذابه قال سبحانه : « وما يتذكر الا من  
ينيب » وقال جل وعلا : « سينكر من يخشى » .

الوصية العاشرة : « وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل  
تفرق بكم عن سبيله » وهذا بيان لما يدعو اليه رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم من الدين والشرع القويم وانه سبيل الله الذى يوصل الى رضائه سبحانه  
كما يوصل الى نيل السعادة التامة فى الدنيا والاخرة ، والصراط المستقيم هو  
شرع الله ، اخرج احمد والنسائى والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه  
قال : « خط رسول الله خطا بيده » ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » ثم خط  
خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : « وهذه السبل ليس فيها

سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه» ثم قرأ : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « ولا تتبعوا السبل » قوله : « امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، واخبرهم انه انما اهلك من كان قبلهم . المرء والخصومات » . . . نلكم وصاكم به لعلكم تتقون » التقوى اسم لكل ما يتقى من الضرر العام والخاص مهما يكن نوعه فالامر باتباع الصراط المستقيم والنهي عن سبيل الفی والضلال هو ما وصاكم به ربكم ليهيئكم للبعد عن كل ما يشقى ويردى في الدنيا والاخرة ، وما يوصل الى السعادة التامة فيهما ، وقد وردت آثار كثيرة بشأن تلك الوصايا منها ما اخرجہ الترمذی وآخرون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « من سره ان ينظر الى وصايا محمد التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم » الى قوله تعالى : « نلكم وصاكم ربكم لعلكم تتقون » .

### والخلاصة :

ان الايمان الصحيح ليس بالتمنى ، ولكن بالعمل وتنفيذ اوامر الله واتباع وصاياه كما وردت في محكم كتابه وعلى لسان خير خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ، والايمان المستقر في القلب لا بد وان تبدو آثاره الطيبة على فعل الجوارح ، واما قول اللسان دون عمل فهذا مما جاء فيه قول الصلي الكبير : « كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » وهو حجة على ابن آدم يوم القياسة ومما يؤيد ذلك قول الله تبارك وتعالى : « ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سواها يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » نموذ بالله تعالى من قول بلا عمل ونسأله جلّت قدرته ان يوفقنا لتنفيذ وصاياه والعمل بما اوجاه الى سيد المرسلين ان ربي سميع الدعاء .



حاشية : عن الحافظ ابن كثير في كتابه ( الباعث الحثيث الى معرفة علوم الحديث ص ٢٤ ٢٥ ) الحديث الموقوف : مطلقه يقتض بالصحابي ولا يستعمل فيه دونه الا مقيدا وقد يكون امساده متصلا وغير متصل .

الحديث المرفوع : هو ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا عنه سواء كان متصلا ام منقطعا ام مرسلا .

(١) الاشد بفتح الهزة وضم الشين - لسان العرب ص ( ٢٨٢ ) ج ٢ طبع دار لسان العرب بيروت - لبنان .

# القرآن..

## وعلم الفلك

٢

للدكتور محمد جمال الدين الفدى

### اصل الكون :

لا يعطينا العلم بكافة فروعه جوابا شافيا ولا معنى واضحا ترضى به العقول او تطمن اليه النفوس من اصل الوجود ، كما انه لا يتعرض قط لموضوع علة وجودنا وسبب مجيئنا ، وما اذا كانت لنا رسالة خاصة على الارض . وما دام هناك وجود لنا ووجود لما حولنا فمن العبث ان ندعى ان الغد هو الأساس الطبيعي ، ولكن من المنطق ان نسلم بحقيقة ( الموجود ) الأزلى الذى هو علة كل شيء ، والذى شهد نشوء كل شيء . والذى يعطى هذا المعنى هو الدين ويشير القرآن الكريم الى ذلك فى عدة آيات مثل قوله تعالى فى سورة فصلت الآية (٥٣) : ( سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بريك انه على كل شيء شهيد ) .

وهناك ثلاث طرق فقط عالج بها بعض العلماء اخيرا اصل الوجود . والحقيقة ان هناك طريقتين لا ثالث لهما ، وذلك نظرا لان الطريقة الثالثة هى فى الواقع مجرد تحايل غير منطقي ، فحواه اننا قد نستطيع القول بان الكون على حالته الراهنة انما نشأ عن سلسلة من حالات اخرى سابقة ، واننا نستطيع ترتيب الخطوات السابقة التى مر بها الكون فى تتابع منتظم حتى نصل الى مرحلة الصفر على غرار الصفر فى الاعداد . وتعتمد الطريقة العلمية الاولى على مجرد الحظ أو الصدفة ، وهى تقول انه قد يحدث بالصدفة ان يمر الكون عبر سلسلة من مراحل النشوء والتطور ، تماما كما يمر عقرب الساعة أمام أرقام المنيبهاء . ويعنى ذلك وجود دورة من حالات التطور تتكرر على الدوام ، أى انه ليس هناك ابتداء أو انتهاء ، وانما يتحرك الكون ليبدأ تطوره من حيث انتهى . ونحن حتى

إذا سلمنا بهذا جدلاً فمن أين أتت مادة الأصل ؟ الحقيقة أن العلم أنها يبدأ دانها من مرحلة معينة يفترض فيها وجود الأشياء من غير التعرض لأمس موجودها ومنظم خط سيرها وواضح طريقة تطورها ...  
وتقرر الطريقة الثانية من غير أساس على قويم أو منطق سليم أن الكون كان هكذا على الدوام ، وسوف يظل على ما هو عليه إلى الأبد ، بحيث لا يوجد ابتداء ولا معنى للانتهاء .

ومن اللازم أن نلاحظ أن هذه النظريات ، شأنها كشأن أية نظرية علمية أخرى ، تبدأ كما قلنا بفروض ، أو مسلمات تسمى أحياناً بديهيات ، تمثل التسليم بظهور مادة الأصل تلقائياً أو قيام النظم والقوانين الكونية الثابتة تلقائياً كذلك ، فإذا ما سلمنا بقيام نظام بالصدفة عبر الزمان الطويل فهمل نستطيع الصدفة وحدها أن تقوم على تثبيت ذلك النظام عبر الزمان وتعميمه عبر المكان ؟ إن حساب الاحتمال الرياضى لا يعرف مثل هذا الكلام .

وقبل أن نعلق على هاتين النظريتين نؤكد بأن المؤلف هو أن لكل شيء موجوداً أوصاناً . فإذا قلنا إن للكون موجداً أنها نسائر الحقيقة المشاهدة ونسلم بداهة في نفس الوقت بأن هذا الخالق الموجود تختلف صفاته عن صفات المخلوق ، فإذا كان للكون موجود فليس للموجود موجد ... ولهجرنا نستطيع أن نتبين أن الموجود من الأسماء أو الصفات ما يجعلنا نسبه كما سمي نفسه في القرآن : الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الخالق ، البارى ، المصور ، .. الوهاب ، الرزاق ..

وطبيعى أن هذا الحل العلمى الذى ينادى به الدين هو أفضل وأسلم وأصح من افتراض وجود مادة في الأصل وقيام نظم لا خالق لها ولا مبدع على غير المؤلف .

وان أبعاد الكون المرصود قد امتدت في ظل الفلك الراديوى الى حدود نحو ٢٠ ألف مليون سنة ضوئية ، وهذا الرقم هو مجرد كسر صغير بالنسبة الى الأبعاد التى يفترضها العلماء للكون الذى يستغرق تطوره فترة من الزمن سبحانه وتقدر بعشرات آلاف ملايين السنين بحيث تكاد تكون لا نهائية بالنسبة الى عمر الإنسان وحضاراته على الأرض . ولهذا تبذل الجهود المضنية من أجل التغلب على هاتين الحقيقتين الداخلتين في صميم الدراسات الكونية بالاستعانة بالعلوم الأخرى ، حيث أن قوانين الطبيعة التى اكتشفت على الأرض يجرى تطبيقها فى السموات ، كما أن النظم المختلفة لما نراه فى العلم المبني على مسلمات يمكن أن نطمئنا أنواعاً متباينة من الأكوان والقوانين التى تحكمها . ويمكن لعالم الرياضيات البحتة أن يبني كل نماذج الأكوان الممكنة معتدياً فى ذلك على مجموعات القوانين الطبيعية ، مثل الديناميكا الحرارية ، والنسبية العامة ، تماماً كما يبني عالم الهندسة كل أنواع الهندسات الممكنة ( هندسة إقليدس ، هندسة ريمان ... ) كل ذلك بصرف النظر عن الهندسة الفعلية للفضاء الذى من حولنا .

وهكذا يصبح تشبيد نماذج الأكوان فرعاً من فروع الرياضة البحتة ، أما مسألة التعرف على أحد هذه النماذج والاستدلال على أنه كوننا بالذات فتلك

مبالة أخرى ليس من اليسير الخوض فيها أو التعرض لها هنا . ويتساءل العلماء قائلين : لماذا يوجد كون واحد فقط ؟ وهل هذا الأفراد مجرد صدفة أو هو ضرورة ؟ أننا ليس لدينا ما يثبت علميا وعلميا وجود كون آخر غير هذا الذي نراه من حولنا . وقد امتدت أبعاده من عدة مئات آلاف السنين الضوئية الى عدة آلاف الملايين بتقدم آلاف الرصد الفلكي مصداقا لقوله تعالى في سورة الذاريات الآية (٤٧) : « والسما فبينها بآيد وإنا لومسعون » وربما يكون المعنى كذلك اننا مومسون ( اى لدينا المزيد رغم اتساع الكون ) . ان الكون يتمدد بالفعل ويزداد حجمه كما نادت بذلك النظرية النسبية . على أية حال الكون واحد فقط ، وهو لا يمكن أن يكون لا نهائى الأبعاد كذلك ، والا لاشتعلت كل أركان السماء بالضوء ليلا ، ولما ظهرت تلك الاجزاء المظلمة بين النجوم وامتلاء السماء كلها بالنجوم المتناثرة الى ما لا نهاية فى أى اتجاه ، كما تصبح الجاذبية لانهاية القدر كذلك ، وهو أمر غير ملاحظ . ولهذا كان من اللازم افتراض أن شكل الفضاء الكونى على أعظم مقاييس له تمايا كما يبدو لنا على أصغر مقاييسه على الأرض ، أى أنه ينحنى على نفسه مصداقا لقوله تعالى فى سورة الملك الآية (٣) : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » .

ووحداية الكون دليل آخر على وحدانية الخالق كما أن شمول النظام وثبوته الذي جعل من الممكن استخدام العلم وتطبيقه ، هو في حد ذاته خير برهان علمي قاطع على وحدانية الخالق جل وعلا . وأتينا لنجد نفس المعاني والنتائج عندما ننظر إلى عالم الحياة .

ان كلمة حياة من اصعب التعبيرات أو الكلمات تعريفا من الوجهة العلمية . بل لقد ذهب فريق من العلماء الى أن كلمة ( حياة ) غير قابلة للتعريف العلمى الدقيق الشامل للأسف الشديد . ولو اننا نظرنا الى كل صفة من صفات المادة الحية — مثل صفة الحركة ، أو التوالد ، أو التغذية أو النمو . . لوجدنا ان هناك حالات تسمى فيها الاشياء ( حية ) ولكنها لا تتوفر لها معظم هذه الصفات . ومن أمثلة ذلك بعض الطفيليات . وهناك حالات أخرى تسمى فيها الاشياء ميتة ومع ذلك نجد لها بعض تلك الصفات ، مثل ظاهرة النمو على البلورات .

وقد ورد في بعض التعريفات الدقيقة الحديثة لبعض العلماء أن المادة ( الحية ) هي كل وحدة نظامية مميزة بثبات ديناميكي ، وقادرة على حفظ كيانها بنفسها ، وعلى امتصاص الطاقة من أى نظام قائم حولها ، وعلى تثبيت بقائها بواسطة التوالد أو الانقسام والموت .. كل ذلك بالإضافة الى أن الوقت الذي يمتاز به قيام تلك الوحدة ( الحية ) يجب أن يكون أطول من الوقت الذي يمكن أن تستغرقه أية عملية من العمليات المميزة لها . وعلى الرغم من هذا التعقيد الفني في تعريف ( الحياة ) هناك أشياء كونية عديدة يمكن أن تدخل بسهولة تحت طائل هذا التعريف ، ومن أمثلة ذلك السدم والكواكب والمذنب .. فمن المعروف أن كل ما في الكون من ألوان المادة وانواعها المختلفة إنما يتحرك أو يستقيم ، ابتداء من الذرات ومركباتها الى المجرات ووحدها . وهي تنص



الطاقات ، وقد تنقسم ، وتنمو .. فهل هي حية .. ؟ وليس منا من يجهل أن الكهارب التي تجري من حول النوى داخل الذرات ، وأن الكواكب السسيارة تسبح من حول الشمس في المجرات ، وأن هذه الأخيرة تنطلق عبر خضم الفضاء الفسيح بسرعات مقاربة إلى مصير غير معلوم ، فهل هذه جميعها تتوهم لها صفات الحياة كلها أو بعضها .

ومما يزيد من حرج مركز هذا التعريف — أو أى تعريف آخر مماثل — وجود تلك المواد الدقيقة المعروفة التي تتقف على الحدود الفاصلة بين ما قد نسميه ( حيا ) وما قد نسميه ( ميتا ) وتلك هي الفيروسات .

فالفيروسات عبارة عن مواد كيميائية — يمكن تحضير أغلبها في المعمل — ولا يمكن أن توصف بالحياة حسب معناها المعروف ، إذ أنها تمتاز بخواص التكوين الذاتي في البيئة الملائمة ، وبالنمو والتكاثر ، ولكنها صغيرة جدا ، ( أصغر من أى كائن حي عادي ) . ويكاد تركيبها لا يمت بصلة للتركيب الاساسي للخلية الحية .

أما الجسم الحي الذي تعتمد فيه الاعضاء وتباین ، فهو مرحلة متقدمة من تطور الوحدات ( الحية ) تتعاون فيها تلك الاعضاء على القيام بمظاهر ( الحياة ) المختلفة من تنفس وتناسل وحركة وتنفيذ .. ويظل الجسم حيا ما دامت تلك الاعضاء أو على الأقل الرئيسية منها ، تقوم بأداء وظائفها . هذا ملخص تعريف الحياة والجسم الحي . أما ( الروح ) فهي الجوهر الذي يمتاز بالوعي والإرادة والفكر .. إلى غير ذلك من الصفات التي دونها صفات المادة الحية التي تعمل آليا أو بالفرية .. وتسكن الأرواح الأجسام الحية . والمعروف أنها تدخل جسم الجنين عندما يبلغ شهره الرابع ، وتظل تسكن الجسم الحي وتندرج معه بالنمو على النحو المعروف ولا تهجره أو تغادره نهائيا إلا إذا مات .

ومعنى ذلك أن الجسم الحي كالبیت الذي يسكنه الناس والروح هنا بمثابة السكان ، والجسد بمثابة الجدران . ويمالج علم الحياة « البيولوجي » كما يمالج علم الطب ، موضوع مقومات الحياة وتركيب الجسم ، وما يصيبه من علل وما قد يطرأ عليه من أمراض تؤدي إلى الوفاة ، وكل تلك المجالات عبارة عن دراسات علمية تدخل في نطاق العلم .

## **السماوات :**

كان من الطبيعي أن يشير القرآن الكريم في سياق حديثه عن السكون — كتاب الله المنظور — إلى المجرات النائية التي يعج بها الفضاء ، والتي تضم كل واحدة منها آلاف بلايين النجوم أو الشمس ، فقال مثلا في سورة الواقعة الأيتان ( ٧٥ ) ، ، ( ٧٦ ) : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وأنه لقسم لو تعلمون عظيم » .

فمواقع النجوم شيء جدير بأن يقسم به الخالق ، وهي تكاد تفوق حدود الوصف والخيال ، كما أنها آخذة في التزايد لأن المجرات تتباعد بسرعات رهيبية .

ومنذ سنوات ولدا فرع جديد من فروع علم الفلك عرفنا بأجرام سماوية غامضة تسمى ( أشباه النجوم ) أو ( الكوازار ) ، وهى فى الواقع مجرات عظيمة تبدو لمعظم بعدها عنا كأنها نقط مضيئة وسط خضم الفضاء المترامي الأطراف مثل ( كوازار ٣ - ك ٩ ) . ولكن الله تعالى يقول فى سورة يونس الآية (١٠١) : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ويقول فى سورة الأعراف الآية (١٨٥) : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » وعليها اذا بأمر من ديننا ان نرصد تلك العوالم النسائية التى تتكون منها السموات لنذكر عظيمة الخالق ونلمس قدرته التى لا حدود لها ..

وترسل ، أو فى معنى أصح ، أرسلت تلك العوالم طاقات موزعة بانتظام خلال الكون ، نعرف عليها بفرع الفلك الجديد المسمى الفلك الراديوى .

### أقطار السموات والأرض :

يظن كثير من الناس خطأ - وقد كنت منهم - أن قول الله تعالى فى سورة الرحمن الآيات ( ٣٣ - ٣٥ ) : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » من دلائل انطلاق الإنسان عبر الفضاء ، ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى أقطار تماما نجد أن المعنى إشارة واضحة للتعجيز كما هو ظاهر من الآية (٣٥) .

أما النفاذ من أقطار الأرض فما من شك أن معناه اختراق الكرة الأرضية عبر لبها المستعر والخروج من الجهة المقابلة .. وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للأرض معناه انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر .. أما اختراق أقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشمس والنجوم ومئات ألوان الغبار الكونى وأزمة الأشعة الكونية ومجاريها وهى أشد احراقا وفنكا من براكين الأرض !!

أما الوصول الى القمر أو المريخ أو الزهرة فليس مغناه النفاذ من أقطار السموات بحال من الأحوال ، وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السموات وإن أقطارها تريب وتزيد على عدة آلاف ملايين السنين الضوئية .. !

ولكن فى آية أخرى يقول الله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بينهما من دابة وهو على جميعهم إذا يشاء قدير » - سورة الشورى الآية (٢٩) . وهى تشير الى وجود أحياء بين أرجاء السماء أما الجمع فقد يكون على متن أمواج الاثير .

### الغلاف الهوائى أول السموات :

نحن وجميع من معنا من الكائنات التى على الأرض كركاب سفينة فضاء سقناها هو الغلاف الهوائى . ولكن هذه السفينة تخدعنا كما خدعت آبائنا من

قبل ، لأنها تبدو لنا كأنها واقفة فى الفضاء أو ساكنة لا تتحرك ولا تدور ، بينما يتحرك كل شيء من حولها أو يدور بما فى ذلك القمر والشمس والنجوم والشهب والمذنبات ونحوها .

أما الحقيقة الواقعة فهى أن أرضنا تلف هى وسقفها كالنحلة وتجرى كالقطار وتتأهل كالسفينة وتترنح وتهتز كالطائرة . وتنتج عن هذه الحركات كلها عدة ظواهر منها : تعاقب الليل والنهار ، وتتابع الفصول ، وترجح الاعتدالين ، ونحوها كما تتغير مقادير الطاقة الشمسية التى تصل إلى كل بقعة من الأرض فتزداد أو تنقص وبذلك يتكون الهواء الساخن أو البارد وتختلف ضغوط الجو فيتحرك على هيئة دورة كبرى للرياح .

ولقد احتفظت الأرض بفضل قوة جذبها الكبيرة وأمسكت بغلافها الجوى أو سقفها ولم تسمح له بالتسرب إلى خضم الفضاء المتراعى الأطراف كما تسرب غلاف القمر الجوى حتى صار القمر جرمًا ميتًا خاليًا من الهواء والماء وذلك لأن من خصائص الغازات كالهواء أنها تنتشر لتلأ الفراغ المعرض لها .

ولو أن مهندسًا صمم سقف سفينة الفضاء لجعل لذلك السقف فوائد محدودة أو آيات معدودة ولكن الذى صمم سقف الأرض وحفظه جعل له من الفوائد أو الآيات ما يكاد لا يعد ولا يحصى فقال فى سورة الانبياء الآية (٣٢) : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتنا معرضون » .

الغلاف الجوى إذا هو جانب أول السموات ونحن نعيش فى جانب من السماء الأولى . وهو عبارة عن خليط غازى عديم الطعم واللون والرائحة بالإضافة إلى بخار الماء الذى يحمله الهواء لأن بخار الماء أخف أو أقل كثافة من الهواء الجاف . وهذه وحدها آية من آيات الخالق لأنها مكنت الهواء من حمل البخار إلى أعالي الجو حيث يبرد ويتكاثف إلى سحب ومطر ، هو مصدر المياه العذبة على الأرض ..

وأهم الغازات التى يتركب منها الهواء هى الأزوت أو النيتروجين ونسبته ٧٨٪ من حيث الحجم والأكسجين ونسبته ٢١٪ من حيث الحجم وغازات أخرى نادرة نسبتها ١٪ فقط .

ولنسبة الأزوت العالية التى فى الجو آية ملخصها أنها تجعل أطفالنا الحرائق أمرا ممكنا . . فلو أن نسبة الأكسجين هى التى كانت ٧٨٪ لما أمكن إطفاء أى حريق يشتعل مثل حريق الغابات .

كما أن الأزوت الجوى تكون منه عواصف الرعد والبرق أحيانا أزوتية تذوب فى ماء المطر ، وتخصب الأرض ، وتجعلها على التدرج صالحة للزراعة . وهكذا كان يتم إخصاب الأرض بالطبيعة من قبل أن يعرف الناس السماد الصناعى .

والمطر يغسل الهواء وينقيه من الشوائب والأتربة والجراثيم — أنظر كيف نستمتع بالجو فى أعقاب المطر . وحتى فى الشتاء يحدث الدفء بعد نزول المطر لأنطلاق الحرارة الكامنة من البخار الذى تحول إلى مطر ، وهى الحرارة

التي اكتسبها ماء البحر في الاصل من الشمس لكي يتحول الى بخار يحمل الهواء ..

ومن اظهر فوائد الغلاف الجوي انه يحتوى على الاوكسيجين الذى تستنشقه الكائنات الحية فيدخل مع هواء الشهيق ليجدد نساء الدم فيها ويكسبها القدرة على العمل .

وكلما ارتفعنا في السماء كلما قلت مقادير الهواء وقل تبعاً لذلك الاوكسيجين الجوي . فاذا كان الاوكسيجين الجوي عند السطح هو ٢٠٠ وحدة ضغط فانه يعتبر على ارتفاع ١٠ كيلو مترات ٤٠ وحدة فقط ، ويعتبر على ارتفاع ٢٠ كيلو متراً ١٠ وحدات فقط . وعلى بعد ٣٠ كيلو متراً وحدتين فقط . وهكذا أى ان الانسان يمكن ان يفتقد تماماً اذا ما ارتفع فوق ١٠ كيلو مترات ولم يكن محمياً داخل غرفة مكيّنة .

ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقائق كلها — أى الاوكسيجين الجوي وتناقصه بالارتفاع فوق سطح الأرض بحيث تصبح مقادير الاوكسيجين التي تدخل الصدر غير كافية أو يضيق الصدر تبعاً لذلك — فيقول تعالى في سورة الأنعام الآية ( ١٢٥ ) : « .. ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنها يصعد في السماء » .

ولو ان الكائنات الحية تركبت منذ القدم تستنشق الاوكسيجين الجسوى وتخرجه مع هواء الزفير على هيئة غاز ثانى اوكسيد الكربون الخائق من غير مبلية عكسية لفند الاوكسيجين الجوى بمضى الوقت واخثقت سائر المخلوقات على الارض .

ولكن الخالق القدير الذى اسكننا الارض جعل مملكة النبات تقوم بالعملية المضادة في ضوء الشمس بها يعرف باسم التمثيل الكلوروفيلى . ومضمونه ان النباتات تأخذ ثانى اكسيد الكربون من الجو ، وفي ضوء الشمس تحلله الى اوكسيجين خالص يخرج الى الهواء من جديد والى كربون أو فحم تختزنه . هذا الكربون أو الفحم يستخدمه النبات في بناء انسجته وعمل السكر والنشا والزيوت والخشب وغيرها ... وتلك ولا شك آية من آيات الخالق تتضمن قضية تنقية الجو من ثانى اوكسيد الكربون أولاً بأول وازدادة الاوكسيجين الخالص اليه ثم صناعة المركبات العضوية النباتية التي هي أساس تغذية مملكة الحيوان بأمرها من الكربون المستخلص من ثانى اوكسيد الكربون الجوى . فلماذا يعرض الانسان عن التفكير في هذه الحقائق ويعتبرها مجرد صدفة ! ان اغفال الحواس هنا والأعراض عن تجويد الخالق القدير معناه قتل الفكر الحر وقتل الضمير عن عمد وهو أمر يستحق عليه الانسان العقاب .

والهواء كما قلنا يحمل بخار الماء . وعندما يصعد يبرد ولا يقوى على حمل هذا البخار فتتكاثف الابخرة الى نقط صغيرة من الماء أو بللورات الثلج تبعاً لدرجة الحرارة السائدة .

وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الروم الآية ( ٤٨ ) :

« **الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا** » .

ولكن ما الفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر ؟ الامر بسيط ، ان السحابة التى تمطر يلزمها مدد مستمر من ابخرة المياه لكى تتكثف تلك الابخرة وتهطل على هيئة مطر أو برد أو تلج .

وهذا المدد يتم بواسطة الرياح الصاعدة كذلك مصداقا لقوله تعالى فى سورة الحجر آية ( ٢٢ ) :

« **وارسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين** » .

أى ان الرياح تلقح السحب وغيرها ببخار الماء لتجود بالماء العذب وان هذا الماء ليس مخزونا فى مكان معين ولكنه دورة مائية بين السماء والارض .

وقصة الماء العذب على سفينة الفضاء الكبرى وهى الارض معروفة لان اشعة الشمس تبخر بعض مياه البحار والمحيطات وتحولها الى ابخرة يحملها الهواء ويصعد بها فى السماء لتكون السحب والمطر الذى ينهمر لتعود الى البحر .

والمطر كما قلنا ينقى الهواء ويفسله من الشوائب والأتربة العالقة فيه ، وهو مصدر المياه العذبة التى هى أساس الحياة على الارض ، سواء كان ذلك الماء من الانهار أو الآبار أو العيون أو المطر المباشر .

ومن أهم آيات هواء الارض انه الوسط الذى يضىء بنور النهار . وعلى الرغم من ان امتداد الغلاف الجوى فوق سطح الارض هو نحو ألف كيلومتر ، الا ان الطبقة التى تضىء بضوء النهار هى قشرة رقيقة سمكها نحو ٢٠٠ كيلو

متر فقط عندما تواجه الشمس . عندئذ يتناثر أو يتشتت ضوء الشمس فى تلك الطبقة الكثيفة نسبيا من الهواء . واكثر الوان الطيف التى تتناثر هو اللون الازرق ولذلك تكسب تلك القشرة اللون الازرق وهى القشرة التى تحدد معالمها القبة السماوية الزرقاء .

فالقبة الزرقاء اذا مجرد ظاهرة ضوئية ومن نعم الله علينا أن جعل من صفات النائر انتشار اشعة الضوء المتناثر فى كل الاتجاهات . وعلى هذا النحو يمكن ان تثار البيوت بفتحات ونوافذ لا تواجه الشمس مباشرة ، اذ يمكن ان يدخل منها الضوء المتناثر فى كل اتجاه .

واذا ما صعدنا فى صاروخ فوق تلك القشرة المنيرة نجد ان الدنيا تظلم من جديد وتظهر نجوم السماء ، كما تكون الشمس بادية وبارزة ولكن تخفى اشعتها

الاجسام وخز الابر من غير ان تنير الفضاء الكونى المظلم الشديد الاظلام . وكلما دارت الارض حول محورها انسلخت القشرة المنيرة من الغلاف المظلم مصداقا لقوله تعالى فى سورة يس الآية ( ٣٧ ) :

« **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون** » .

ان النهار ينسلخ من الليل كما ينسلخ جلد الشاة من جسدها .

ومن أعظم فوائد الغلاف الجوى انه يحميننا من أهوال الفضاء ممثلة فى الاشعة الكونية الفتاكة تارة ، ثم فى الشهب والنيازك الحمراء تارة اخرى ، كما يحميننا من درجات الحرارة المنخفضة التى يتميز بها الفضاء الكونى حيث تصل

درجة الحرارة حدود ٢٧٠ درجة تحت نقطة الجليد . ومن أخطر الاشعة التى يقينا شرها سقف الارض الاشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس ، وهى أشعة محرقة ولا يسمح غلاف الارض الجوى بان يصل منها الى سطح الارض

الا جزء صغير جدا يفيد فى حمامات الشمس ويعالج كثيرا من الامراض مثل البرد

والكساح ونحوها . وخير الاماكن التى تؤخذ فيها حمامات الشمس سواحل البحار وأعالى الجبال حيث تقل الاثرية الجوية التى تحول دون وصول الاشعة فوق البنفسجية . والمعروف ان حمامات الشمس تكسب البشرة ذلك اللون البرنزى الجميل .

ولقد عبّد الغلاف الجوى سطح الارض بعوامل التعرية وجعله صالحا للعيش فوقه والسير عليه ، فالرياح والثلوج وأمواج البحر كلها نحتت الصخور النارية القديمة وهبطتها وحولت أجزاء عظمى منها الى طمى وغرين ورمل ومواد كونت القرية الزراعية . وما من شك أن هذه أكبر آيات الغلاف الجوى أو سقف الأرض أهمية بالنسبة للحياة على الأرض .

وحتى الكائنات المائية مثل الاسماك وغيرها أنها تستنشق أوكسجين الجو المذاب فى الماء . مما يفسر لنا السر فى ضرورة تجديد ماء الاوانى والاحواض التى تحفظ فيها أسماك الزينة .

ان أكثر من ثلاثة آلاف بليون نسمة تعيش اليوم على الأرض وهى تنعم بحماية سقفها وتستمتع بما يوجد به من نعم بلا مقابل .

ان علم الارصاد الجوية يظهر لنا بجلاء كيف تعمل تيارات الهواء المختلفة الرأسية والأفقية وكيف تداب دورة الرياح العامة على توزيع درجات الحرارة بالعدل والقسطاس بين أجزاء الأرض المختلفة .

ان الهواء يحمل الحرارة من مناطق توفرها كالمداريات الى مناطق شحناها كالمقطبين ، بينما تنقل تيارات الحمل بخار الماء وما فيه من حرارة كاملة اكتسبتها أسطح البحار من الشمس وتسير بها الى الجو العلوى ومناطق اثاره السحب لفائدة الانسان ونفعه . وليس علينا الا ان ندرس ونتمعن ونشكر :  
« وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون »  
البقرة الآية ( ١٦٤ ) .

وأنت اذا ما جلست بعد منتصف الليل تراقب السماء ترى اكاداسا من الشهب تهوى من الجو العلوى وتحترق فيه قبل أن تصل الأرض ، وهى تحترق بسبب الحرارة العالية التى تتولد بالاحتكاك مع الهواء عندما تتحرك الشهب فيه بسرعة فائقة مثل ٢٠ أو أكثر من الاميال فى الثانية .

وتكون اثرية تلك الشهب المحترقة ما يعرف باسم نوى التكاثف أو المراكز التى يتم عليها تجمع بخار الماء العالق فى الجو على هيئة نقط ماء وثلج داخل السحب ، ولقد شوهد ان السنين التى تدخل فيها الأرض عبر الوغير من مجارى الشهب فى الفضاء يعقبها مطر وغير وهطول غزير يروى الأرض ويشملها بالخير والبركة .

وما من شك اننى لن استطيع حصر آيات الغلاف الجوى أو سقف الأرض المحفوظ ، فهو الى جانب ما ذكرنا باختصار ، فيه تسرى الاصوات وهو بذلك يجعل لحاسة السمع معنى ووظيفة ، وهو الذى يخضب أكثر النباتات ، وفيه يخلق الطير ، وهو الذى يستغل فى أشعال وقود الآلات والمحركات . والرياح هى التى تدفع السفن الشراعية عبر البحار وتجفف الملابس والعرق .. ويعمل البرق فى عواصف الرعد على تكوين اكاسيد الأزوت التى تذوب فى ماء المطر مكونة نوعا من السماد الطبيعى الذى أخصب الأرض منذ القدم قبل أن يعرف الانسان مواد السماد أو يصنعها .

الإسلام

## المشكلة الاقتصادية

للدكتور محمد شوقي الفنجري

المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر ، وهي لا تتمثل كما يتصورها الاقتصاد التقليدي في ظاهرة الجوع والحرمان ، وإنما في ظاهرة التفاوت الشديد في توزيع الثروات والدخول .

ولقد أدرك الإسلام منذ البداية أهمية العامل المادى ، فلم يهون من أمره شأن المذاهب الروحية والمتصوفة ، ولم يفسال فيه شأن المذاهب المادية والابيقورية وإنما وضعه حيث يجب أن يوضع عاملا مؤثرا ضمن عوامل أخرى .

وكان للإسلام مفهوم وتصور خاص للمشكلة الاقتصادية يختلف عن تصور الاقتصاد الرأسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى ، وبالتالي اختلفت المواقف .  
ونبين ما تقدم ، في ثلاثة مطالب متتالية :

## المطلب الأول

### ماهية المشكلة الاقتصادية

#### المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر

تتمثل أهم مظاهر الحياة وبالتالي أهم مشكلاتها في سعي كل فرد أو ككل جماعة في توفير أسباب معيشتها ، وبالأخص اشباع حاجاتها المادية وهي ( متعددة ) بينما مالهيا من موارد وأموال ( محدودة ) .  
فالمشكلة الاقتصادية هي أهم مشكلات الحياة ، وهي بحسب الرأي التقليدي السائد ، هي مشكلة تعدد الحاجات ونُدرة الموارد .  
وبعبارة مبسطة ، أن المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر الذي لا يعدو كونه مظهرا من مظاهر زيادة الحاجات على الموارد .

#### مشكلة الفقر قديمة وإن اشتدت وطاقنها متأخرا

وهذه المشكلة وإن كانت قديمة ، لازمت الإنسانية منذ فجر التاريخ ، إلا أنها لم تشعر بوطأتها إلا تدريجيا ، بزيادة حاجات الإنسان تبعا لدرجة تطوره وتقدمه . فالإنسان الأول رغم قلة موارده لم يكن يشعر بوطأة الفقر ، نظرا لقلة حاجاته وتطلعاته .

فمسألة الفقر نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان . ولا شك أن أفقر فقير في العصر الحاضر ، يعتبر غنيا بالنسبة إلى إنسان العصور القديمة . كما أن متوسط الحال في مصر أو الهند ، يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال الأمريكي أو الروسي .

وقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخرا في مصرنا الحالية ، وذلك بحكم سهولة إتصال الناس بعضهم ببعض وظهور الفوارق مع ازدياد الوعي الاجتماعي ، فالفلاح في القرية ذات الاقتصاد المغلق ، لم يشعر بفقره إلا حين اتصاله بعالم المدينة . ومجتمع كاليين قبل انفتاحه على العالم الخارجي لم يكن في عزلته يشعر بفقره أو تخلفه الشديد .

#### حقيقة مشكلة الفقر

وإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن مشكلة الفقر لا تتمثل في الجوع والحرمان أو قلة الموارد . وإنما في وجود التفاوت الشديد في الثروة والدخول ، سواء بين الأفراد على مستوى المجتمع المحلي أو بين الدول على مستوى المجتمع العالمي . فليس معنى الفقر هو العجز عن الاشباع البسيط للحاجات الأساسية ، وإنما هو عدم اللحاق في المعيشة بالمستوى السائد في المجتمع . والفقير فردا كان أو دولة هو من يعيش في مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشي السائد في المجتمع المحلي أو العالمي .

ونخلص من ذلك أن المشكلة الاقتصادية ليست كما تصورها الرأي التقليدي السائد ، هي مشكلة الفقر أو تعدد الحاجات ونُدرة الموارد . وإنما هي مشكلة سوء توزيع الثروة والدخول . وبعبارة أخرى هي مشكلة الإنسان وسوء تنظيمه الاقتصادي وهو الأمر الذي أدركه الإسلام منذ البداية على نحو ما سنبينه .



## المطلب الثانى العامل المادى وتفسير التاريخ ليس للتاريخ مفتاح واحد

إذا كان الإنسان ينشط لاتباع حاجاته ، فإن هذه الحاجات ليست مادية (اقتصادية) فحسب ، بل له حاجات أخرى معنوية (دينية كانت أو ثقافية أو ترفيهية .. الخ) .  
ولا شك أن إشباع الحاجات المادية ممثلة فى الماكل والملبس والمأوى هى الحاجات الاولى والأساسية . ومن ثم فهى المشكلة الاولى لكل فرد أو جماعة ، وهى الشغل الشاغل للمجتمعات المتخلفة ( وهى كثيرة ) والطبقات الدنيا فى كل مجتمع ( وهى الاغلبية ) .  
لذلك فنحن من القائلين بأهمية العامل الاقتصادى ، وأنه محور الصراع بين الأفراد وبين الشعوب . الا أننا لا نسلم بأنه العامل الوحيد ، فليس للتاريخ مفتاح واحد كما يذهب البعض (١) .

### الاسلام يعتقد بالعامل المادى

ولقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادى ، وأنه بدون الخبز لا يستطيع أن يحيا الإنسان ، ولكنه أدرك أيضا وبنفس المستوى أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .

ومن ثم فقد جاء الاسلام وباعتباره خاتم الاديان ، لا يقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية . وإنما جاء أيضا شريعة وتنظيها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا للمجتمع . ذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها ، وشريعة تنظمها . بل لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الاخلاق ، اذا لم يطبئن الرء فى حياته المعيشية . فالعقيدة والشريعة فى الاسلام يكمل كل منهما الآخر ، ولا يقوم أحدهما دون الآخر ، ويمكن تصويرهما بساقي الانسان لا يستطيع أن يمشى على ساق دون الأخرى .

وإذا كنا ننصور الاسلام فى بلد يلتزم بتعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية دون العقيدة — فإنه أيضا لا يمكن أن ننصور الاسلام فى بلد يقوم أهله بالصلاة والصيام وسائر العبادات ، بينما يففلون تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التى تكفل الشورى وتقرر المساواة وتضمن حد الكفاية لكل فرد ، فالتزام الشريعة — لا سيما بتعاليمها الاقتصادية — هو الذى يساعد على صفاء العقيدة وعلى خلق المجتمع الاسلامى ، مجتمع المتقين . بل أن غاية العقيدة والتعبد فى الاسلام هو سلامة السلوك الاجتماعى وشريعة النشاط الاقتصادى ، « فالدين المعاملة » . وإنما نعجب لهؤلاء الذين يركزون على العقيدة دون الشريعة ، أو هؤلاء الذين يبحون أصواتهم بالواعظ الدينية والدعاوى الاخلاقية ، دون أن يشغلوا أنفسهم بتوفير أسبابها الموضوعية .

### الاسلام يدفع بالعامل المادى الى الصدارة

اكثر من ذلك ، فقد جعل الاسلام العامل المادى فى القمة والصدارة ووضع المشكلة الاقتصادية — وذلك منذ البداية وقبل أن تتطور الاحداث وتفرض المشكلة

نفسها — حيث يجب أن توضع فى الأساس وفى المقدمة . ومن قبيل ذلك :  
 (أ) أنه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وأنه نعم العون على تقوى الله ، وإن طلب المال الحلال فريضة وجهاد فى سبيل الله ، وأن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الهم فى طلب العيش ، وإن من فقه الرجل أن يصلح معيشته ويتأنق فى حياته ، وأن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٢) .  
 (ب) أنه يساوى بين الفقر والكفر . ولم يستعذ الرسول من شيء بقدر استعاذته من الفقر ، فيقول عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا » ، ويقول « اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر » ، قال رجل أيمدلان ، قال : نعم .  
 (ج) إنه حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله علله فى القرآن بقوله تعالى : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » قرىش ٣ و ٤ . فأساس العبادة فى الاسلام والسبيل إليها ، هو تأمين الناس فى حياتهم المعيشية ، حتى أن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله : « رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى » طه ٢٥ و ٢٦ ، قرنه بقوله : « كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا » — طه ٣٣ و ٣٤ ، وهذا ما عبر عنه المفكر الاسلامى الجزائرى مالك بن نبي بقوله « كيف أصلى وأنا جائع » .  
 (د) أنه اعتبر مجرد ترك أحد افراد المجتمع ضائعا أو جائعا هو تكذيب للدين نفسه . فالله تعالى يقول « أرايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » — الماعون ١ — ٣ . وجساء فى القرآن « ما سلحكم فى سفر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين » الدثر : ٤٣ و ٤٤ .

وقوله تعالى « وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو اطعام فى يوم ذى مسبغة ، يتيها ذا مقربة أو مسكينا ذا مقربة » البلد : ١١ . وقد سئل الرسول ما هو الأفضل فى الاسلام أمقال « اطعام الجائع ونجدة من تعرفه ومن لا تعرفه »

### **المطلب الثالث** **تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفه منها** **تعرض الاسلام للمشكلة الاقتصادية**

جاء الاسلام بمنهج كامل للحياة ، يهتم بالجانب المادى فى حياة البشر بقدر ما يعنى الجانب الروحى ، ذلك لأن كلا من الجانبين يؤثر فى الآخر ويتأثر به . وصدق الله العظيم « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » — المائدة : ٣ . وقوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » — الانعام : ٢٨ (٣) .  
 لذلك كان من الطبيعى أن يتعرض الاسلام للمشكلة الاقتصادية متمثلة فى مشكلة الفقر .

### **تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية**

ولم يعتبر الاسلام المشكلة الاقتصادية كما تصورها الكتاب الرأسماليون بأنها مشكلة قلة الموارد ، أى مردها الطبيعة ذاتها وعجزها عن تلبية الحاجات . ولا هى كما تصورها الكتاب الماركسيون ، بأنها مشكلة التناقض بين قوى الانتاج

وعلاقات التوزيع ، أى مردها أشكال الإنتاج وعدم بلوغ التطور غايته بالتوفيق بين شكل الإنتاج وعلاقات التوزيع وإنما رد هذه المشكلة الى الإنسان نفسه وسوء تنظيمه الاقتصادي مما لا علاقة له بالطبيعة أو أشكال الإنتاج . ويستفاد ذلك من الآيات الكريمة « الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الإنسان لظلوم كفار » - إبراهيم ٣٢ - ٣٤ . وكما جاء فى الحديث « ما جاع فقير إلا بما متع غنى » (٤) .

### موقف الإسلام من المشكلة الاقتصادية

فالمشكلة الاقتصادية فى نظر الإسلام ليست نابعة من قلة الموارد الطبيعية مما قد يتعذر التغلب عليه . وليست نابعة من عدم بلوغ التطور غايته ، مما قد يستتبع أضرار المظالم الاجتماعية عبر المراحل التاريخية السابقة . وإنما تتجسد هذه المشكلة فى ظلم الإنسان بسوء توزيع الثروة ، الى جانب كفرانه للنعمة بأهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها أو عدم استغلاله جميع المصادر التى تفضل الله بها عليه استغلالا تاما .  
عالج الإسلام كفران النعمة بما وضعه للإنتاج والتداول من أحكام ، كما كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع والاستهلاك من تعاليم ، ونشير هنا بإيجاز الى نص المفاهيم الإسلامية فى مجالى الإنتاج والتوزيع .

### **الفرع الاول - من حيث الإنتاج :**

#### الإنسان هو خليفة الله فى أرضه

جاء الإسلام منذ أربعة عشر قرنا معلنا أن الإنسان هو خليفة الله فى أرضه : « إني جاعل فى الأرض خليفة » البقرة : ٣ . وأنه تعالى سخر له ما فى السموات وما فى الأرض « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جبيعا منه » - الجاثية : ١٣ ، وذلك ليعمر الدنيا ويحييها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده تعالى : « فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » - الجمعة : ١٠ .

#### العمل والإنتاج عبادة فى الإسلام

وعلى أساس تصور أن الإنسان خليفة الله فى أرضه ، جاءت تعاليم الإسلام حاثّة على العمل والإنتاج فالله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، ويقول الرسول : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » بل أن العمل وزيادة الإنتاج فى نظر الإسلام عبادة ، والفرد العامل قريب من الله ومثاب على عمله الصالح فى الدنيا والآخرة ، فالله تعالى يقول : « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » - الشورى : ٢٦ ، ويقول الرسول : « العمل عبادة » ويقول : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا

له يوم القيامة » ، وقبل الرسول يدا ورمت من كثرة العمل وقال : « هذه يد يحبها الله ورسوله » لذلك اعتبر الاسلام السعى على الرزق وخدمة المجتمع افضل ضروب العبادة ، فقد ذكر للنبي رجل كثير العبادة فسأل من يقوم به : قالوا : اخوه ، قال : اخوه اعبد منه ، وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله ، فقال له الرسول : « لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله — اى فى سبيل المجتمع — افضل من صلاته في بيته سبعين عاما » . ويقول « لأن يمشى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته افضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين » ولقد حدد الرسول مفهوم الايمان بقوله : « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل » ، ولخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والانتاج بقوله : « والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة » .

### بعض تعاليم الاسلام في ممارسة الانتاج

ولقد أوجب الاسلام إتيان العمل والانتاج ، واعتبر ذلك أمانة ومسئولية، فالله تعالى يقول : « ولتسئلن عما كنتم تعملون » — النحل : ٩٣ ، ويقول الرسول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ، وهذا يستوجب اتباع أدق وأحدث الأساليب العلمية في الانتاج وصدق الله العظيم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » — الزمر : ٩ .

كما أوجب الاسلام تنوع الانتاج بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية : ذلك أن القاعدة في الاسلام أن كل ما لا يتم الواجب الا به يصير واجبا ، وما لا يقوم به الأفراد من النشاط الاقتصادي كالصناعات الثقيلة والمرافق العامة يصبح شرعا « غرضا » على الدولة القيام به . وقد تكلم الاسلام عن الزراعة وضرورتها وقال الرسول : « ما من مسلم يغرس أو يزرع زرضا فبأكلك منه طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة » ولكن حين سئل الرسول : « اى الكسب اطيب » ، قال : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » وفي ذلك اشارة الى الصناعة والتجارة والى انها اطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادي .

كذلك نهى الاسلام عن الانتاج الضار كانتاج الخمر : فيقول تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » المائدة : ٩٠ . ويقول الرسول : « لعن الله الخمر وشاربها وبائعيها وشايتها ، وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه » . كما نهى عن التعامل بالربا فيقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأنذروا بحرب من الله ورسوله وأن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » — البقرة : ٢٧٩ ، ويقول الرسول : « لعن الله أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده » كما نهى عن احتكار السلع : فيقول الرسول : ( من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطيء ) ، ويقول « الجالب مرزوق والمحتر ملعون » ، ويقول : « الجالب في سوقنا كالمجاهد في سبيل الله ، والمحتر في سوقنا كالملاح في كتاب الله » .

كما نهى الاسلام عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج فالله تعالى يقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشربهم عذاب اليم » — التوبة : ٣٤ ، ويقول الرسول : ( من جمع دينارا أو تبرا أو فضة ولا ينفقه

فى سبيل الله ، فهو كنز يكوى به يوم القيامة ) ومن ثم يقول الرسول : « اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تاكله الزكاة » ، ويقول « ليس محتجز حق بعد ثلاث سنين » فتتزعزع الارض ولو كانت مواتا او بورا من مالكها اذا انتقضت عليها ثلاث سنوات بدون استثمار . وهو ما دعا عمر بن الخطاب أن يقول لبلال وقد أعطاه الرسول أرض العتيق : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحتجز عن الناس وانما أقطعك لتعمل » ، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقي » . بل لقد بلغ حرص الاسلام على الانتاج وتعمير الدنيا ، ان قال الرسول : « إذا قامت الساعة وفى يد احدكم نسيلة — أى شئلة — فاستطاع الا تقوم حتى يفرسها فليفرسها فله بذلك اجر » .

## عوامل الانتاج فى الاسلام

وقد اعتبر الاسلام من عوامل الانتاج ، عاملين هما :

(1) العمل : ويشمل عمل العامل ( وهو المجهود الذى يبذله الانسان لخلق المنفعة سواء كان يدويا كعمل الفلاح والعامل ، أو عقليا كعمل المدرس والطبيب والمحامى ... الخ ) . كما يشمل عمل المصمم ( وهو الذى يوجه العملية ... الانتاجية .. ويوائم بين عناصر الإنتاج المختلفة بما يحقق سير الانتاج ومضاعفته ) .

(ب) رأس المال ويشمل الطبيعة ( أى الثروات التى ليس للانسان دخل فى وجودها كالارض والماء والحيوان والمناجم ... الخ ) . كما يشمل رأس المال بمعناه المعروف ( أى الثروات الناتجة عن نطاق العمل والطبيعة ، والتى لا تصلح لاشباع حاجات الناس مباشرة وإنما تستخدم الانتاج مواد أخرى صالحة للاشباع المباشر ، ومن قبيل ذلك رؤوس الأموال السائلة كالنقد ورؤوس الأموال المينية كالمباني والآلات ) .

ويستفاد ذلك من اجماع فقهاء المسلمين على توزيع الربح — وهو حصيلة الانتاج — بين العمل ورأس المال . وفى عقد المضاربة ويسمى ايضا بالمقارضة ، يقدم أحد الشركاء وهو رب المال أى المقارض ( رأس المال ) بينما يقدم الشريك الآخر وهو رب العمل أى المضارب ( العمال ) ... وقد سمي كذلك لأنه يضرب فى الارض ويسعى فيها قصدا الى المال وتنمية التجارة .

على أن يلاحظ أن رأس المال لا يعتبر فى الاسلام عنصرا من عناصر الانتاج الا اذا شارك عنصر العمل فى الانتاج متحملا غرمه . أما رأس المال بوحده ( سواء كان فى صورة رأس مال أو أرض ) ، فلا يعتبر عنصرا من عناصر الانتاج . وهذا هو السبب فى أن الاسلام لا يعترف بالفائدة كعائد لرأس المال وحده ( أى دون مشاركة فى الربح والخسارة ) ، كما أنه على الراى الذى تؤيده لا يعترف بالربح كعائد للأرض وحدها ( أى حالة التأجير دون — الزراعة ) ويكون الأصل فيه أن الأرض لمن يزرعها (هـ) .

وتعتبر هذه المسألة من أهم المسائل التى يختلف فيها الاقتصاد الإسلامى ، عن كل من الاقتصاد الرأسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى : —

— ففى الاقتصاد الرأسمالى عناصر الانتاج أربعة هى : العمل وعائده الأجر ، والطبيعة وعائدها الربح ، ورأس المال وعائده الفائدة ، والمنظم وعائده الربح . ويتحدد ثمن أو قيمة كل عنصر من عناصر الإنتاج سائلة الذكر على أساس سعر السوق الذى تحدده قوى العرض والطلب .

— أما في الاقتصاد الائتمراكي فعنصر الإنتاج الأساسي هو العمل سواء كان يدويا أم عقليا وعائده هو الأجر أو الراتب ، والذي تحدده السلطات حسب خطة التنمية الاقتصادية آخذة في الاعتبار قوى العرض والطلب دون أن — تنقيد بهما تنقيدا تاما . أما بقية عناصر الإنتاج الأخرى كالطبيعة ورأس المال والمنظم ، فنظل موجودة وإنما ينتقل عائدها إلى الدولة تتصرف فيها بحسب خطة التنمية (٦) .

أما في الاقتصاد الإسلامي فعناصر الإنتاج كما سبق أن قلنا هي العمل ورأس المال ، مع ملاحظة أن رأس المال بوحده لا يكون له عائد ، إلا إذا ساهم مع العمل في القرم ، وحينئذ يكون له نصيب في العائد ( أيا كانت نسبته بحسب الاتفاق ) في صورة ربح لا فائدة .

## الفرع الثاني : من حيث التوزيع

### المال مال الله والبشر مستخلفون فيه :

جاء الإسلام ، منذ أربعة عشر قرنا ، معلنا أن كل ما في يد البشر من مال هو ملك لله أصلا « ولله ما في السموات وما في الأرض » — النجم : ٣١ ، وأن البشر مستخلفون فيه ( وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ) — الحديد : ٧ ، وأنه لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) النور : ٣٣ .

فبحسب الإسلام حيازة المال ليست امتلاكا ، وإنما هي وديعة أو وظيفة ، ومن ثم يتصرف فيها بتعاليم الإسلام ( والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ) . المؤمنون : ٨ .

### لكل حاجته أولا .. ثم لكل تبعا لعمله :

وقد جاءت تعاليم الإسلام في مجال التوزيع صريحة بأن لكل حاجته أولا بقوله تعالى ( وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ) — الإسراء : ٢٦ ، وقوله تعالى ( في أموالهم حق معلوم للمسائل والمحروم ) — المعراج : ٢٤ ، وقوله تعالى ( في أموالهم حق للمسائل والمحروم ) — الذاريات : ١٩ ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ( من ترك كلاً ، فليأتني فأنأ مولاه ) أي من ترك ذرية ضعيفة فليأتني بصفتي الدولة فأنأ مسئول عنه كليل به ، وقوله ( من ترك ضياعا فعلى ضياعه ) .

وهذا الحق هو حق أبيه الذي يعلو فوق كل الحقوق ، وفي إنكاره أو إغفاله إنكار للدين نفسه لقوله تعالى ( أرايت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين — الماعون / — ٣ ) .

وقول الرسول ( ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم ) ، وقوله ( أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله ) ، وقوله ( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ) . ويعلق على الحديث الأخير الإمام ابن حزم في كتابه المحلى فيقرر أن ( من تركه يجوع ويعرى فقد أسلمه ) ، ويضيف ابن حزم أن للجائع عند الضرورة أن يقاتل في سبيل حقه في الطعام الزائد عند غيره ( فإن قتل الجائع فعلى قاتله القصاص ، وإن قتل المانع فعلى لعنة الله ) .

كما ان هذا الحق مقرر لكل مواطن فى المجتمع الإسلامى ، بغض النظر عن ديانته أو جنسيته ، ويروى أبو يوسف فى كتابه الخراج أن الخليفة عمر ابن الخطاب رأى شيخا يهوديا يتكفف الناس ، فسأله عن السبب فقال : الجزية والحاجة والسن ، فأمر عمر بطرح جزيته وأن يعال من بيت مال المسلمين ، وارسل الى خازن بيت المال ( انظر الى هذا وضربائه ، فوالله ما انصفناه أن نكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ) .

ولقد عبر الفقهاء القدامى عن هذا الحق باصطلاح حد الغنى أو حد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، بمعنى أن لكل انسان حاجاته الضرورية والتي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، بحيث اذا عجز لسبب خارج عن ارادته أن يوفى لنفسه الحد اللائق للمعيشة ، فان نفقته تكون واجبة فى بيت مال المسلمين أى فى خزانة الدولة . .

وانه متى توافرت لكل فرد من أفراد المجتمع حاجاته الضرورية من مأكسل وملبس ومسكن . . الخ مما يسميه رجال الفقه الإسلامى بحد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، فان التوزيع يكون بعد ذلك على أساس أن لكل تبعاً لعمله . فالقرآن يقول ( للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ) النساء / ٣٢ ، والحديث النبوى يقول ( لا بأس بالغنى لمن اتقى ) .

### عمر بن الخطاب يلخص نظرية التوزيع فى الإسلام

وقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب نظرية التوزيع فى الإسلام بقوله : ( ما من رجل الا وله فى هذا المال حق ، الرجل وحاجته . . والرجل وبلاؤه ) ، وقوله ( انى حريص على الادع حاجة الا سددها ما اتسع بعضها لبعض ، فاذا عجزنا تأسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف ) .

وفى أواخر أيام حياته حين بدأت تظهر طبقة معنى فى الغنى ، ولم تسعفه فى علاج الموقف ، قال كلمته المشهورة ( لو استقبلت من امرى ما استقبلت لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء ) .

### الإسلام لا يسمح بالغنى الا بعد كفالة حد الكفاية ، كما لا يسمح بالتفاوت الفاحش فى الثروة أو بالتترف .

ومؤدى ما تقدم أن الإسلام لا يسمح بالغنى الا بعد توفر حد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن . وبعبارة أخرى أنه لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر ، وانما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد ازالة الفقر والقضاء عليه نهائيا . ومن هنا فتحن مع القائلين أنه فى الظروف غير العادية حيث يعم الفقر وينتشر الحرمان ، لا يجوز لأحد أن يمتلك أكثر من حاجته . ويؤكد هذا قوله تعالى ( يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ) — البقرة : ٢١٩ ، والعفو هنا هو كل ما زاد عن الحاجة . وقول الرسول عليه السلام : ( اذا بات مؤمنا جائعا فلا مال لأحد ) (٧) ، وقول الرسول : ( ان الأشعرين اذا ارسلوا فى الغزو أو قل طعمهم عيالهم فى المدينة ، حملوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى اثناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم ) ، وقول الرسول فى سفر ( من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن

ان له فضل زاد غليعد به على من لا زاد له ) ويضيف الرواه أن الرسول  
كر من أصناف المال ما ذكرحتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل .  
كذلك فان الاسلام اذ يسمح بالغنى بعد ضمان حد الكفاية ، وذلك لكل  
بما لميله ، إلا انه لا يسمح بالتفاوت الفاحش فى الثروة كما لا يسمح بالترف .  
بالغنى والتفاوت فى الثروة والدخول ليس مطلقا فى الاسلام ، بل هو مقيد  
قيدتين أساسيين :

**أولهما** — الا يكون التفاوت فى الغنى كبيرا ، اذ من أكبر بواعث السخط  
والجرائم فى المجتمعات وتخلق الطبقة والصراع بينها ، التفاوت الفاحش وتركز  
الثروة فى يد فئة قليلة من الناس ، الامر الذى نهى عنه الاسلام بقوله تعالى  
: ( كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ) — الحشر : ٧ . وكشف عنه تصرف  
الرسول بتوزيع غنى بنى النضير على المهاجرين واثنين فقط من الانصار  
كانوا فقراء .

**ثانيهما** — الا يؤدي الغنى الى الترف لقوله تعالى ( واتبع الذين ظلموا  
ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ) — هود : ١١٦ . وقد علمنا التاريخ أن الشعوب  
حين تبدأ حياة الترف والمغالة ، فانه يكون ذلك ايذانا بغروب شمسها وأفول  
نجمها ، وصدق الله العظيم ( واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا  
فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) — الاسراء : ١٦ . وهو ما عبر عنه  
الرسول بقوله ( هو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا  
كما بسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما  
أهلكهم ) ، وقد حلل ابن خلدون فى مقدمته مبدأ كراهية الاسلام لاسلوب الترف  
بان من شأنه اشاعة السلبية والتكاسل ، وانه جرثومة القضاء على الحضارة .

• • •

لقد أدرك الاسلام منذ البداية ، أن مشكلة الفقر لن يحلها الاحسان ، ولن  
تتداركها الاجراءات الاصلاحية التى تستهدف تسكين الآلام أو تخفيف الحرمان ،  
بل لا بد من حل جذرى ، ومن هنا كانت نقطة البداية فى الاقتصاد الاسلامى ،  
بالإضافة الى الحث على اتقان العمل وزيادة الإنتاج ورفعته الى مرتبة العبادة ،  
ما قرره من ضمان حد الكفاية واذا به الفوارق بين الأفراد على نحو ما أشرنا اليه  
وسنعود الى ايضاحه .

---

١ — يذهب بعض المفكرين الى تفسير أحداث المجتمع بعامل واحد من العوامل المؤثرة فى  
حياة الإنسان ، ويعتبرونه العامل الأساسى فى أحداث التاريخ .

وهم يختلفون فى بيان هذا العامل — فبينما يرى فريق منهم كعيسى علماء الدين والاجتماع  
أنه العامل المينى أو الروهى ، يرى فريق آخر كعيسى علماء الاقتصاد وخاصة الماركسيين منهم بأنه  
العامل الاقتصادى ، بينما يرى فريق ثالث كعيسى علماء النفس وخاصة الفريسيين منهم بأن  
العامل الجنىسى .. الخ والواقع أن كل عامل من هذه العوامل وغيرها له دوره ، وانما غلبة  
أحد هذه العوامل وسيادته على العوامل الأخرى مرده ظروف الزمان والمكان . ولا شك أن العامل  
الدينى كان العامل المؤثر فى العصور الوسطى ، كما أن العامل الاقتصادى هو العامل المؤثر فى  
العصور الحديثة ، كما أن هناك مجتمعات يلعب فيها العامل الجنىسى دورا رئيسيا فى مجرى  
أحداثها .



- المال والبنون زينة الحياة الدنيا — الكهف / ٤٦  
 — ولا تقنونا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما — النساء / ٥  
 — قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة — الاعراف / ٣٢

## أحاديث :

- نعم المعون على تقوى الله المال ويقول : « نعم المال الصالح للعبد الصالح »  
 — طلب كسب الحلال غريضة ويقول : طلب الحلال جهاد  
 — من فقه الرجل أن يصلح مريضه ويقول : ما عال من اقتصد  
 وكان عليه السلام يناجي ربه بقوله ( اللهم أصنع لى دنياى التى فيها معاشى )  
 — ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الله فى طلب العيش .  
 — خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس .  
 — أتى أحدهم الرسول وعليه ثوب دون ، فقال له : « الك مال » ، قال : نعم ، قال :  
 « من أين » ، قال : أعطانيه الله عز وجل ، فقال الرسول : « أتاك الله مالا فليز أشر نعمته عليك » .  
 ويقول : إذا أوسع الله عليكم فاعسوا على أنفسكم .  
 — وسئل الرسول ، ان الرجل يحب أن يكون ملبسه حسنا ونعله حسنا ، فهذا من الكبر؟  
 فقال عليه السلام : « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر النعمة وغمط الناس » .  
 — كلوا واشربوا ولايسوا وتصدقوا من غير مخيلة أو سرف ، فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .  
 ويقول : كلوا أطيب الطعام واللبسوا أجمل الثياب واتملوا أحسن التعال وليبش الواحد منكم بين الناس وكأنه شامة .  
 ويقول : كل ما شئت واليس ما شئت ، ما خطأك اثنان أشراف أو بخله .  
 (٣) حين يقول القرآن « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » ، لا يعنى الإحاطة بكافة تفاصيل الحياة والمعرفة ، فليست تلك مهمته ، وإنما يعنى أنه لم يفرط فى شيء مما هو أساس فى تحديد القيم التى توجه الإنسان فى مختلف جوانبها ومراحل تطورها .  
 (٤) انظر الأستاذ محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، الطبعة الثالثة بيروت سنة ١٩٦٩ ، دار الفكر ، ص ٣٠٧ ، ٥٩٥ .  
 (٥) — انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور ابراهيم توفيق الطحاوى فى الفصل الخامس بغوائد مناصر الانتاج التى يقرها والتى لا يقرها الاسلام ص ١٧٣ ، ٢٢٥ من رسالة للدكتوراه ( مساهمة فى دراسة الاقتصاد الاسلامى مذهباً ونظماً ) ، والتى نوقشت بكلية التجارة جامعة الأزهر فى ٢١ مارس سنة ١٩٧٢ .  
 (٦) انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور صلاح الدين كامل فى مؤلفه أتمس علم الاقتصاد الاشتراكي ، دار المعارف بصر ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ ، ص ١٦١ وما بعدها .  
 وكذلك فى مؤلفه علم الاقتصاد ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٩٦٩ ، ص ٢٢٠ وما بعدها .  
 (٧) يعلق الأستاذ الدكتور على البارودي على ذلك الحديث بقوله ( أنه ما دام فى المجتمع جائع واحد أو عار واحد ، فان حق الملكية لاي فرد من أفراد هذا المجتمع لا يمكن أن يكون شرعيا ولا يجب احترامه ولا تجوز حمايته .. ومعنى ذلك أن هذا الجائع الواحد يسقط شرعية سائر حقوق الملكية الى أن يشبع . انظر كتابه دروس فى الاشتراكية العربية ، مكتبة المعارف ١٩٦٦ ، ص ٩٦ .

# ليلى

ملييك كل من ملك  
لييك ان الحمد لك  
ما خاب عبد سمالك  
لولاك يا رب هلك  
والملك لا شريك لك  
والساجحات فى الفلك  
كل نبى ومليك  
سبح اولى فلك

الهنىء ما اعداك  
لييك قد نبئت لك  
والملك لا شريك لك  
انت له حيث سمالك  
لييك ان الحمد لك  
والليل لما ان حلك  
على مجارى المنسك  
وكل من اهل لك

عجل وبادر اجلك  
لييك ان الحمد لك  
والحق والنعمة لك

يا مخطئاً ما اغفلك  
اختتم بخير عملك  
والملك لا شريك لك

للشاعر أبى نواس



# قول مقال مولد محمد صلى الله عليه وسلم

قبل بيعته صلى الله عليه وسلم ، رجاء أن يكون المسمى واحدا منهم . وذلك أنه لما قرب زمان بيعته وبشر أهل الكتاب به وبقرب بيعته ، سمى قوم أولادهم محمدا رجاء أن يكون هو النبي المبشر به . ومع اتفاق علماء السير والتاريخ على هذا فقد اختلفوا في عدد من سمى بهذا الاسم قبل البعثة . فقليل ثلاثة . وقيل ستة . وقيل خمسة عشر . وقيل عشرون . وإلى القارئ الكريم ما نقل عنهم في ذلك ..

ذكر السهيلي في الروض الأنف أنهم ثلاثة — محمد بن مجاشع — ومحمد بن أبيحسة — ومحمد بن حمران . والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

جافنا من الشيخ ( أحمد محمد أبو زيتحار ) عميد معهد القراءات الأزهرى بدمنهور وعضو بمئة الأزهر لتدريس علوم القرآن بالجامعة الإسلامية بأم درمان سابقا :

جاء في المصحد ٨٧ ربيع الأول ١٣٩٢ أبريل ١٩٧٢ ، في المقال الذي كتبه الأستاذ عبد الكريم الخطيب تحت عنوان « مولد محمد صلى الله عليه وسلم » ص ٨٦ س ١٩ ، ٢٠ « أن اسم محمد لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ولم يسم به عربى أو قرشى قبله » إلى آخر ما ذكره الأستاذ في مقاله ..

وهذا ليس بصحيح .. فقد ذكر علماء السير والتاريخ أن الاسم الكريم تسمى به أناس في الجاهلية

حصرهم في ستة لا سابع لهم كما قال . اتفق مع السهيلي في الثلاثة المذكورين وزاد عليهم محمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن البراء ومحمد بن خزاعي . وقد رد الحافظ ابن حجر في فتح الباري على القاضي عياض حصرهم في ستة كما رد على السهيلي ومن تبعه حصرهم في ثلاثة . . وقد جمع الحافظ ابن حجر أسماء من تسمى بذلك الاسم في جزء مفرد فبلغوا كما قال في الفتح نحو العشرين مع تكرار في البعض وهم في البعض الآخر . وخلصتهم بعد حذف المكرر ومن فيه وهم خمسة عشر شخصا وإلى القارئ الكريم أسألوهم مع بيان ضبطها وما ورد في ذلك :

١ - محمد بن عدى بدال مهلة ابن ربيعة من سواة - بضم السين - بوزن حذافة بن جشم - بضم الجيم وفتح الشين المعجمة - بن سعد . وسبب تسميته محمدا كما قال الحافظ في الإصابة نقلًا عن ابن شاهين من طريق المعلاء عن خليفة بن عبدة قال سألت محمد بن عدى كيف سماك أبوك في الجاهلية محمدا ؟ قال : أما أني سألت أبي عما سألتني عنه فقال خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا أحدهم وشعبان بن مجاشع . ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسماء بن مالك ويزيد بن جفنة الفسائي بالشام فلما (١) وردنا الشام ونزلنا على غدير وعليه سبرات (٢) وقريه قائم الدياراني . فقلنا لو اغتسلنا من هذا الماء وادھنا ولبسنا ثيابنا ثم أتينا صاحبنا ففعلنا . فاشرف علينا الدياراني (٣) فقال ان هذه للقة قوم ما هي بلغة أهل هذا البلد ، فقلنا

نحن قوم من مضر ، قال مسن أي المصائر ؟ قال قلنا من خندف . فقال أما انه سيبيعت منكم وشيكا نبي فسارعوا اليه وخذوا حظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين ، فقلنا ما اسمه ؟ قال ( محمد ) ، فلمّا انصرفنا من عند ابن جفنة ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا لذلك .

٢ - محمد بن أحيدة - بضم الهمزة وفتح الحامين - بن الجلاح - بضم الجيم وفتح اللام - مخففة - وهل أحيدة أبوه أم جده ؟ تردد في هذا الحافظ ابن حجر في الإصابة - وقال رايت في رجال الموطأ ان الأحيدة ابنا يسى عتبة ولعقبه ابن يسمى محمدا - فهو على هذا محمد ابن عتبة بن أحيدة .

٣ - محمد بن أسماء بن مالك بن حبيب . وقد عده أبو نعيم في الصحابة والصحيح . أنه لا صحبة له لانه مات قبل البعثة بدهر كما قاله الحافظ ابن حجر في الإصابة . .

٤ - محمد بن البراء بن طريف - بفتح الطاء وكسر الراء - بن عتوارة البكرى - بضم العين وكسر ها .

٥ - محمد بن الحرث بن حديج - بضم الحاء وفتح الدال .

٦ - محمد بن حرماز - بكسر الحاء وسكون الراء - وآخره زاي كما ضبطه الحافظ ابن حجر والعيني .

٧ - محمد بن حمران بن أبي حمران .

٨ - محمد بن خزاعي بن ذكوان السلمي يسمى محمدا طمعا في النبوة ذكر الطبري أن أبرهة الحبشي توّجه وأمره أن يغزو بني كنانة فقتلوه .

(١) أي ثلاثتهم لأن ابن جفنة كان بالشام .  
(٢) سموات جمع سمرة شجر الطلح .

(٣) الدياراني نسبة إلى الديار على غير قياس والنسبة إليه الديري كما هو معروف .

٩ - محمد بن خولة الهمواني  
- بفتح الحاء وسكون الواو .  
١٠ - محمد بن شعبان بن  
مجاشع التميمي .

١١ - محمد بن الجهم الأزدى  
واختلف في ضبط اسم أبيه (اليحمد)  
فقيل بفتح الياء وسكون الحاء وضم  
الميم وقيل بضم الياء وسكون الحاء  
وكسر الميم ، وبهذا ضبطه الامام  
النووي في شرح مسلم وأبو على  
الفساني في كتابه تنقيح المهمل وابن  
ماكولا . زاد ابن ماكولا أن أصحاب  
الحديث يضبطون كذلك لكنهم يسمون  
الميم .

١٢ - محمد بن يزيد بن عمرو بن  
ربيعة التميمي .

١٣ - محمد بن الأسدي بضم  
الهمزة وفتح السين ، ذكر الأخيرين  
ابن سعد ولم ينسبهما بأكثر من ذلك .

١٤ - محمد الفقيمي - بضم الفاء  
وفتح القاف وسكون الياء .

١٥ - محمد بن عمرو بن مخفل -  
بضم الميم وسكون الفسين وكسر  
الفاء .

هذا ولم يدرك الاسلام من هؤلاء  
الا محمد بن عدى وتقدمت قصته  
وسبب تسميته محمداً ، والا محمد بن  
البراء والا محمد بن مسلمة الأنصاري  
.. وهذا الأخير ذكره القاضي عياض  
نمن سمي محمداً في الجاهلية

والمتتبع لما كتبه الحافظ في الأصابة  
يدرك أنه ولد قبل البعثة باثنتين  
وعشرين سنة كما قال الواقدي فتكون  
ولادته بعد ميلاده صلى الله عليه  
وسلم بثمان عشرة سنة ولهذا لم  
يفكره الحافظ ابن حجر فيمن سمي  
بهذا الاسم .. وأيا ما كان الأمر فهو  
بدرى من فضلاء الصحابة ومن  
اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل  
ولا صفين وكان عمر رضى الله عنه  
يعده لكشف العضلات . وأعطاه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
سيفاً وقال له قاتل به المشركين  
ما قاتلوا فإذا رأيت أمي يضرب  
بعضهم بعضاً فأت به أحداً فاضرب به  
حتى يتكسر ثم اجلس لى بيتك حتى  
تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية ..  
ففعل . قال في الأصابة ودخل عليه  
رجل من أهل الشام من أهل الأردن  
في داره فقتله .

وصدقت نبوءة الرسول في قتله  
بيد خاطئة واختلف أهل السير في  
أول من تسمى بهذا الاسم الكريم .  
فقيل محمد بن أحبحة . وقيل محمد  
ابن شعبان بن مجاشع التميمي .  
وقيل محمد بن الجهم الأزدى . وقد  
صان الله سبحانه الاسم الكريم أن  
يدعى أحد ممن تسمى به قبل بعثته  
النبوة أو يدعيها أنسان له وتلك  
مكرمة كرم الله بها محمداً صلى الله  
عليه وسلم .

.....

### وقد أرسلنا هذه الرسالة للاستاذ عبد الكريم الخطيب فاجاب :

التبى محمد صلى الله عليه وسلم .  
وقد جاء في تعقيب الاستاذ  
أبو زيتجار على هذا المقال أنه ليس  
بصحيح ما قلته من « أن اسم محمد

اظهرت على الرسالة التي بعث  
بها اليكم الاستاذ أحمد محمد أبو  
زيتجار ، تعليقا على مقال المنشور  
بالعدد ٨٧ تحت عنوان : « مولد

لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسم به عربى أو قرشى قبله . ومع أنى لم أقل هذه العبارة التى نسبها الأستاذ الى ، بل ان الذى قلته هو ما نصه حرفيا : « ولأول مرة تتحرك الشخصية فى قرشى بكلمة ( محمد ) ولأول مرة يطرق اسماعها أن من أبائها من يسمى (محمد) » .

« ومع أن العرب قد استولدت فى لغتها من حروف هذا الاسم كلمات كثيرة كانت تدور فى محاوراتها ومساجلاتها وأشعارها ، كالحمد ، والمحمدة ، والحمد ، والحمد ، والمحمد ، وغيرها فإنها لم تتخذ اسم ( محمد ) علما تطلقه على غلمانها من أحرار أو عبيد » .

وواضح من هذا أن العبارة التى نسبها الأستاذ الى فيها قطع وجزم بأن اسم ( محمد ) لم يسم به عربى أو قرشى قبل رسول الله ، على حين أن عبارتى ليس فيها هذا القطع بالنفى المطلق ، وإنما هو نفى لا يمنع من احتمال وقوع بعض أفراد المنفى، ولكن على ندرة لا يعتد بها الى جانب الشائع المتداول من الأسماء ..

— أقول : مع هذا ، غانى أتجاوز عن هذا الفرق الدقيق بين عبارتى ، والعبارة التى نسبها الأستاذ أبوزيتحار الى ، وأقبل أن تكون كلمته ترجمة صادقة لعبارتى .. فأقول : « أن اسم محمد لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسم به عربى أو قرشى قبله » !

فماذا فى هذا .. ؟

لقد خُطأ الأستاذ هذه المقولة ، وذكر أن علماء السير والتاريخ قالوا بأن الاسم الكريم قد تسمى به أناس

فى الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لما قرب زمان مبعثه وبشر أهل الكتاب به وبقرّب مبعثه ، سمى قوم أولادهم محسدا رجاء أن يكون هو النبى المبشر به .

ثم أتى الأستاذ على مقولات هؤلاء العلماء ، وما وقع من اختلاف بينهم فى عدد من تسموا بهذا الاسم ، فمن قائل : أنهم ثلاثة ، وقائل : أنهم ستة ، الى قائل : أنهم عشرون !

وانى أوجز ردى على هذا التعميب فيما يلى :

**فأولا :** هذه المقولات التى نقلها الأستاذ عن علماء السير والتاريخ حول من تسمى بمحمد قبل النبوة حول من تسمى بمحمد قبل النبوة ، أو قبل المولد النبوى — هذه المقولات ، وكثير غيرها كانت بين يدى عند كتابة هذا المقال ، بل وكانت موضع دراسة خاصة فى كتابى الذى نشرته لى دار الفكر العربى بالقاهرة فى سنة ١٩٦٣ تحت عنوان : « النبى محمد ، انسان الإنسانية ونبى الانبياء » .

وفى فصل من فصول هذا الكتاب تحت عنوان : « الاسم والمسمى » من صفحة ٢٤ الى صفحة ٤٤ ، ذكرت قول القاضى عياض فى كتابه ( الشفا ) ونصه : « أما ( أحمد ) الذى أتى فى السكتب ، وبشرت به الدنيا ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك .. وكذلك اسم محمد أيضا ، لم يسم به أحد من العرب أو غيرهم الى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم (محمدا) وميلاده أن نبيا سيبعث اسمه (محمد) فسمى قوم قبيل من العرب أبناءهم

اليه قوله تعالى على لسان السيد المسيح الى بنى اسرائيل : « واذا قتل عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ( ٦ : الصف ) .. فلو ان العرب الجاهليين اخذوا بها بشر به أهل الكتاب — من اليهود والنصارى — عن النبى المرتقب ، ونازعتمهم انفسهم ان يروا — حوا مواليدهم لهذه النبوة ، لتواردوا على اسم ( أحمد ) لا ( محمد ) !

ومنها : أن هذه الاسماء التى ذكرها علماء السير والتاريخ عن تسبوا باسم ( محمد ) فى الجاهلية — هى أسماء للنكرات ، لم يعرف لاسم من ذكر فى هذا المقام شأن فى الحياة الجاهلية ، فليس فى هؤلاء المحبين شاعر ، أو فارس ، أو حكيم ، أو خطيب ، أو كاهن ، ممن بقى فى ذاكرة العرب بعض آثارهم وأخبارهم الى أن جاء الاسلام ، وبدأ عصر التدوين ..

والسؤال هنا : كيف يحتفظ التاريخ الجاهلى بهذه الاسماء النكرات لا لشيء الا لأن أصحابها تسبوا باسم النبى قبل مولده .. ؟ وكيف عثر عليها علماء الآثار فى غبار الزمن الذى عفى على حياة العصر الجاهلى .. ؟

لقد ضاع كثير من معالم الجاهلية وآثارها ، وما بقى من تلك الحياة ، سواء فى الأشخاص ، أو الآثار التى خلفوها ، قليل قليل الى جانب هذا الكثير الذى ذهب فى رمال الصحراء فكيف — والحال كذلك — يحتفظ بهذه الاسماء . وأنسابها ، وليس لأحد من أصحابها شأن يذكر به .. ؟

ذلك لا شك أثر من آثار الوضع

بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو ، و ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) ثم حمى سبحانه كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها أحده ، أو يظهر عليه شيء يشكك أحدا فى أمره ، حتى تحققت المبستان — أى الاسمان — له صلى الله عليه وسلم .

هذا ما قرره القاضى عياض فى هذه القضية ، فى شأن من تسبوا بمحمد قبيل ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم .. ومع أن القاضى عياض من أوثق وأدق من كتب فى المسيرة النبوية ، فقد رأيت رد مقولته هذه ، لما فيها من اضطراب وتنساقض .. حيث يقول ان الذى أتت به الكتب — السماوية — وبشرت به الدنيا ، اسمه ( أحمد ) ، ثم يقول بعد هذا : انه شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا سيعت اسمه (محمد) .. فمن أين جاء اسم محمد ، والذى فى الكتب السماوية أنه أحمد .. ؟ ليس فى هذا تناقض بين المقدمة والنتيجة .. ؟

**وثانيا :** لم اعول اذن على قول القاضى عياض ، ولا غيره من كتاب السير والتاريخ ، ممن قالوا بأن بعض العرب قد تسبوا أبناءهم باسم محمد قبيل مولد النبى ، الذى بشر به أهل الكتاب ، رجاء أن يكون أحد المسلمين هو النبى المنتظر ..

نعم ، لم اعول على هذه المقولات ، وذلك لأمور :

منها : أن النبى المبشر به فى الكتب السماوية عند أهل الكتاب اسمه ( أحمد ) لا ( محمد ) وأن كان الاسمان من مورد واحد ، يرادف أحدهما الآخر .. وهذا ما يشير

بينهم » ( ٢٦ : الفتح ) ، ويقول  
تبارك اسمه : « ما كان محمد أباً أحد  
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم  
النبيين » ( ٤٠ : الاحزاب ) ويقول  
جل وعلا : « وما محمد الا رسول  
قد خلت من قبله الرسل » ( ١٤٤ :  
آل عمران ) ؟

ومنها : ان أصحاب الاسماء التي  
ذكرها المؤرخون وكتاب السير لمن  
تسموا بمحمد ، ليس فيهم واحد من  
قريش ، أصحاب الرئاسة الدينية  
على العرب ، وأهل البلد الحرام ،  
وسنة البيت الحرام ، وأكثر العرب  
اتصالا واحتكاكا بأهل الكتاب ، في  
تجارتهم الى الشام واليمن — فلو أنه  
كان قد وقع للعرب أن نبيا سيبعث  
فيهم ، اسمه ( محمد ) — أمها كان  
من منطق الواقع أن تكون قريش هي  
المتطلعة الى هذا الشرف ، فيشيع في  
مواليدها اسم ( محمد ) وأن يكون  
في كل بيت من بيوتها المتنافسة على  
الشرف والسيادة ، أكثر من اسم  
لمحمد ، لعل النبوة أن تصادف واحدا  
من أبنائها المسلمين بهذا الاسم ؟ ثم  
لو كانت هذه النبوة معروفة في  
قريش ، أو واقعة موقع الجد منها —  
أما كان الاولى عند عبد المطلب —  
جد النبي — الذي سمي حفيده بهذا  
الاسم أن يسمى به ( حمزة ) ابنه ،  
الذي كان مولده مقاربا لولد النبي ؟

ومنها : هذا التاريخ الثابت لعصر  
النبوة ، وهذه الاسماء لرجال هذا  
العصر من مسلمين ومشركين من  
قبائل العرب كلها — هل يذكر في  
هذا العصر أحد اسمه ( محمد ) غير  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وبعد ، فان هذا الامر أوضح من  
أن يذل عليه ، أو يدافع عنه ، إذ  
يشهد له القرآن الكريم شهادة

الذي عمل له أصحاب المنازع  
الفاصلة ، والأهواء المضللة ، والذي  
أعان عليه أمية العرب في جاهليتهم ،  
وعدم وجود تاريخ مقيسد لأثارهم  
وأخبارهم ، ففتح ذلك أبوابا واسعة  
دخل منها ذور النبات المسميئة ،  
والطوايا الخبيثة ، فاستبلوا من هذا  
الفساغ ما أملت عليهم أهواؤهم ،  
دون أن يعقب عليهم من معقب ، أو  
يحاكمهم الى مرجع ثابت ، أحد !

ومنها : أن من أكرام الله تعالى  
لعبد من عباده المقربين أن يفرد  
سبحانه باسم لم يقسم به أحد قبله ،  
كما كان ذلك منه سبحانه وتعالى  
ليحيى عليه السلام ، إذ يقول  
سبحانه : « يا زكريا .. انا نبشرك  
بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل  
سميا » ( ٧ : مريم ) .. فإذا كان  
ذلك ليحيى عليه السلام ، أفلا يكون  
مثله لمحمد صلى الله عليه وسلم ،  
خاتم النبيين ، وصفوة المرسلين ؟

ومنها : أن القرآن الكريم ذكر  
النبي — صلوات الله وسلامه عليه  
— بالاسم (محمد) الذي سمي به يوم  
مولده ، والذي عرف به في قومه ،  
ولم يذكره بالاسم الذي سماه تعالى  
به في التوراة والانجيل ، وهو  
( أحمد ) ..

فإذا كان سبحانه قد حوى اسم  
( أحمد ) المبشر به قبل مولده من أن  
يسمى به أحد قبله ، تشريفا وتكريما  
له — صلوات الله وسلامه عليه —  
أفلا يكون من الاولى أن تقوم هذه  
الحياة على الاسم الكريم ( محمد )  
الذي هو سمة ( محمد ) في قومه ،  
والذي خاطبه به الله سبحانه وتعالى  
في كتابه الكريم ، حيث يقول  
سبحانه : « محمد رسول الله ،  
والذين معه أشداء على الكفار رحماء



الشوائب التي التي بها هي عبايه  
 الزخار أعداء الاسلام ، وخامسة  
 اليهود الذين لم ينقطع كيدهم لدين  
 الله من عهد رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم الى اليوم ، ولن ينقطع  
 أبدا ، وقد نبه الله تعالى نبيه الكريم  
 والمسلمين الى هذا الكيد ، المنبعث  
 من عداوة مضمرة ، لا تنطفئ نارها  
 أبد الدهر ، حيث يقول سبحانه في  
 كتابه الكريم : « وإذا رأيتم تمجيك  
 أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم ،  
 كأنهم خشب مسندة يحسبون كل  
 صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ،  
 قاتلهم الله أنى يؤفكون » ( ٤ :  
 المنافقون ) .

وإذا كان لنا من أمنية تمنناها على  
 الجامع العلمية ، في كل قطر من  
 أقطار أمتنا الإسلامية والعربية ، فهي  
 التصدي لهذا العمل العظيم قبل كل  
 شيء ، وذلك بتتقية هذا الغناء الكثير  
 الذي يحمله تراثنا المجيد ، حتى  
 تصفو موارده للواردين ، وتتكشف  
 حقيقة جوهره الكريم لأعين  
 الناظرين .

والله يقول الحق وهو يهتدي  
 السبيل .

قاطعة ، ثم يجيء من بعد القرآن ،  
 هذا التاريخ الثابت لعصر النبوة ،  
 حيث يخلو خلوا تماما من صحابي أو  
 مشرك كان له اسم ( محدد ) ! فأتين  
 ذهب أصحاب هذه الأسماء من  
 المحمدين الذين ذكرتهم كتب التاريخ ؟

وإذا كان لنا من قول نقوله بعد  
 هذا ، فهو عن هذه المرويات ، وتلك  
 الأخبار التي دست على تراثنا  
 الإسلامي والعربي ، في كتب  
 التفسير ، والحديث ، وفي كتب  
 السير والأخبار ، والتي نزلت من  
 قلوبنا وعقولنا منزل التقديس لكل  
 كلمة فيها ، أما لجلال الموضوع الذي  
 دست فيه ، وأما لمكانة الشخصية  
 التي دست عليها ، الأمر الذي عطل  
 عقولنا عن النظر فيها ، فقبلناها على  
 علانها ، وأقمنا بها هيما عليها ،  
 وهابناها بمعاملة الحقائق الثابتة التي  
 بنى عليها عقيدتنا ، وكان من ذلك  
 أن وقع كثير منا في هذه البلبلة التي  
 نشأت أو ننشأ من هذا الانفصال  
 والتناقض بين حكم العقل ، ومنزع  
 الوجدان .. !

إن الأمر يحتاج الى مراجعة لهذا  
 التراث العظيم ، لتخليصه من تلك



# مائدة الفارسي

ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا  
ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم  
يشكرون .. (قرآن كريم)

## فضل اهل المدينة

اهل المدينة جيرة رسول الله  
وعمار مسجده وسكان بلده  
والرابطون فى حرمة متى استقاموا  
وصلحوا كانوا اعلى الناس قدرا  
ووجب احترامهم ولزمت محبتهم وقد  
حذر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من ايذاهم فقال لا يكيد اهل  
المدينة احد الا ائباع كبا ينماع الملح  
فى الماء ودعا لهم بالبركة فى ارزاقهم  
فقال اللهم بارك فى مكياهم وبارك  
لهم فى صاعهم ومدهم .

## عشر حسنات

قال ابن ابي ليلى انى لاساير رجلا  
من وجوه اهل الشام اذ مر بحمال  
معه رمان فتناول منه رمانا فجعلها  
فى كفه فمعجت من ذلك ثم رجعت  
الى نفسى وكذبت بصرى حتى مر  
بسايل فقير فاخرجها فتناوله اياها  
فقلت له : رايتك قد فعلت عجا .  
قال وما هو قلت : رايتك اخذت  
رمانة من حمال واعطيتها سائلا ..  
قال : اخذتها وكانت سيئة واعطيتها  
مكانت عشر حسنات .

## اولادنا

غضب معاوية مرة على ابنه يزيد فارسل الى الاحنف بن قيس  
ليسأله عن رايه فى البنين فقال : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن  
لهم ارض ذليلة وسمااء ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم  
فانهم يمنحونك ودهم ويحبونك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك  
ويحبوا وفاتك ..

فقال معاوية : لله انت يا احنف لقد دخلت على وائى لملوء غضبا  
على يزيد فسئلته من قلبى ..

### دعاء البيت

اللهم أنت السلام ومنك السلام هبنا ربينا بالسلام اللهم زد هذا البيت تعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من حجه واعتبره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا .

( حديث صحيح )

### عدد المسلمين

بلغ عدد المسلمين في العالم ( ٧٣٢٩٨٦٠٠٠ ) وذلك نتيجة أحدث احصاء وينظر أن تصدر إحدى الهيئات الإسلامية بحثا شاملا في هذا الموضوع يتناول عدد المسلمين وعدد السكان الاجمالي واللغات الرسمية ونسبة المسلمين الى عدد السكان الاجمالي .

### بر وادب

جاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد أن يكتب الى أبيه كتابا يخبره بوصوله فلم يجد أحدا يعرفه فانهدر بالكتاب الى أبيه وقال : كرهت أن يبطئ عليك خبري ولم أجد أحدا يجيء بالكتاب فجئت أنا به ثم دفعه اليه .

### زوجها

روى أن رجلا أصابت أخته فاحشة فأمرت الشفيرة على ادراجها — حاولت الانتحار — فادركوها فداووها حتى برأت ثم أن عمها انتقل بأهله الى المدينة فقرأت القرآن فنسكت حتى صارت من أنسك نسائهم فخطبها بعض الناس من عمها وكان يكره أن يفش الخطاب كما كان يكره أن يفشى على ابنة أخيه ..

فأتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فذكر له ، فقال عمر — لسو أخشيت لعائشك ، إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوجها ..

### جحا

جحا اسم لا ينصرف لانه معدول من جاح مثل عمر من عابر يقال جحا يجحو جحوا اذا رمى ويقال حيا الله جحوتك أى وجهك .

### طلحة الطلحات

هو طلحة بن عبيد الله التيمي من الصحابة ومن المهاجرين الاولين ومن العشرة المبشرين للجنة ويكنى أبا محمد ويقال له طلحة الخير وطلحة الفياض رضى الله عنه .

# مجمع البحوث الإسلامية بين الأمل والواقع

للاستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

لا شك أن مجمع البحوث الإسلامية يظهر من مظاهر الحركة الإسلامية المعاصرة ، وإذا كان من اللازم لتتهم حركة تاريخية معينة أو مظهر من مظاهرها أن نحاول التعرف على جذورها التي تغرب في أعماق الماضي البعيد أو القريب ، فإنه يكفي في هذا المقام أن نشير إلى جذور هذا « المجمع » التي تمتد إلى حلقات العلم التي انعدت في أرجاء المجتمع الإسلامي منذ ظهور الدعوة الإسلامية .

ولسنا هنا في مقام الإفاضة في بيان تطور مظاهر هذه الحلقات العلمية على مدى أربعة عشر قرناً ، أو بيان أوجه العلاقة بينها وبين المجتمع ، أو بينها وبين الدولة ، أو بينها وبين الحضارة بوجه عام ، ولكنه يكفي أن نلمح العلاقة الاضطرابية التي قامت بين تقدم المجتمع أو الدولة أو الحضارة الإسلامية ، وبين تقدم مراكز العلم والثقافة في ظل هذه الحضارة ، حيث يقوم بين الطرفين ترابط عضوي وثيق .

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نلاحظ حركة العجز التي أصابت الحضارة الإسلامية إثر النزيف الطويل الذي كان من نتائج الحروب الصليبية — برغم ما أحرزه المسلمون فيها من انتصار نهائى — ثم ما أصاب كيان هذه الحضارة من خمول وتمزق إثر الغزو الاستعماري الحديث ، وكان لنا — تبعاً لهذه الملاحظات — أن نلاحظ ما صاحب ذلك كله من مظاهر القصور في الحركة الفكرية الإسلامية بوجه عام .

وإذا كانت حركة العجز التي أشرنا إليها قد وصلت إلى غايتها بوصول الاستعمار الأوربي إلى عنفوانه في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ودخول هذا الاستعمار في طور جديد ينذر ببداة زواله ، فإنه من الملاحظ أيضاً أن ذلك كان مصحوباً ببداة حركة إسلامية تحاول بعث العقلاق الإسلامي من سباته ، وتضهير جراحاته ، ودفعه إلى حيث يحتل مكانه اللائق به في موكب التاريخ .

ولقد تمثلت إرهابيات هذه الحركة فى فكر الألفانى ودعوته الى الجامعة الإسلامية ، كما تمثلت فى كتابات الكواكبي وأحلامه فى « أم القرى » ، وفى فلسفة محمد عبده وخطه فى التربية الإسلامية ، لكنها لم تتعد هذا النحو من التحرك النظرى ، وظلت فى إطار الدعوة والحلم ، الى أن ظهر مجمع البحوث الإسلامية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كنواة للتجمع الإسلامى المنشود ، وكتجسيد حى للخطوة الأولى على الطريق .

وإذا كانت التربة التى ظهر فيها مجمع البحوث الإسلامية هى تربة الأزهر بما له من ماض عريق يمتد الى أكثر من ألف عام حافلة بالعمل من أجل إثراء الفكر الإسلامى وربط الشعوب الإسلامية برباط وثيق يعلو على تيارات السياسة واهتزازاتها فإنه يلزمنا أن نشير الى أن المجمع لم يكن هو التجربة الأولى للأزهر فى هذا المجال ، ولقد كانت له تجربة تربية العهد ، تمثلت فى « هيئة كبار العلماء » التى حل محلها المجمع ، وكانت شبيهة بالمجمع فى كونها الهيئة العلمية التى تتركز فيها قمة النشاط العلمى للأزهر ، وإن زاد عليها المجمع فى اختصاصاته ، وطبيعة تكوينه ، وخطة نشاطه .

ولا يفوتنا — لكى نستكمل صورة البيئة الفكرية التى نشأ فيها المجمع — أن نعرب عن رأى القائل بأن ظهور هذا المجمع إنما كان انحيازاً لوجهة نظر ترى أنه ينبغى أن يسبق ظهور الدولة الإسلامية ، أو الجامعة الإسلامية على وجه من الوجوه بظهور دراسات واسعة وأبحاث عميقة ، تشمل جميع أوجه الحياة الإسلامية ، وتسبر أغوارها ، وتقدم المستقبل المأمول لها فى صورة الممكن ، وترد على أعداء « النمط الإسلامى للحياة » الذين يدعون استحالة فى الحياة المعاصرة ... وذلك ضد وجهة نظر مقابلة رأت أن نقطة الانطلاق فى بناء الحياة الإسلامية لا تتركز فى إجراء هذه الأبحاث والدراسات النظرية بقدر ما تتركز فى التغيير العملى للمسار المنحرف الذى وقعت الحياة الإسلامية أسيرة له منذ وقت بعيد ، وبقد ما تتركز فى التأثير على السلطة ، أو الاستحواذ عليها ، واستخدامها لمصلحة هذا التغيير .

وعلى ضوء هذه الفكرة الأساسية كان الطابع الغالب لمجمع البحوث الإسلامية — وكما يتبين من اسمه — هو توجيه المهمة نحو إجراء البحوث والدراسات النظرية .

ومن هنا جاء فى قانون إنشائه الصادر عن مجلس الأمة للجمهورية العربية المتحدة — إبان الوحدة بين مصر وسوريا — فى عام ١٩٦١ م ما يأتى :

« مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب ، وأثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الاصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ، وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيها يجد من مشكلات مذهبية ، أو اجتماعية تتعلق بالمعتقد ، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالية والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها . »

ومن هذا المنطلق استهل مجمع البحوث الإسلامية نشاطه بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤ ، وقدم فيها مجموعة ضخمة من البحوث التى تناولت أوجه الفكر الإسلامى ، ومختلف نواحي الحياة الإسلامية ، وكان من واجبه أن يركز فيها على ما يمكن أن تقدمه هذه البحوث من دليل ، ليس فحسب على

ضرورة بحث « النمط الاسلامى للحياة » بل على إمكان هذا البحث أيضا .  
 وحرص المجمع على إصدار بحوثه تلك — باللغتين العربية والانجليزية —  
 فى مجلدات ، يضم كل منها مجموعة البحوث التى ألقيت فى مؤتمر من مؤتمرات  
 التى تعقد سنويا تقريبا ، وبلغت ستة مؤتمرات حتى تاريخ كتابة هذه السطور ،  
 — وربما يكون المؤتمر السابع قد تم انعقاده عند نشرها — واشتملت على  
 دراسات فى : أصول التشريع ، والاجتهاد ، وتحديد الملكية ، والموارد المالية فى  
 الاسلام ، والمعاملات المصرفية ، والتأمينات ، والزكاة ، والصدقة ، واستثمار  
 الاموال فى الاسلام ، والاقتصاد الاسلامى وعلاقته بأنواع الاقتصاد المعاصر ،  
 وكفاية الشريعة فى تثبيت التعامل واستقراره ، ونظرة الاسلام الى العقوبات ،  
 والعلاقات الدولية ، ومكانة المرأة فى الاسلام ، وتنظيم الاسرة ، وتحديد النسل ،  
 وتحديد أوائل الشهور العربية ، وعوامل انتشار الاسلام ، وواجب المسلمين نحو  
 القضية الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلى ، وموقف اليهود من الاسلام والمسلمين ،  
 والدعوة الى الجهاد فى سبيل الله .

كما تناولت هذه البحوث : العقيدة الاسلامية ، ودلائل إثباتها بين النصيين  
 والعقلانيين ،

والقرآن والتربية الاسلامية ، والقرآن وتجديد المجتمع .  
 وتربية الشباب على مبادئ الاسلام .  
 وشخصية المسلم ،  
 وفلسفة الحرية ،

وموقف الاسلام من الرق ، ومقومات الحضارة الاسلامية واثرها فى رقى  
 البشرية .

والاسلام والعلم ، وتفسير القرآن فى ضوء المكتشفات العلمية الحديثة .  
 ووظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر .  
 ووسائل المحافظة على القرآن الكريم ، ومنزلة السنة النبوية .  
 وحقوق الانسان فى الاسلام .

وإنه ليتبين من هذه الاشارة العاجلة الى الموضوعات التى عالجتها  
 مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية فى الفترة من عام ١٩٦٤ — ١٩٧١ انها تمتد  
 على أفق واسع من جهات البحث فى الفكر الاسلامى ، وإذا كانت هذه البحوث  
 أو بعضها — فى رأى البعض — لا يرتفع فوق مستوى النقد — سواء كان ذلك  
 من ناحية أولويات البحث ، أم من ناحية العمق فيه — فلقد كان العذر واضحا  
 متبذلا فى المجلة التى اضطر اليها المجمع إزاء الإلحاح الذى لم يكن له أن  
 يتجاهله ، والذى تمثل فى مطالبة رأى العام له بأن يقدم إنتاجه العلمى إثر  
 إنشائه مباشرة ، الامر الذى لا يتفق مع الترتيب السليم الذى ينبغى الأخذ به  
 فى مجال البحث فى هذه الهيئة العلمية وأمثالها ، والذى يقضى بأن تمر البحوث  
 فى أطوار : من العرض على الأروقة ، ثم الصعود بها الى اللجان الاساسية ،  
 ثم الى مجلس المجمع الذى يضم أعضائه والذى ينعقد مرة كل شهر ، ثم ينتهى  
 بها الامر بعد ذلك الى أن تصب فى مؤتمر المجمع الذى ينعقد مرة كل عام ، لتبين  
 عنها القرارات والتوصيات وقد استكملت عودها ، ونالت حظها من المناقشة  
 والتدقيق والتحصيص وتبادل أوجه النظر .

وإذا كانت ظروف المجمع فى سنواته الاولى اقتضت أن يسلك غير هذا  
 السبيل ، فلقد كان ذلك ضروريا من الوجهة العملية ليتعرف المجمع — من واقع

مناقشاته وبحوثه التي طرحها في مؤتمراته الاولى — على الخطة العلمية التي ينبغي عليه أن يضعها ، وأن يشغل بها قاعدته من الأروقة واللجان ، ومن ثم كان المسلك الذي اضطر اليه هو المدخل الواقعي إلى العمل المنظم الذي أشرنا إليه سابقا .

وعلى هذا الاساس يمكننا أن ننبه إلى أن المجمع لم يكن غافلا عن هذا الاسلوب المنظم للعمل ، وكان حريصا على الانتقال إليه فور تمكنه منه ، كما كان حريصا على استغلال ظروف سنواته الاولى واستخدامها من أجل وضع خطة علمية مرحلية منبثقة من واقع المناقشات والتوصيات التي أثرتها مؤتمراته الاولى ، وقد تبين المجمع من وضع هذه الخطة ، وكلف أروقتة ولجانه بالعمل في إنجازها ، لتكون بعد ذلك محل الدراسة في مجلسه الشهري ، ثم في مؤتمره السنوي .

وبذلك فإن المجمع لا يكون قد تغلب على ظروف نشأته وما صاحبها من تعجل ، ووضع قدمه على الطريق الصحيح لمحبس ، وإنما يكون قد اكتسب من واقع هذه الظروف ميزة أن تكون خطته العلمية المطروحة أمام الأروقة الفرعية واللجان الاساسية منبثقة عن مؤتمره ، فضلا عن أن تصب فيه .

وقد وزع المجمع خطته على لجان مكونة من أعضائه ، يتفرع عن كل منها عدد من الأروقة أو اللجان الفرعية التي تتكون من الباحثين والخبراء الذين يستعين بهم المجمع من غير الأعضاء وهذه اللجان الاساسية تتصدى لمختلف فروع البحث : في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والبحوث الفقهية ، والتعريف بالاسلام ، وإحياء التراث الاسلامي ، والحضارة والبيئات والمجتمعات الاسلامية ، والعقيدة والفلسفة .

كما تكونت لجان ذات مهام معينة أو مؤقتة ، كلجنة وضع التفسير الوسيط ، ولجنة الرد على السلسلة التي تهاجم الاسلام باسم « دروس قرآنية » و « في سبيل حوار اسلامي مسيحي » ، ولجنة وضع دائرة المعارف الاسلامية . وقد جاء في خطة اللجان الاساسية مجموعة من الموضوعات الرئيسية الهامة التي لا شك أنها تشغل بال المسلمين وقادتهم ، فضلا عن أن الوصول فيها — أو في بعضها — إلى حل أو نتيجة من شأنه أن يساعد المجتمعات الاسلامية في التعرف على طريق المستقبل .

ومن أهم هذه الموضوعات التي نود أن نضعها تحت نظر القارئ : وضع تعليق على بأعلام الثقات المتخصصين على ما يكون في كتب التفسير من إسرائيلييات لبیان وجه الحق في موضوعها . وضع قاموس موسوعي للقرآن الكريم . المكتبة في القراءات وجمع القرآن ودحض ما يدور حول ذلك من دراسات منحرفة وشبهات . وضع موسوعة مفهومة للسنة النبوية .

جمع الاحاديث التي يظن أن ظاهرها غير مراد ، والعمل على تحقيقها وشرحها .

وضع خطة عامة للدعوة الاسلامية في العصر الحاضر تلتزم بها مؤسسات الدعوة ، وتقوم على أساس دراسة وسائل وخطط التبشير المضاد للاسلام ، ودراسة العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام تاريخيا ، ودراسة البيئات الثقافية في العصر الحاضر من حيث استعدادها للتجاوب مع الدعوة الاسلامية . وضع دراسة تصنيفية وتقويمية للتراث الاسلامي ووضع اولويات في

عملية إحياء هذا التراث ، واعتاد قوائم لهذه الأولويات فى مختلف أنواع المعارف والفنون الإسلامية .  
دراسة أنواع التعامل الحديث ، فى التأمينات ، والمعاملات المصرفية ، وأنواع الاستثمار .

تقنين الشريعة الإسلامية .  
دراسة البنائات الإسلامية المعاصرة من نواحيها المختلفة : الإحصائية والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية .

دراسة المقومات الثابتة والمتطورة للحضارة الإسلامية .  
دراسة التحديات والانحرافات الفلسفية والعقيدية التى يواجهها الإسلام فى العصر الحاضر ، ومواجهتها بالتنفيذ والرد .

دراسة العلاقة بين الإسلام والعلم ، وبين الإسلام والعقل .  
ودراسة دور التصوف الإيجابى فى إعادة بناء المجتمع الإسلامى .  
دراسة قضايا علم النفس والاجتماع والتربية المعاصرة ذات الصلة بالنواحي الأخلاقية والدينية .

هذه هى الخطة العلمية التى وضعها المجمع ووكل الى أروقته ولجانته العمل على تنفيذها .

وهنا نود أن نبين أن التجربة دلت على أن المجمع محتاج الى أن يعيد النظر فى ظروف عمله التى تحيط بانجاز خطته .

فهو من ناحية عليه أن يهين لعضائه الاصليين ظروفًا انسب لبذل الجهد ، والعمل المثمر .

وفى هذا الشأن فإن المجمع وقع فى خطأ التصور بأن المكافأة الرمزية التى يقدمها لعضائه تمكنهم من التفرغ ، أو تقديم الوقت اللازم لتنفيذ هذه الخطة أو الإشراف عليها . وإذا كانت رمزية هذه المكافأة قد أوتحت — أو هى من شأنها أن توحى — برمزية العضوية ، فإن من الثابت أن الأعضاء لم يفتوا عند هذا الحد ، بل قدموا من جهدهم وخبرتهم ما يجعل الثناء والشكر العميقين دينًا فى عنق الأمة الإسلامية وأجب الاداء لهم . الا أن المطلوب بهتضى الخطة الموضوعه هو أكثر من ذلك بكثير وكثير جدا ، الأمر الذى يقتضى — كما قدمنا — إعادة النظر فى توفير الظروف المناسبة ، وهى فى الإمكان .

ومن ناحية أخرى فإن على المجمع أن يوفر نظامًا للعمل يكفل قيام علاقة وثيقة مرنة — فى نفس الوقت — بين أعضائه الاصليين وبين الخبراء والباحثين الذين يستعين بهم فى أروقته ولجانته الفرعية لتنفيذ خطته العلمية .

وعلى هذا الأساس فإنه يمكن استبدال النظام القائم الذى يقضى بأن تعرض الأعمال العلمية على مستويات العمل بكل تفصيلاتها : فى الأروقة أولاً ، ثم فى اللجان الأساسية ، ثم فى المجلس ، ثم فى المؤتمر . . يمكن استبدال هذا النظام بنظام آخر شبيه بنظام البحث العلمى فى الجامعات ، بمعنى أن تقوم كل لجنة من لجان المجمع بتوزيع أجزاء خطتها على أعضائها ليقوم كل منهم باقتراح الخبراء والباحثين اللازمين لتنفيذ جزء الخطة الذى يخصه ، والإشراف على تنفيذه ، على أن يقدم إلى اللجنة مجتمعة خطة مفصلة لتنفيذ هذا الجزء قبل العمل فيه ، وذلك لنظره وإقراره من اللجنة مجتمعة . وعليه بعد ذلك أن يشرف على تنفيذ هذه الخطة التى يتولى تنفيذها الخبراء والباحثون ، ثم يقدم إلى لجنته مجتمعة تقريرًا علميًا مفصلاً عما تم إنجازه مصحوبًا بالرأى فيه . ثم يرغم الأمر بعد ذلك فى تقرير مفصل إلى مجلس المجمع . وإذا كان



للأمر خطورته التي يقدرها المجلس فله أن يأمر برفع تقرير عنه إلى مؤتمر الجمع .

وبذلك يتحقق الاتصال بين المستويات المختلفة في الجمع ، كما يتحقق لهذا الاتصال الرونة اللازمة ، وتحدد فيه المسؤوليات ، ويعتمد به عن المناقشات التي تنسوه في التفصيلات ، ولا تعرف كيف تنتهي .

ومن ناحية ثالثة فإن على الجمع أن يهيئ الظروف المناسبة التي تمكن لأعضائه الأصليين من خارج جمهورية مصر العربية المشاركة الفعلية في تقديم خبرتهم وجهودهم ونشاطهم من أجل تنفيذ خطته العلمية ، بدلا من الانحصار — كما هو الوضع الحاضر — على تقديم البحوث التي يلقيها بعضهم في المؤتمرات السنوية .

وفي هذا السبيل يمكن تكليف هؤلاء الأعضاء بالإشراف على إنجاز أجزاء من هذه الخطة ، في بلادهم ، وإتاحة الفرصة لهم للاستعانة بمن يفتحون من الخبراء والباحثين الذين يوجدون في بلادهم ، الأمر الذي يحقق للجمع نطاقا أوسع في اختيار معاونيه ، والحصول على الخبرات المتنوعة .

ولقد كان من المسائل الرئيسية المطروحة للبحث في أروقة الجمع ولجانته التي دلت على حاجة الجمع إلى الاستعانة بالخبرات المتنوعة على نطاق العالم الإسلامي ، مسألة تقنين الشريعة الإسلامية ، ومسألة وضع موسوعة مفهومة للحديث النبوي ، ومسألة إجراء دراسات ميدانية عن البيئات الإسلامية المعاصرة .

وفي موضوع تقنين الشريعة الإسلامية ، ظهرت الحاجة إلى الاستعانة بفقههاء المذاهب الإسلامية التي لا وجود لها في نطاق جمهورية مصر العربية ، والتي يوجد الكثير من فقهاء في أنحاء العالم الإسلامي .

وفي موضوع الموسوعة المفهومة للسنة النبوية ظهرت الحاجة أيضا إلى الاستعانة بكبار علماء الحديث الذين يشار إليهم في بعض البلاد الإسلامية إلى جانب أخوانهم من علماء مصر .

وفي موضوع الدراسات الميدانية عن البيئات الإسلامية المعاصرة ، ظهرت الحاجة إلى علماء متخصصين ينتمون إلى تلك البيئات المختلفة .

وإذا كان الجمع في هذه الموضوعات لم يقدم بعد الكثير من ثمرة عمله فإنني أعتقد أن السبب في ذلك يرجع إلى أنه يخطو نحوها بخطوات ثابتة متأنية ، لا تفسدها العجلة التي من شأنها أن تفسد العمل في مثل هذه المشروعات العلمية الجبيلة .

وإنه لمن الثابت أن الدراسات التمهيدية التي تسبق البدء الفعلي في إنجاز مثل هذه المشروعات ينبغي أن تنال حظها الواجب من الدقة وتبادل وجهات النظر ، الأمر الذي تستحق من أجله كل وقت يبذل ، بشرط مواصلة العمل ومواصلة الجهد ، وذلك لضمان البداية الصحيحة ، وتجنب مزالق الطريق والتواءاته المختلفة .

وفي هذا الصدد فإننا نرجو أن يأتي الوقت الذي تظهر فيه للقراء هذه الدراسات الأولية التمهيدية ، فهي في حصد ذاتها لا تنقل أهمية وثراء عن المشروعات العلمية التي يقصد بها إليها ، وأخص بالذكر هنا ما دار من بحوث ودراسات حول خطة العمل في تقنين الشريعة الإسلامية ، ولعلها أن تظهر في مجلدة ما يطبع من هذا التقتين .

وإذا كان هذا شأن المجمع فى بحوثه التى يطرحها فى مؤتمراته ، أو فى بحوثه التى يشغل بها أروقتة ولجانه ، فإنه من الملاحظ أن هذه البحوث كانت وسيلة المجمع إلى تقديم مجموعة من القرارات والتوصيات شملت شتى جوانب الحياة الإسلامية المعاصرة .

فقد تناولت هذه القرارات والتوصيات : القضايا السياسية ، والتشريع الإسلامى ، والدعوة الإسلامية ، والتربية الإسلامية وتوثيق الروابط بين الشعوب الإسلامية ، ومواجهة التيارات المضادة للإسلام ، وإحياء التراث الإسلامى ، والمشكلات التى تواجه المجتمع الإسلامى المعاصر ، واللفظة العربية ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والإسلام والعلم ، والإسلام والحضارة ، والتوجيه الإسلامى العام . وأنه لن الملاحظ أن إصدار المجمع لهذه القرارات والتوصيات كانت تحكمه عدة اعتبارات :

فهو من ناحية ، وبحكم كونه مجعماً إسلامياً مقيداً بأصول مقررة فى الدين الإسلامى : تختلف طبيعة القرارات الصادرة عنه عن طبيعة القرارات التى يمكن أن تصدر من مجمع آخر من المجمع التى عرفها التاريخ فى غير الأمة الإسلامية ، ذلك أنه ليس من شأنه — ولا من حقه — أن يصدر قرارات مبتورة تعبر عن إرادته المطلقة ، وإنما ينبغى أن يكون واضحاً فى قراراته ما ترتكن إليه من أصول الشريعة الإسلامية ، ومن هنا كانت بحوث المؤتمر خفيفة لازمة لشرح قراراته ، وبيان حق المجمع فى إصدارها .

وهو من ناحية أخرى — وبحكم كونه مجعماً إسلامياً مرتبطاً بجبهة عريضة من الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية — كان عليه لا أن يصدر قراراته وتوصياته بحسب حاجة هذه الشعوب المختلفة فحسب ، بل كان عليه فضلاً عن ذلك أن يراعى أن تكون مفهومة لدى هذه الشعوب فى ضوء ظروفها الخاصة ، وأن يبتنع عن إصدار القرارات والتوصيات التى تعبر عن جهة بعينها ويمكن أن تؤول تأويلاً لا يتفق مع الهدف الأساسى فى خدمة الفكر الإسلامى النقى الخالص .

ومن ناحية ثالثة فقد كان عليه أن يقتصد فى إصدار القرارات والتوصيات التى لا يحتمل أن تجد طريقها إلى التنفيذ فى وقت قريب ، وليس هناك حاجة ملحّة إلى إعلانها ، وأن ينتظر بها إلى وقتها المناسب ، ليحتفظ لقراراته وتوصياته — بوجه عام — بالقدر الكافى من الهيبة والاحترام ، وليوفر لها — فى وقتها الملائم — القدر الكافى من الحيوية والفعالية .

والى هذا الحد فقد تبين لنا أن المجمع لم يكن ليعمل على مستوى بيئة محدودة من الرقعة الفسيحة التى تشغلها المجتمعات الإسلامية المتنوعة ، ولقد كان ذلك ملاحظاً فى وظيفته كما كان ملاحظاً فى تكوين أعضائه .

وفى هذا الصدد نصت المادة السادسة عشرة من قانون إنشائه على ما يأتى : « يتألف مجمع البحوث الإسلامية من خمسين عضواً من كبار علماء الإسلام ، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة . »

وإذا كان عدد أعضاء المجمع من خارج جمهورية مصر العربية لا يزال إلى

وقتتنا هذا أقل من المستوى المطلوب ، فإن المجمع حاول أن يسد النقص في هذا المجال بحرصه على أن يدعو إلى مؤتمره السنوى عددا لا يقل عن خمسين من غير أعضائه من كبار علماء المسلمين وقادتهم من مختلف الدول والمجتمعات والبيئات الإسلامية .

إلا أنه من الملاحظ أن هذا النوع من العلاج لا يحقق المستوى المطلوب في العضوية ، وإذا كان العدد المحدود لعضوية المجمع كما جاء في المادة السابقة لا يسمح بتحقيق التنوع الذي يقتضيه تغطية مختلف البيئات الإسلامية على تشعبها وتنوعها في النواحي الثقافية والاقتصادية والجغرافية والسكانية والمذهبية فإنه من المؤكد أن قانون المجمع يسمح بتغطية هذا التنوع بتعيين عدد من الأعضاء غير محدود ، وذلك بتطبيق المادة السادسة والعشرين التي لم تطبق بعد ، والتي تنص على أن « يختار مؤتمر المجمع ... أعضاء مراسلين من مواطني الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم في تحقيق أغراضه ... » وبذلك تنمو عضوية المجمع ، إلى الحد الذي يسهل له القيام بمهمته على الأمل الواسع للأمة الإسلامية .

وفي سبيل تأكيد عالمية المجمع فإنه لا يزال أمامه أن يضع أسلوبا مناسباً للتعاون بينه وبين الهيئات الإسلامية المماثلة أو الشبيهة به في بعض البلاد الإسلامية ، في المملكة العربية السعودية ، أو في الجمهورية العربية الليبية ، على سبيل المثال ، وذلك من أجل تحقيق التماسك والتكامل بين العاملين في مجال مشترك ، ولأهداف مشتركة ، ولعل الظروف تسمح بدراسة هذا الموضوع في المؤتمر القادم للمجمع .

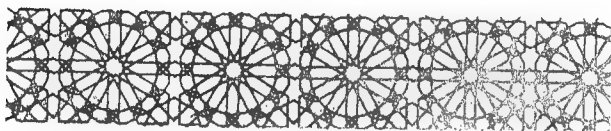
وأخيرا فإن الأمانى الضخمة المعقودة على جميع البحوث الإسلامية ، والتي تماثل في حجمها حجم الأمانى المعقودة على قيام الدولة الإسلامية الحديثة لا ينبغي أن تتحول في ثقلها إلى صخرة شاهقة تقسم بها ظهر الوليد الجديد ، ولا أن تتحول في حرارتها إلى لهب حارق نقطع به على السالكين الطريق ، وإنما ينبغي أن تكون الزاد والضوء ، نحفز به على العمل ، وننير به الأمل ، وعلى الذين يدركون بحق ضخامة المسؤولية التي تصدى لها المجمع ، أن يدركوا أنه لم يسبق لجباة علمية في التاريخ الإسلامى أن تعرضت لمثل مسؤوليته ، فقد كانت تلك الجبايات على صلة القرب بين الأمل والواقع ، بين الفكر والعمل ، بين الحق والقوة ، بين العلم والإيمان ، أما مجمعا الوليد فإنه لتدنى أقدامه لبعده الشقة بين تلك الأطراف جميعا ، وإنه ليستحق منا أن نحوطه بكل الرعاية ، وبكل المحبة ، وبكل الإخلاص ، وأن ننصّر له بتثبيت أقدامه على طريق الله .

وبالله التوفيق .

من المعارك الخالدة في تاريخ الإسلام :

## موقعة

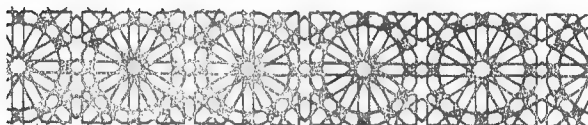
# الملك الصالح



في عام ٦٤٥ هـ توفي السلطان الكامل بـ ( دمشق ) ، وتولى عرش ( مصر ) من بعده ابنه الملك العادل ، غير أنه لم يستقر في الحكم أكثر من سنتين ، بسبب اسرافه في اللهو والتبذير ، مما حمل الأمراء على خلعهم ، وتوليه أخيه الصالح نجم الدين ، وكان أول ما فعله عقب توليه الحكم هو إعادة الأمن إلى البلاد ، وانتشار الطمأنينة والاستقرار ، وقام بأعباء الحكم وتدبير شؤون الدولة على الوجه الأكمل .

وكان الجيش الإسلامي في عهده يضم فرسان المماليك ضمن صفوفه ، الذين أكثر نجم الدين من شرائهم حتى وصل عددهم إلى اثني عشر ألف مملوك ، فبنى لهم القنات في ( جزيرة الروضة ) ، وأطلق عليهم اسم ( المماليك البحرية ) وصارت مهارتهم في الفروسية وفنون الحرب ، وشجاعتهم في القتال مضرب الأمثال .

الموقعة التي فشلت بسببها  
الحملة الصليبية السابعة  
وتم فيها أسر ملك فرنسا  
في دار اسبن لقمان



الأستاذ : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

وقد اضطر الصالح نجم الدين للسفر الى بلاد ( الشام ) فى عام ٦٤٧ هـ لقمع بعض الاضطرابات التى حدثت هناك ، وبينما هو فى ( دمشق ) جاءت به الاخبار تنترى عن حملة صليبية متاهبة للابحار الى « مصر » ، وعلى الرغم من شدة المرض الذى كان قد ألم به فقد قرر العودة الى « مصر » سريعا وفى الحال ، ليدافع عن بلاده ، ويدرا عنها شر الغاصب المعتدى ، وحمله رجاله فى محفة حتى وصلوا به الى بلدة « أشموم طناح » ، التى جعلها معسكره الرئيسى .

ولم يكد نجم الدين يصل الى بلاده حتى انهك فى اعداد وسائل الدفاع ونسى ما به من مرض ، ولما كانت « دمياط » معرضة لهجوم الحملة المنتظرة ، فقد جعل كل همه فى تقوية حصونها ، وأخذ يوفر فى مخازنها أكبر قدر مستطاع من الأسلحة والمؤن للصمود فى وجه الاعداء اذا ما حاولوا حصارها ، ثم بعث

بالأمير نخر الدين على رأس قوة من الجيش لوقاية « دمياط » فى حالة حدوث الغزو المنتظر ، فعبر النيل بقواته ونزل على الضفة الأخرى غرب « دمياط » .  
واخذت « مصر » تستعد بكل قوتها وطاقتها لاستقبال الحملة ، فى الوقت الذى كانت فيه هذه الحملة يتم تجمعها واحتشادها فى ميناء ( مرسيليا )  
( فرنسا ) ، تحت قيادة الملك لويس التاسع ملك ( فرنسا ) ، وكان لويس قد أصيب بمرض خطير ، فنذر أثناء مرضه أن يقوم بحملة صليبية أن شفى من مرضه ، وعندما تم شفاؤه أقسم أن يوفى بنبذره .

ولما كانت « مصر » فى ذلك الوقت لم تزل مركز المقاومة فى وجه الصليبيين فى الشرق الإسلامى ، وقاعدة كل هجوم موجه اليهم ، فقد عزم لويس التاسع وصمم على غزوها ، والقضاء على قواتها ، حتى يكسر شوكتها التى كانت دائما تؤلم جنوبهم ، وتقتض مضاجعهم ، ولا تذيبهم طعم الهدوء وراحة البال .  
وتحركات الحملة بحيرة من ميناء ( مرسيليا ) متخذة طريقها صوب

« مصر » ، بعد استعدادات دامت ثلاث سنوات كاملة ، وعرجت وهى فى طريقها على جزيرة ( قبرص ) حيث قضى الصليبيون فيها ثمانية أشهر ، حصلوا خلالها على المزيد من المساعدات ومواد التموين ، الى جانب المساعدات البشرية التى حصل عليها لويس التاسع من ملك ( قبرص ) وغيره من زعماء الصليبيين الذين وغدوا عليه من « عكا » ولعله تراءى للويس التاسع أنه بحملته هذه سوف يغسل عار الهزيمة التى لحقت بالحملات السابقة ، خصوصا حملة « جان دى بريين » ، والفرسان الذين سحقهم صلاح الدين الإيوبي وخلفاؤه .

وقد عقد لويس التاسع مجلسا عسكريا ضم الأمراء وكبار قواد الجند ، لاخذ رأى فى اتجاه الحملة ، وإلى أين سيكون ، واستقر رأى المجتمعين على مهاجمة « دمياط » .

وأبحرت الحملة من ميناء « ليماسول » فى ( قبرص ) متجهة صوب السواحل المصرية ، فى عدد يبلغ ٢٨٠٠ فارس ، عدا المشاة والبحارة ، و ١٨٠٠ سفينة (١) أقلعت بالحملة من ( قبرص ) ، ووصلت الحملة الى مصب النيل قرب « دمياط » ولم يجد الصليبيون أية صعوبة أو مشقة فى النزول الى الماء الضحل قرب الشاطئ بفرساتهم ومشاطهم .

ولم يحاول لويس التاسع أن يستفيد من الأخطاء التى وقعت فيها حملة ( جان دى بريين ) ملك ( القدس ) فيقرر انزال قواته عند ( دمياط ) ليتبع بذلك نفس الطريق الذى سلكه سلفه ، بدون أن يتعظ بالهزيمة المرة التى لحقت به ، والتى لم يكن قد مضى على انتصائها أكثر من ثلاثين سنة .

وما أن وطئت أقدام لويس التاسع أرض « مصر » حتى بدأ بحرب الإغصاب ، واتبع أسلوبا أقرب ما يكون شبيها بأسلوب « التتار » فى ذلك العصر ، فأرسل الى الصالح نجم الدين أيوب بالتحدى والوعيد ، ويدعوه فيه الى الاستسلام ، ويخبره بأن مسلمى الأندلس « يحملون إلينا الهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقل منهم الرجال ، ونرمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار . غلو حلفت لى بكل الإيمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامى الشمع طاعة للصليان ، ما ردنى ذلك من الوصول إليك ، وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت فى طاعتي بماء السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى ، وهم مرسلون إليك بأسلوف القضاء » .

وقد وصلت هذه الرسالة الى الصالح نجم الدين وهو يعانى من آلام مرض الموت ، فاقتم واغرورقت عيناه بالدموع ، وكتب الرد الى لويس التاسع يندد بغروره ، ويذكره بما فعله المسلمون بالصليبيين : « فلو رأت عينك ايها المغرور حد سيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، واخرابنا منكم ديار الاواخر والاوائل ، لكان منك أن تعض على أنفك من الندم » .

## اول صدام :

وعقب نزول الصليبيين من سفنهم تقدموا جنوبا على الضفة الغربية للنيل ، فاصطدموا بقوة الامير فخر الدين غرب « دمياط » ودارت معركة بين الفريقين على رمال الشاطئ ، اضطرت فيها خيول المسلمين الى خوض مياه البحر ، ولكن الصليبيين تفوقوا في تلك المعركة بكثرة عددهم ، ولم يكد الظلام يحل وينتشر سواده حتى رأى الامير فخر الدين نفسه مضطرا الى عبور النيل ومعه بقية رجاله الى الضفة الشرقية ، وانطلقوا مسرعين الى ( أشمون طناح ) ، وفي عجلة انطلقهم نسوا أن يقطعوا الجسر الذى يربط « دمياط » بالضفة الغربية للنيل ، فانقض عليه الصليبيون واحتلوه ، فانفتح بذلك الطريق أمامهم الى « دمياط » . ولم يلبث أن استولى العرب على أهل « دمياط » حينما راوا قوة الامير فخر الدين تترك مواقعها وتتخلى عن وقايتهم ، حتى ذعروا ورعبوا فهجروا مدينتهم الى ( أشمون طناح ) بعد أن أشعلوا النار في سوق المدينة ، وعندما اطل الصباح بنوره وجد الصليبيون أبواب « دمياط » مفتوحة على مصراعها ، فخشوا أن يكون في الامر مكيذة وكمين نصبه المسلمون لهم ، فتهلوا حتى تحققوا من خلوها ، فدخلوها بغير كلفة ولا مؤنة حصار ، واستولوا على ما فيها من الأسلحة والالات الحربية ، والذخائر والامتعة ، والتموين والاموال ، وبذلك سقطت « دمياط » في أيدي الصليبيين بعد مناوشة بسيطة ، مع أنها قد استعصت عليهم ثمانية عشر شهرا في عهد الملك الكامل ، ولم تسقط وقتها الا تحت تأثير الجوع والوبئة .

وما كادت أخبار سقوط مدينة « دمياط » في أيدي الصليبيين تصل الى اسباع نجم الدين المريض في « أشمون طناح » حتى انتفض من الالم واشتد حنقه ، وأمر باعدام خمسين أميرا ممن كانوا ضمن حامية « دمياط » جزاء تركهم لواقعهم وتخليهم عن الدفاع عن المدينة ، واضطر ازاء هذا الموقف الحرج الى الانسحاب بقواته الى « المنصورة » وشرع الجنود على الفور في ترميم « دور المنصورة » وأبنتها المدة لسكنى الجنود ، وتقوية السور المحيط بها ، وخصوصا الجزء المطل منه على النيل ، ثم وفدت السفن الاسلامية تحمل المقاتلين من جميع أنحاء البلاد ، وامتلات المدينة بالأسلحة والمعدات والسفن الحربية والمؤن .

ولكن القدر لم يمهل الصالح نجم الدين حتى يرى بعينه ما تسفر عنه هذه الحملة الصليبية ، فوافاه أجله المحتوم في ليلة النصف من شعبان ، وانطفات بذلك شعلة حياة هذا السلطان الباسل الذى قاد قواته رغم شدة مرضه ، وظل صابدا في كفاحه لا يكل ولا يهن حتى أرفمه الموت على التخلي عن مكانه .

ولا شك في أن وفاة الصالح نجم الدين في تلك الظروف الحرجة كانت خسارة كبرى ، وذلك لعدم وجود من يحل محله بسرعة في حكم البلاد ، وفى مواجهة الخطر الناجم عن الغزو الصليبي .

وقد خشيت زوجته شجرة الدر من اذاعة خبر وفاته ، فحملت جثته فى تابوت ودفنته سرا فى قلعة الروضة ، ثم استدعت الامير فخر الدين ، والطواشى جمال الدين وكنا موضع ثقتها ، فاخبرتتهما بوفاة السلطان وطلبت منهما كتمان الامر ، والاشراف على تدبير شئون الدولة ، وارسل الفارس اقطاي كبير المماليك البحرية لاحضار ولى العهد المعظم « توران شاه » بسرعة من حصن « كيفا » الذى يقع على الضفة الغربية من نهر دجلة بالقرب من « ديار بكر » ، وفى نفس الوقت سارت الاستعدادات الخاصة بالدفاع سيرها الطبيعى ، واستمرت الرسائل والمراسيم تخرج بتوقيع السلطان المتوفى وكأنه على قيد الحياة . ولم يظهر على الصليبيين فى اول الامر ما يدل على اعتزامهم القيام بعملية تقدم الى ابعد من « دمياط » فقد ظلوا ساكنين داخل المدينة مدة ستة أشهر لم يقوموا خلالها بأى شىء ، وانصرف جنودهم الى اللهو والمجون ، وبذلك اتاحت للمسلمين فرصة ذهبية لتعبئة قواتهم ، وتحسين مواقعهم الدفاعية ، واعداد الموانع ، ووضع العراقيل على طول طريق التقدم . وعلى الرغم من أن شجرة الدر قد بذلت اقصى ما فى استطاعتها ، وحاولت بكل جهدها وطاقتها أن تخفى خبر موت الصالح نجم الدين الا ان نبأ وفاته وصل الى مسامع الصليبيين فافاقوا من خمولهم ، ودب النشاط والحماس بين صفوفهم ، ورأى لويس التاسع أن يسرع بالهجوم ليستفيد من الظروف السيئة التى أمست فيها البلاد ، وليتمكن من انزال ضربته قبل وصول الملك المعظم « توران شاه » فتحرك الجيش الصليبي من « دمياط » بعد أن اختار لويس التاسع للزحف على « القاهرة » طريق الدلتا ، وهو طريق كثير الترع والقنوات ، وسارت الى جانبهم بعض سفنهم فى النيل تحمل المؤن ، وكل ما يحتاجون اليه ، ووصلوا الى مدينة « فارسكور » فاستولوا عليها واحتلوها . ثم واصلوا منها زحفهم وتقدمهم حتى أصبحوا على مقربة من مدينة « المنصورة » وهناك اصطدمت قواتهم بأول مانع مائى ، وهو بحر ( أشموم ) الذى كانت ترابط على ضفته المقابلة لهم القوات الاسلامية .

## المواجهة :

وقف الجيش الاسلامى فى مواجهة الجيش الصليبي ، واحتشدت قوات كل من الطرفين على ضفتى بحر ( أشموم ) وأخذ كل فريق يتأهب ويستعد لقتال ثابت طويل الأمد ، فحصنت المعسكرات بالاسوار والمناير ، وحفرت الخنادق ونصبت الجانيق وقاذفات الاحجار ، ولم يقتصر التأهب والاستعداد على الناحية البرية فقط ، بل ومن الناحية البحرية ايضا ، فاحتشدت سفن الاسطول الاسلامى فى النيل امام « المنصورة » ، ووقفت فى مواجهتها سفن الاسطول الصليبي فى الشمال .

وابتدا القتال بين الطرفين ، واشتعلت نيران المعركة ، واشتد التراشق ليلا ونهارا عبر بحر « أشموم » ، حتى منيت القوتان بخسائر فادحة ، وعندما أدرك الصليبيون فداحة خسائرهم ، وأنهم لو استهروا على هذا الشكل من القتال الذى يطلق عليه فى الحديث حرب الاستنزاف لكان فى ذلك نهايتهم ، فعزموا وصمموا على عبور بحر « أشموم » بأى شكل مهما كلفهم ذلك من ثمن ، حتى يشتبكوا بالمسلمين وجها لوجه ، فبذلوا عدة محاولات مضنية لكى يتسنى



لهم بناء جسر كبير تعبر عليه قواتهم ، وهياؤا الحماية اللازمة للقائمين ببناؤه ، فقاموا عدة أبراج خشبية مرتفعة ، ووقف عليها رماة النبل وحملة القسي المهرة لصب وابل من القذائف على المعسكر الاسلامى ، ليمنعوا رماته من عرقلة عملية بناء الجسر ، ولكن المسلمين أثبتوا براعتهم ومهارتهم فى القتال ، ونجحوا نجاحا عظيما فى افساد كل محاولات الصليبيين فقد كانوا يخفرون حفرا واسعة عميقة فى ضفة النيل فى ناحيتهم ، فتمتلئ بالمياه المحجوزة من الجسر تلك الحفر ، فينشأ عن ذلك تيار سريع يتلف شاطئ النيل ، فينهار ما تم اقامته من الجسر . ثم لم يلبث المسلمون أن فاجأوا الصليبيين باستخدام سلاح جديد رهيب ، اذلهم وحطم اعصابهم واضعف من معنوياتهم ، ففى احدى الليالى قذفوا معسكرهم من آلات قاذفة شمعات رهيبة من اللهب ، وكانت هذه الشمعات هى النار اليونانية المرعبة ، اروع آلات الهدم والدمار .

ويرجع اكتشاف هذه النار الى عهد الإمبراطور قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية ، فى القرن السابع الميلادى ، وقد استخدمها الرومانيون منذ اكتشافها ، واستطاعوا بواسطتها صد هجمات العرب على « القسطنطينية » سنة ٤٨ هـ ، وارتد على أثر ذلك الجيش والاسطول اللذان سيرهما معاوية ابن أبى سفيان الخليفة الاموى لاحتحام أسوارها ، ثم حاول معاوية بعد ذلك تجديد محاولته فى عام ٥٨ هـ ، فأرسل أسطولا ضخما حاصر « القسطنطينية » سنتين ولكن النار اليونانية فتكت بالقوات الاسلامية ، وأوقعت فى صفوفها الخلل والاضطراب .

وقد نجح الرومانيون فى ابقاء سر هذا السلاح الخطير الرهيب فى طى الكتمان قرابة أربعمئة عام ، غير أن العرب اكتشفوا سره فى اواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، فأصبح فى أيديهم سلاحا فاتكا أوقفوا به الرعب فى صفوف أعدائهم .

وينسب فضل اختراع هذه النار الى « كالينوس » البعلبكي ، الذى نقلها الى « القسطنطينية » ، وهى مزيج من الكبريت وبعض الصبوغ والدهون ، يطلق من اسطوانة نحاسية على هيئة سائل مشتعل ، أو على هيئة كرات مشتعلة ، وكان تأثير هذه النار بالغ الأثر كبير الهول على معسكر الصليبيين عندما أخذ المسلمون يصبون عليها حممها .

وقد أدى رمى المسلمين لمعسكر الصليبيين بهذه النار الى تدمير الأسوار والأبراج الخشبية التى أقامها الصليبيون على ضفة بحر « أشموم » ، وأصبح من المتعذر عليهم بناء أسوار وأبراج غيرها ، لأن كل محاولة حاولوها لاقامة أبراج جديدة كانت تقابل من المعسكر الاسلامى بوابل من صواعقه الجهنمية ، فلا تلبث أن ينتشر فيها اللهب ويحيلها رمادا .

وقد أمالت المراجع التاريخية بأخبار أعمال البطولات الفردية والجماعية التى قام بها بعض المسلمين ، اذ كانوا يكونون من بينهم فرقا خاصة تقوم بعبور النيل الى الجانب الآخر الذى فيه الصليبيون ، ويختلون فى اختطائهم بكل وسيلة ، فيقتلون ويأسرون ويرجعون الى قواعدهم سالمين .

وعلى هذا النحو دب اليأس والوهن فى قلوب الصليبيين ، وفتر حماسهم وقل نشاطهم عقب اصابتهم بهذه الكوارث الساحقة ، وبعد أن باءت جميع محاولاتهم لعبور بحر « أشموم » بالفشل .

## بداية النهاية :

وعندما رأى لويس التاسع أنه قد أصبح شبه محصور في هذه المنطقة ، وأن أي أمل في نجاح حملته هذه قد صارت نسبته ضئيلة للغاية ، وهو لا يستطيع عبور النيل إلى « المنصورة » وقوات المسلمين أمامه على الضفة الأخرى للنيل تعرقل كل محاولة يقوم بها للعبور ، والأسطول الإسلامي ينقل جنودا جدد ، والمسلمون تكتمل استعداداتهم يوما بعد يوم ، ازاء كل هذا لم يجد لويس التاسع أمامه إلا أن يعقد مجلسا عسكريا لبادل الرأي والمشورة فيما يجب عليهم أن يفعلوه لانتقاذ موقفهم الذي أصبح حرجا ، وعقد المجلس ، واستقر رأى المجتمعين على أن يعبر لويس التاسع وأخوته الثلاثة ، والفرسان والخيالة الصليبية بحر « اشموم » عن طريق مخاضة تسمى مخاضة « سلمون » في ثلاث وحدات كبرى .

وتأهب الصليبيون خلف المخاضة ، وأخذ فرسان المقدمة في العبور ، ويتولى قيادتهم الكونت « روبرت دي ارتوا » شقيق لويس التاسع ، وقد فوجئ المسلمون مفاجأة كبيرة حينما ظهر فرسان الصليبيين على ضفتهم ، وما أن علم الأمير فخر الدين بعبور الصليبيين حتى أسرع على الفور في الاستعداد والتهيؤ لخوض المعركة الفاصلة ، فجمع رجاله ووقف في وجه الصليبيين ، وقاتل بشجاعة نادرة ، غير أنه لم يلبث أن وقع في كمين واستشهد على الأثر ، وكان استشهاده خسارة كبرى في تلك الظروف ، إذ تفرق الجنود يميننا وشمالا ، وكادت الهزيمة الكلية تلحق بالمسلمين .

وعندما رأى الكونت « دي ارتوا » تفرق الجنود وتشتتهم ارتكب حماقة كبرى ، إذ لم يشأ أن ينتظر عبور بقية الجيش الصليبي تحت قيادة لويس التاسع طبقا للخطة الموضوعة ، وإنما أراد أن يتعقب المسلمين إلى مدينة ( المنصورة ) أملا في إحراز انتصار سريع عليهم ، والانفراد بالمجد والظفر ، ولم يستمع إلى أوامر مليكه بعدم الإقدام على هذه الخطوة لما فيها من مخاطرة قد تكون وخيمة العواقب ونتائجها سيئة ، فواصل الاندفاع بقوته الصغيرة نحو « المنصورة » ، وتمكن من اقتحامها بعد قتال قصير مع حاميتها ، وبذا تورطت المقدمة في التقدم إلى مدى أبعد مما في استطاعتها وقدرتها ، ووجدت نفسها داخل شوارع « المنصورة » في عزلة تامة عن قوتها الأساسية التي كانت وقتئذ لا تزال آخذة في العبور بالقدر الضئيل الذي تسمح به المخاضة الضيقة .

وفي نفس الوقت كان المسلمون قد وجدوا قائدا جديدا خلفا للأمير فخر الدين الذي استشهد ، وهو القائد بيبرس البندقداري ، الذي رأى أن هذه المقدمة ليست سوى طليعة لزحف صليبي عام يتطلب الاحتياط لدفعه قبل وقوعه ، فجمع فلول الجيش ، ثم دبر خطة بارعة للقضاء على مقدمة الصليبيين ، وهذه الخطة تدل على مدى ما كان يتمتع به بيبرس من مقدرة حربية فائقة ، ومهارة عسكرية نادرة ، فقد قسم قواته إلى قسمين ، وبعث بالقسم الأول إلى خارج « المنصورة » ليحول دون أدنى اتصال بين قوات الصليبيين الأساسية وبين مقدمتهم التي في داخل المدينة ، بينما رتب القسم الثاني في كمائن متعددة داخل ( المنصورة ) .

دخل الكونت ( دي ارتوا ) مدينة ( المنصورة ) ، وانتشر الفرسان الصليبيون في الشوارع والأزقة والدروب والحارات ، بحثا عن الأسلاب

والثروات والمذابح البشرية ، ولم يكد الكونت ( دى ارتوا ) يصل بقوته الى المقر السلطاني يطلب التسليم حتى اصدر بيبرس أوامره بتنفيذ الحركة التطويقية المتفق عليها بينه وبين قواد الكمان ، فانقضوا عليهم كالسبيل الجارف ، فابادوا فريقيا منهم وطاردوا الباقين حتى حاصروهم فى الأزقة ، فلم يستطيعوا القتال وهم على ظهور جيادهم ، ولم يتمكنوا من استعمال سيوفهم لضيق المجال ، واخذ أهالى ( المنصورة ) يقذفون الفرسان الصليبيين بالطوب والاحجار والرمال الحماة فى النار من اسطح المنازل وشرقاتها ، حتى ابعدت تلك القوة التى لم ينج من افرادها سوى أربعة أو خمسة فقط ، وكان على رأس القتلى الكونت ( دى ارتوا ) نفسه ، الى جانب عدد كبير من الامراء الصليبيين .

وقد جزع لويس التاسع اشد الجزع لظك الصدمة التى لم يكن يتوقعها ، بيد أنه تمالك نفسه وأمر باتهام العبور بأسرع وقت حتى يتدارك الموقف ، وعندما تم العبور تصدى لهم الجيش الاسلامى واستبسل الجنود بعد انتصارهم العظيم على مقدمة الجيش الصليبي ، وقام بيبرس وجنوده بهجوم شامل على المعسكر الصليبي ، وقاد لويس التاسع المعركة بنفسه وظهر عزيمته جبارة وشجاعة قوية ، فنظم جيشه تنظيمًا دقيقًا ، وثبت فى المعركة ، مما جعل المسلمين يضطرون الى الارتداد نحو ( المنصورة ) فى المساء .

وعلى الرغم من شجاعة لويس التاسع وثباته الا ان موقف الصليبيين أخذ يزداد سوءا بعد أن قتل المؤمن ، وفقدوا نسبة كبيرة من فرسانهم ، وأصبح موقفهم مرجا للغاية من الوجهة التكتيكية ، ويضاف الى ذلك أن قواتهم التى أثبتت العبور أصبحت مكشوفة الجناحين أمام القوات الاسلامية الرابضة أمامها ، والتى صار لديها التفوق الساحق فى العتاد والعدة والعدد .

وقد تفشت الامراض والحميات والأوبئة بين جنود الجيش الصليبي ، وعمت النكبة حتى صار لا يسمع بمعسكرهم سوى أنات الاحتضار أو صلوات الجنائز ، وصارت الانتظار لا تقع الا على وجوه صفراء يبدو الموت من أصحابها كقبا قوسين أو أدنى .

وفى هذا الوقت وصل السلطان ( توران شاه ) من حصن ( كيفا ) ووصل الى ( المنصورة ) ، حيث استقر بقصر السلطنة ، ووضعت شجرة الدر السلطة بين يديه ، ثم أعلنت رسميا وفاة الصالح نجم الدين ، فأدى وصوله الى ارتفاع الروح المعنوية عند المسلمين ، وعندئذ أدرك لويس التاسع أن الزحف على ( القاهرة ) قد أصبح من رابع المستحيلات ، وأن الدنيا قد ضاقت فى وجهه ، وأن ليس أمامه الا أن يأخذ رجاله ويرجع من حيث أتى ، ففكر فى العودة الى ( دمياط ) ولكنه خاف من حدوث كارثة حربية أثناء انسحابه اليها ، فعملية الانسحاب فى مثل هذا الموقف ليست سهلة ، ولن يتركهم المسلمون ينسحبون فى هدوء ، بل سيتعرضون لمطاردة قاسية من الجيش الاسلامى قد تودى به وبمصلته ، ولذلك تردد فى الانسحاب ، وظل الصليبيون فى معسكرهم يراودهم الأمل بين الحين والآخر فى معاودة الهجوم على مدينة ( المنصورة ) .

### الموقعة :

وضع المسلمون خطة محكمة للقضاء على الجيش الصليبي المترنح بعزله فى مكانه ، وقطع خطوط مواصلاته مع قاعدته فى ( دمياط ) التى كانت ترد منها الإمدادات عن طريق نهر النيل محملة على ظهر السفن ، وقد نفذ المسلمون خطتهم بصنع عدة سفن نقلوها مفككة على ظهور الجمال الى بحر ( المحلة )

شمال بحر ( اشموم ) ، وأنزلوها فيه وزودوها بالمقاتلين ، وانضمت الى بقية سفن الاسطول الاسلامى ، وعندما جاءت السفن الصليبية من ( دمياط ) الى بحر ( المحلة ) فى طريقها الى القوات الصليبية تحمل الامدادات والتموين فاجأتها سفن الاسطول الاسلامى بالخروج من مخابئها ، فأحاطت بها من كل جانب بحركة تطويقية بارعة ، واستولت السفن الاسلامية على اثنتين وخمسين سفينة قرب مكان يعرف باسم ( مسجد النصر ) ، وكانت هذه السفن محملة بالمؤن والأسلحة والذخائر ، وأسر المسلمون جميع من كانوا فوق السفن وعددهم حوالى ألف . ولم يكف الاسطول الاسلامى عن شن هجماته على سفن التمهين الصليبية القادمة من ( دمياط ) الا بعد نجاحه التام فى قطع هذا الطريق ، الذى كان يعد الطريق الوحيد لامداد الجيش الصليبي الذى يواجه ( المنصورة ) ، وتم بذلك عزله نهائيا عن قاعدته الأساسية فى ( دمياط ) وكان من اثر ذلك أن حلت بالجيش الصليبي مجاعة مروعة ، وغلت الاسعار غلاء فاحشا ، ولم يجد الصليبيون ما يسدون به رمقهم سوى اكل الاسماك النيلية ، والتغذى بجذور النباتات والحشائش ، ولما اشتد بهم الضنك فى النهاية ، لجأ لوييس التاسع الى فتح باب المفاوضات مع المسلمين ، قبل أن يبدأ فى الانسحاب الذى أصبح أمرا لا مفر منه ، وبدأ مفاوضاته على أساس أن يترك الصليبيون ( دمياط ) وينسحبوا منها ، فى مقابل أن يأخذوا ( بيت المقدس ) وما أراد لوييس التاسع بهذا العرض الذى قدمه الا أن يضرب عصفورين بحجر واحد فيسترد ( بيت المقدس ) فى الوقت الذى يشعر فيه بضعفه وعجزه عن الاحتفاظ بـ ( دمياط ) فى يده ، ثم يضمن بعد ذلك انسحابا سليما مأمونا له ولجيشه من ( مصر ) بدون أدنى ضرر أو تعرض لمطاردة المسلمين ، ولكن عرض لوييس التاسع جاء متأخرا وبعد فوات الأوان ، ولو أنه كان قد تقدم بعرضه هذا قبل ذلك ببضعة أشهر لكان وجيها ، ولأمكن للمسلمين أن ينظروا فيه ، على أساس أن يكفلوا له انسحابا مأمونا بدون التفریط فى ( بيت المقدس ) أما الآن وبعد ما أسفرت عنه الظروف والاحداث ، وما وصل اليه الموقف بالنسبة للفريقين ، فإن ( توران شاه ) لم يتردد ولو للحظة واحدة فى رفض عرض لوييس التاسع رفضا باتا .

ولم يجد الصليبيون للانسحاب بديلا ، خصوصا وأنهم أيقنوا أن استثمارهم فى البقاء بمعسكرهم معناه القضاء التام عليهم ، وفناؤهم عن آخرهم .

وبدأ الصليبيون يتراجعون نحو ( دمياط ) بحذاء الضفة الشرقية لنهر النيل ، فى عملية لا نستطيع أن نطلق عليها انسحابا بالمعنى المفهوم فى الحروب ، وانما كانت عملية هروب الى ( دمياط ) على حد تعبير ابن واصل المؤرخ الذى عاصر هذه الاحداث ، وعبر الصليبيون بحر ( اشموم ) على الجسر الذى أقاموه ، بيد أنهم وهم فى عجلة من أمرهم ارتكبوا خطأ جسيما كلفهم منها باهظا ، اذ وقعوا فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الامير فخر الدين قبل ذلك ، فقد نسوا أن يقطعوا الجسر بعد أن أتموا عبورهم فوقه ، فأتاحوا بذلك للمسلمين فرصة كبرى ، فعبروا وراءهم بهاجمهم من كل ناحية ومن كل اتجاه بلا هوادة أو استكانة ، وقد بذل حرس المؤخرة الصليبية جهودا جبارة فى سبيل وقاية انسحاب جيشهم المزق ، وصدد هجمات المسلمين العنيفة ، وأخيرا تمكنت جموع الصليبيين المنهكة القوى من الوصول الى ( شارمساح ) بين ( المنصورة ) و ( دمياط ) بما يشبه المعجزات .

ولم تكن مقدمة الجيش الصليبي تصل الى ( فارسكور ) حتى غلب المرض على لوييس التاسع ومعظم رجال جيشه ، فى الوقت الذى أهدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلًا وأسرًا .

وعند ( فارسيكور ) دارت معركة ضارية عنيفة بين المسلمين والصليبيين ،  
حلت على اثرها الهزيمة الساحقة بالصليبيين ، وقد قتل في هذه المعركة حوالى  
ثلاثين ألف مقاتل .

### اسر لويس التاسع :

وفي تلك الاثناء كان لويس التاسع لا يستطيع ان يتحرك من شدة ما به  
من مرض ، فالتجأ الى قرية تسمى ( منية عبد الله ) شمال ( المنصورة ) ،  
وبصحبته نحو خمسمائة من الامراء والنبلاء ، وحمل الملك الى بيت ريفي من  
بيوت تلك القرية الصغيرة حيث لحق به اخواه .

وعندما احاط المسلمون بالقرية أدرك لويس التاسع ان المقاومة لن تجدى  
شيئا ، ولن تعود عليهم بالنفع ، بل قد تضره ضررا شديدا ، فسلم لويس التاسع  
ورفاقه انفسهم بعد ان امنهم المسلمون على ارواحهم ، وقد نقل لويس التاسع  
في الحال الى ( المنصورة ) على احدى السفن ، حيث سجن في دار فخر الدين  
ابن لقمان رئيس ديوان الانشاء ، وعهد الى الطواشي صبيح بحراسته ، كما  
خصص له ( توران شاه ) من يقوم بخدمته ، ورتب له كل ما يحتاج اليه من مأكـل  
ومشرب ، وبلغ عدد الاسرى اكثر من اثني عشر ألف أسير .

وفي غمرة هذه الاحداث قتل ( توران شاه ) ، وتولت شجرة الدر مقاليد  
الحكم واصبحت سلطانة على ( مصر ) ولعل أهم ما ترتب على مقتل ( توران  
شاه ) من تطور خطير في الشرق الادنى هو سقوط الدولة الايوبية . وفي عام  
١٢٨٠ ( الثامن ) .

ثم استأنف امراء المماليك على الاثر مفاوضات الصلح التي كان قد بدأها  
( توران شاه ) ، وبعد كثير من المحاورات نجح الفريقان في عقد اتفاق يتلخص  
في تسليم ( دمياط ) للمسلمين بكافة محتوياتها ، وعدم السماح للويس التاسع  
بالرحيل عن ( مصر ) الا بعد دفع فدية تبلغ اربعمائة ألف دينار ، اتفق على أن  
يدفع نصفها قبل أن يرحل عن ( مصر ) ويسدد الباقي عندما يضل إلى ( عكا )  
وضمائنا لدفع بقية الفدية قرر المسلمون الاحتفاظ بجميع المرضى الذين يعالجون  
في ( دمياط ) .

وعقب توقيع الاتفاق اخلى الصليبيون ( دمياط ) وركبوا السفن ، وسلم  
( جيوفري دي سرجين ) مفاتيح المدينة الى المسلمين ، فدخلها الجيش الاسلامي  
تقدمه طوبوله واعلامه ، ورفع العلم فوق أعلى برج من اسوارها .

وبمجرد أن دفع لويس التاسع الفدية المتفق عليها أطلق سراحه وسراح  
امراء جيشه وجميع جنوده الاسرى ، وبذلك اختتمت الحملة صفحة هجومها على  
( مصر ) بهذه النهاية المؤلمة .

وقد دوت أنباء هذا النصر العظيم في ( القاهرة ) وسائر البلاد المصرية .  
فاقيمت الزينات ، وعمت الافراح كل مكان ، وعادت قوات الجيش الظاهرة الى  
( القاهرة ) وتغنى الكتاب والشعراء في جميع أنحاء العالم الاسلامي بهذه  
النصر المبين .

وسجل التاريخ في سجلاته الخالدة أن هزيمة لويس التاسع في  
( المنصورة ) كانت بداية قرب نهاية الصليبيين بالشرق الاسلامي في العصور  
الوسطى . .

---

(١) هذه الاعداد مأخوذة من تقارير ( جوانفيل ) مستشار لويس التاسع ومترجمه الذي  
رافقه في الحملة . .

# الجنسية الجنسية

الدكتور

وجيه زين العابدين

الطفل لغة الصغير وقد سماه القرآن الكريم طفلاً منذ ولادته في قوله عز وجل في سورة المؤمن ( هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً .. الآية ) .. وتبقى التسمية حتى يبلغ الحلم كما جاء في القرآن الكريم ايضاً في سورة النور قوله عز وجل ( واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا .. الآية ) .. وقد ذكر ابن القيم في كتابه ( تحفة المودود في احكام المولود ) الكلمات العربية للطفل منذ ولادته حتى بلوغه فهو ( وليد ورضيع ومطيم ودارج .. الخ )

وليس للمولود والرضيع أى توجيه في التربية الجنسية ، على ان الاسلام

على الاسلام بالطفل عناية بالغة فوضع الاسس العامة لتربيته ونشأته واعطاه من الرعاية والتكريم ما لم تصل اليه الانظمة الحسدية . . وما كانت التربية الجنسية — كما اصطلح عليها — جزءاً منفصلاً عن قواعد التربية العامة للطفل . . ولكن في الاسلام توجيهها خاصاً للتربية الجنسية وضع القرآن الكريم والسنة المطهرة الخطوط العريضة له وددت الاشارة اليها لاطلاع المسلم واتباعها . .

ربما جاز أن أقول ان الاسلام قد اهتم بأمر الطفل قبل أن يولد بأعوام وذلك باختيار أم صالحة . . فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل أن يختار له زوجة صالحة ذات خلق ودين تلك التي مستقوم بتربية الطفل فمن كانت ممن تقيّة سوف تقبل بتطبيق تعاليم الاسلام مما تعلم ومما تتعلم فكان المنيب الحسن والجو الصالح قبل أن يخلق الطفل ويولد . .

# لِلطِفْلِ



قد نبه الى وجوب تسمية الطفل بالاسم الحسن حيث امر النبي صلى الله عليه وسلم ، كما انه غير بعض الاسماء القبيحة الى اخرى جميلة . ولعل من الجائز ان أقول بهذا الصدد ان يمتنع المسلم عن تسمية الطفل باسم قد يثير الشهوة البهيمية الجنسية (١) . .

قلت ليس للرضيع عمل جنسى فيكون له توجيه وتربية فى العمامين الاولين من عمره وما ذكره بعض علماء الطب والنفس كون الرضاعة عملا جنسيا لم يقبله العلم . . على ان للرضيع — كما يقول الاطباء — عملا قد يشبه او يعتبر العادة السرية عند البالغين وهو عبث الذكر من الاطفال بعضوه ومد الانثى لساقها بحالة تشنجية ولصق الفخذين ببعضهما والقيام ببعض الحركات ثم الاستلقاء والنوم أحيانا . . هذا العمل يتركه الرضيع بعدئذ فلا تلتفت اليه الام ولا تزجر طفلها فان فعلت قد يستمر الطفل ويجب عند ذاك عرضه على الطبيب ليرى الامر اذ قد يصف له علاجاً .

فاذا بلغ الرضيع العامين يجب ان ينظر فى أمره فهل يبقى فى غرفة نوم أبويه أم يخرج أو يوضع بينه وبين والديه الحجاب . . هنا يضع الاسلام القاعدة العامة . . قال تبارك وتعالى فى سورة النور ( يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من

وجل ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها ) ..

ولعل من الجائز بهذا الصدد أن نفهم من الآية الكريمة : تعيين موعد التقاء الزوجين (٣) والتعصري الجزئي للرجل والمرأة .. وكذلك يفهم من الآية الكريمة أن تكون المرأة في وضع صحيح معقول ، فلا تكشف عن عورتها خارج هذه الاوقات لانه قد سمح للطفل المميز أن يدخل على أمه وأخته وقريبته في غير هذه الاوقات، بدون استئذان .. فان كان شيء من اظهار عورة المرأة أو أي عمل بين الزوج وزوجه يجرى في النهار فلا بد أن يتخذ الزوجان ما يحجب عنهما الطفل المميز ..

وكذلك مما علمنا القرآن الكريم من أدب في تربية الطفل هو عدم اظهار زينة المرأة للطفل الذي يفهم ويعقل شيئاً من زينة المرأة وجمالها قال تعالى في سورة النور ( وقل للمؤمنات يفضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يسدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو بنى أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايماهن أو التابعين غير أولى الأربية من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء .. الآية ) .

وعلمنا نبينا الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم أن لا نسمح لمن بلغ سبع سنوات من عمره أن ينام في غرفة أخته أو اقاربه الا أن يكون

قيلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ) .

قال القرطبي أن الذي يستأذن في الاحوال الثلاثة هو الذي عقل معاني المكشفة .. فالآية الاولى تطلب أن لا يدخل الطفل المميز على أبويه أو أحد من أهله من غير استئذان في اوقات ثلاثية ، فترة الصوم من بعد صلاة العشاء حتى طلوع الفجر وكذلك وقت القيلولة ظهرا حيث يغلب أن يكون الابوان قد نزعاً ثيابهما أو تكون الأم في وضع لا يجوز أن يراها أي طفل مميز . لذلك يجب أن يخرج الطفل المميز من غرفة نوم أبويه أو يوضع حجاب بينه وبينهما . ولم يذكر القرآن الكريم سنن التمييز (٢) بل تركه لتقدير رب البيت الذي يقرر متى يمنع طفله بالنسبة الى ذكائه وظروفه ومن يحيط به ومقدار تعليمه واطلاعه لا سيما بالنسبة الى الاسئلة التي يوجهها على أن الطفل دون الثانية لا يميز ولذا جاز أن يبقى في غرفة نوم والديه وجاهز له أن يدخل على أبويه وأهله في أي وقت .. ولعل سن الرابعة هي المعدل .. وربما يجب أن يمنع طفلاً في الثالثة أو قبلها أو ربما جاز أن يسمح لطفل في الخامسة أن كان قليل الذكاء وقد ارشدنا النبي صلى الله عليه وسلم في حادث حين وصف أحد الناس من العبيد ( من ملك اليمين ) والذي يدخل تحت حكم هذه الآية الكريمة وصف هذا المملوك امرأة أنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فأمر صلى الله عليه وسلم أن يمنع من الدخول على النساء ..

فاذا بلغ هذا الطفل المميز وجب أن يجري عليه حكم البالغ كما ذكرته الآية الثانية وهو الاستئذان في كل وقت وكما نصت عليه الآية الكريمة من نفس سورة النور وهي قوله عز



حاجز بينهما .. قال عليه الصلاة والسلام ( مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين وأضربوهم لعشر وفرقوا بينهم بالمضاجع ) .

أخرجه أو داود ..

هذه بعض القواعد فى تربية الطفل الجنسية ، كلها لأيجاد محيط فاضل لا يثير فى الطفل كوامن الشهوة الجنسية ولا يطبع فى دماغه شيئا من الفاحشة قد تدفعه فى المستقبل الى ارتكاب الخطأ .. هذه التربية الوقائية هى التى يسير عليها الاسلام فى كل مجالات حياة الانسان .

### تعليم الطفل

والعمل الإيجابى الذى يقرره الدين فى تربية الطفل الجنسية هو تعليمه وارشاده ووضعه على الطريق المستقيم منذ نعومة أظفاره لتكون جذور الفضيلة عميقة فلا يضل فى المستقبل ، فإذا أصاب بعض الانحراف فسرعان ما ترجع به هذه الجذور الى الفضيلة .

يتعلم الطفل عمليا ما يرى من محيط أهله فاللباس محتشم .. فالطفل المميز لا يرى عورة ولا يسمع الا الكلام الطيب ، فإذا تعلم القراءة لا يجد فى بيته الرخيص من الأدب أو قصص الفحش مما نجده فى معظم المجلات والكتب المخصصة للفساد ، ومقابل ذلك يوجه الأب المسلم طفله الى تعلم القرآن وحفظ بعض سورته وتعلم بعض الآيات التى تربي الأسرة مثل سورة الحجرات .. كل ذلك قبل دخوله المدارس لعلها تكون له بعض الحصن مما سيقرا ويسمع ويصاحب .

ويسال الطفل عن أمور الجنس

فيجب أن يكون الجواب بالصدق مع استعمال المجاز والكناية والتلميح .. ولا يجوز الكذب على الطفل لان من خلق المؤمن الصدق الا ما أجاز له الشرع من كذب فى الحرب وأصلاح ذات البين ولفو الزوج وزوجه .. ففى الحديث الصحيح ان امرأة قالت لطفل تعالى أعطيك فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ونظر فى يدها فوجد فيها ثمرة فقال ( لو لم تكن هذه الثمرة لكنت عليك كذبة ) أخرجه البخارى (٤) .

الصدق الصدق مع الطفل . . يسأل الطفل مثلا كيف وجدت فى هذه الدنيا فنقول بصورة مختصرة خرجت من بطن أمك .. ونوجهه حالا الى القرآن الكريم يأتى به فنشير الى آية من سورة النحل فيقرأ ( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ) .. وقد تكفى ، وقد يسأل بعد حين أو حالا وكيف نشأت فى بطن أمى .. فنقول له ان الله عز وجل هو خالق الانسان يجعله فى بطن أمه نطفة فيكبر ويكبر حتى يصير طفلا فيخرج .. ونوجهه الى القرآن الكريم أيضا ليقرا أو نقرأ عليه ما ورد فيه بهذا المعنى فى سورة الحج مثلا أو المؤمنون أو المؤمن .. فان سأل وما علاقة أمى بأبى فنقول لا بد لخلق الطفل أن يجتمع رجل وامرأة فى زواج حسب شريعة الله .

وهكذا نجيب على اسئلة الطفل بالتلميح والاختصار وتوجيهه الى الدين ليرتبط فى ذهنه فيفهم الأمور الجنسية عن طريق القرآن الكريم والحديث .

هذا أسلوب القرآن الكريم فى التعليم حيث وردت آيات كثيرة تشير إلى الجماع بكلمات المباشرة

واللمس والتقرب .. كما ان أى اشارة الى قضية جنسية يذكر فيها الله تبارك وتعالى كلمة التقوى مباشرة لئلا يتعدى الذهن الى الشهوة البهيمية .. فمن هذه الآيات قوله عز وجل فى سورة البقرة ( نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملائكة وبشر المؤمنين ) وكذلك قوله عز وجل فى سورة النساء ( الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالمصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ) .. فبعد أن أشار الى أن من صفات المرأة الصالحة أن تحفظ زوجها فى غيبه وتكتم سر زوجها عقب بكلمة بما حفظ الله .

ويتعلم الطفل المسلم كثيرا من الأمور الجنسية بصورة غير مباشرة

حين يبدأ الصلاة فى السابعة اذ يتعلم الوضوء والاستنجاء ولعله يسأل بعض القضايا الجنسية مما تهده له فلا يفاجأ بمرحلة البلوغ لا سيما عند الفتاة .

والأسرة المسلمة التى ترتبط بالقرآن والحديث سترى الخطوط العريضة للحياة السعيدة فإذا اعتنت بتربية أطفالها على أسس تعليم القرآن فلا خوف عليهم أبدا من أى مدرسة فاسدة وقد ثبت بدراسات كثيرة أن ما يتعلمه الطفل فيما بين العامين وسن الخامسة يبقى أصلا له فى علاقاته الاجتماعية حين يكبر ومهما انحرف ومهما ضل فسيعود الى ما تعلمه من أبويه المسلمين فى طفولته .. فلا زال الأمر بيد الأسرة المسلمة أن أرادت أن ترى أولادها على هدى الله .



(١) أترك الأمثلة لاجتهاد الأب المسلم .. وهذا رأى الشخصى ولا يوافقنى عليه شيخى الذى درسنى بعض الدروس الدينية .

(٢) ولا أعرف فى السنة تحديدا لمسئ التمييز وما ورد فى الحديث الصحيح عن نوم ابن عباس فى منام حالته أم المؤمنين لا علاقة لمسئ التمييز وبهذه الآية .

(٣) أشارت الى هذا الوقت الآية الكريمة من سورة البقرة قوله عز وجل ( احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم .. الى قوله عز وجل فأتوا بالشرهون وأبغضوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخط الأبيض .. الآية ) .

(٤) لو لم يكن فى الإسلام فى تربية الطفل سوى هذا الحديث الشريف لكنت أقول انه من أعظم ثماليم سيدى المصطفى وأنه يكفى هذه فى وضع الأسس القوية .. فليس الا الصدق صفة نبى الثقة فإذا كانت الثقة بين الطفل ووالديه سهل الطريق لتوجيه الطفل ، وما رأيت فى خبرتى الطبية صفة تبعد المولود عن أبويه وتضع أساسا للتمرد على الأسرة وعصيان الابوين ، مثل صفة الكذب .



الدكتور / محمود محمد هاسم

عرضنا في مقال سابق لوجهة نظر محيي الدين بن عربي المتأثيرية في مسألة الخير والشر ، وهنا نكمل ما بدأنا ببيان وجهة نظره الدينية في هذه المسألة ورايه في تحديد موقف الإنسان من الخير والشر وفي آمله أن تعم الرحمة الإلهية جميع الخلق ..

### ب - النظرة الدينية :

إذا كانت هناك ضروب من النقص في العالم ، وإذا كان كمال العالم يقتضى أن يوجد النقص فيه حتى يتحقق حكمة الله في الكون ، فمن الطبيعي أن توجد الأشياء توصف بالحسن والخير ، وأخرى توصف بالقبح والشر . لكن هل في طاقة العقل أن يستقل بمعرفة وجه الحسن أو القبح ، أو الخير والشر في كل شيء ؟ وهنا نجد ابن عربي يميز بين نوعين من الحسن والقبح . فمنهما نوع يمكن معرفته عن طريق التفكير النظري الذي يحدد وجه الحسن أو وجه القبح في الأشياء بناء على معايير خاصة بالكمال أو النقص ، أو معايير نفعية . لكن هناك نوعاً آخر « لا يدرك قبحه ولا حسنه إلا من جانب الحق الذي هو الشرع ... وهذا من الشرع خبر لا حكم » فوجهة نظر العقل الإنساني ، في تحديد الخير والشر ، وجهة نظر نسبية فيما يتعلق بالأحكام التي يصدرها ، أما الشرع فيطلقنا على ما هو حسن أو قبيح في ذاته ، ومعنى ذلك أنه يبين لنا أن الخير هو ما يوافق الطبيعة الإنسانية ، وأن الشر هو ما لا يوافقها . فالشرع لم يأت إلا بما يستند الطبع . ولذلك يعجب محيي الدين بن عربي كيف يجد بعض الناس مشقة في قبول ما جاء به الشرع الذي لم يحرم عليه شيئاً تقتضيه الطبيعة الإنسانية ، فقد راعى هذه الطبيعة عندما بين لها الطرق السوية التي تحقق لها الخير . « فما هلك الناس إلا بسطان الأغراض ، فانه الذي أدخل الألم عليهم والمكروه . فلو أن الإنسان

بصرف غرضه الى ما اراده له خالقه لاستراح . . . » (١) ذلك لأن الله لا يريد للناس إلا اليسر ولا يريد بهم العسر . وهو يريد لهم الخير لا الشر ، وإن كان الكل من عند الله لأنه هو الذي أوجد العالم بما ينطوي عليه من كمال ومن نقص يراد به الخير . . .

إن المثل الأعلى ، في نظر ابن عربي ، هو أن يريد الإنسان ما يريد الله له ، فلا يضيق بنعمة الوجود وقد استدلل لذلك بما روى عن أبي يزيد البسطامي من أنه قيل له : ماذا تريد ؟ قال أريد ألا أريد ، أي أنه يريد أن يجعله الله مريدا لما تقضى به الإرادة الإلهية . إذن فمن المستحيل أن يكون المرء مجردا من الإرادة ، والا لما كان لطاعته التي يتقرب بها إلى خالقه معنى ، إذ لو لم تسبقها نية لما كانت طاعة . فمعنى ما قاله البسطامي هو أنه لم يطلب لنفسه شيئا سوى أن يتحرر من الأهواء النفسية التي لا تتسق مع الشريعة والتي لا تحظى برضى الله .

فالشرع إذن هو السراج الذي ينير الطريق . ومن لا يهتدي بنور الشرع شبيهه برجل يسير في الظلام دون سراج أو ضوء ، في طريق كثيرة المهالك والأحوال والحفر . فلا بد له من نور يرى به أين يضع قدمه ، ويكشف له عما يجب أن يتجنبه من المخاطر [وليس له نور سوى نور الشرع الذي قال فيه تعالى : «نورا نهدي به من نشاء من عبادنا» وقال : «ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور»] وقال : (نور على نور) : أحدها نور الشرع ، وثانيهما نور البصيرة ، أي نور القلب . ويرى ابن عربي أن نور الشرع «قد ظهر ظهور الشمس» ولكن الأعمى لا يبصر ، وكذلك من أعمى الله بصيرته لم يدركه فلم يؤمن به ، ولو كان نور عين البصيرة موجودا «إذن فمن الضروري أن يجتمع هذان النوران حتى يعم الضوء الطريق . كذلك يجب على السائر في تلك الطريق المحفوفة بالمخاطر أن يحافظ على سراج من أن تهب عليه ريح الأهواء والأغراض . «فهذا الشخص المائس في هذه الطريق ، إن لم يحفظ سراج من الأهواء أن تطفئه بهبوبها ، وإلا هبت عليه رياح وزعازع فاطفات سراج ، وذهب بصره . وهو كل ريح يؤثر في نور توحيده وإيمانه . فان هبت ريح لينة تميل لسان سراج وتحيره ، حتى يتحير عليه الضوء في مشاهدة الطريق ، فذلك الريح كبتابعة الهوى في فروع الشريعة ، وهي المعاصي التي لا يكثر عنها الإنسان ، ولا تتدد في توحيده وإيمانه . فقد خلقنا لأمر عظيم . ولكن إذا اقتبحنا هذه الشدائد ، وقاسينا هذه المكار ، حصلنا على أمر عظيم ، وهو سعادة الأبد التي لا شقاء فيها » (٢) .

ونلاحظ أن فكرة الجميع بين نور الشرع ونور البصيرة أو العقل فكرة سبق إليها علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة ، كما نجدتها على نحو أكثر عمقا عند كل من الإمام الغزالي وابن رشد (٣) وترتكز هذه الفكرة عند هؤلاء جميعا على أن الله إنما يأمر بالخير ، وينهى عن الشر عناية بالإنسان ، وتحقيقا لطبيعته على أكمل وجه . «ما أمرك الله إلا بما هو خير لك . وهو عند الله عظيم . وما نهاك إلا عما تركه هو خير لك ، لمعظم حرمة عنده . . . » (٤) ويوصي ابن عربي كل من يتقبل نصحه بأن يتبع خاطر الخير لا خاطر الشر الذي يحاول أن يثنيه عن فعل الخير فيقول : «ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع . وإذا خطر لك خاطر بأمرك بفعل الشر فذلك لمسة الشيطان . فإذا أعقبه خاطر ينهك عن فعل ذلك الشر فذلك لمسة الملك . وأنت السفينة . إن انخرقت هلكت وهلك جميع من فيك . فعليك بعلم الشريعة . فانك إن تعلم حدود الله حتى تقوم بها » (٥) .

ثم إننا نراه يؤكد هذه الفكرة في مواطن عديدة فيقول : « ان المعارف من عبد الله من حيث ما شرع ، لا من حيث ما عقل عن طريق النظر » ذلك لأن للهوى في العقل حكما خفيا لا يظنن إليه أصحاب التفكير النظري ، وإن شعر به أهل الكشف من الصوفية (٦) ، بل يذهب إلى القول بأن العمل غير الصالح من نصيب الذين يفصلون القول في الخير والشر عن طريق تفكيرهم النظري ، في حين أن أهل الكشف ، الذين يهتدون بما جاء به الشرع ، أكثر توفيقا في التفرقة بين الخير والشر « فما فصل بالاعلام الإلهي فهو كله عمل صالح ، وما فصل بالنظر العقلي فممنه صالح وغير صالح بالنسبة إلى من يفصله لا غير . والكمل عمل صالح بالنسبة إلى الله تعالى ، كما نقول ان النقص في الوجود من كمال الوجود ، وان شئت قلت من كمال العالم إذ لو نقص النقص من العالم لكان ناقصا فانهم » ثم يخبرنا أنه ما كان ليذكر أن هناك فسادا في العالم لولا أن الخير الإلهي قد حذر من الفساد في الأرض ، ولولا أنه رأى اتفاق العقلاء ، بل الناس جميعا ، على القبول بوجود الفساد في العالم . ولولا ذلك لما نطق بهذا الوصف أدبا . (٧) فقد أهدى بالكشف الصوفي إلى العلم بأن أعمال الله كلها خير ، لكنها توصف من الناس بأنها خير أو شر حسب أهوائهم وحسب استعداداتهم لقبول آثار الأعمال الإلهية .

وهنا ينبغي أن نتساءل لماذا حددت الشرائع كلا من الخير والشر ؟ ذلك لأن ظهور العقل في الإنسان هو الذي دفعه إلى أن يدمي لنفسه أنه هو الذي يختار أعماله ، وأنه يستطيع التفرقة بين الخير والشر . لذلك جاءت الشرائع تنسحق للعقلاء بين الحسن والسيئ . وكان من الطبيعي أيضا أن يكون هناك جزاء للخير وللشر . غير أن رحمة الله سوف تشمل الجميع بعد أن يوفى أصحاب الأعمال السيئة فترة العذاب التي كتبت عليهم بسبب خروجهم على ما قرره العقل والشرع معا (٨) .

ويكشف ابن عربي عن أبعاد غركته هذه على نحو أكثر تفصيلا عندما يخبرنا بأن تكليف الناس باتباع الشرائع هو من المكر المحمرد . ذلك أن العقل لما فرق بين الخير والشر جاء الشرع يقره على هذه التفرقة . فعندما تكلم عن المكر الإلهي بمناسبة قوله تعالى : ( سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ) ، وقوله : ( ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون ) نجده يخبرنا بأن « من المكر الإلهي ما يقصد به ضرر العبد ، ومنه ما لا يقصد به ضرر العبد . وإنما يكون لحكمة أخرى يكون فيها سعادة العبد . فانه لولا المكر الخفي لما صبح تكليفه ولا طلب جزاء . فانه من مكر الله المحمود في المبحور به تكليف الله إياه بالأعمال والسمع والطاعة له فيما كلفه به . والأمر يعطى في نفسه أن الأعمال خلق الله في العبد ، وأن الله لا يكلف نفسه . وليس العامل إلا هو . وهذا قد شعر به بعض الناس ( أصحاب مذهب وحدة الوجود ) وأقاموا على العمل وثابروا عليه ، أعنى عمل الخيرات (٩) ، وهم هؤلاء السذجين يقول ابن عربي عنهم إنهم قد اطلعوا على سر القضاء والقدر ، وراوا تحكيه في الخلق ، وشاهدوا ما قدر لهم من أعمال تصدر عنهم من حيث هي أعمال لله ، لا من حيث أنها توصف بالخير والشر . وهم يشاهدون ذلك ، على حد قوله ، في حضرة النور الخالص التي دمت علماء الكلام إلى القول بأن أعمال الله كلها حسنة ولا فاعل إلا الله ، دون أن يظنوا إلى سر القضاء والقدر . لكن توجد مرتبة ثانية بعد حضرة النور الخالص ، وهي التي يسميها حضرة السدفة وهي التي تجمع بين النور والظلمة ، وهي التي يظهر فيها التكليف الديني . مظهر العقل عند الإنسان

ومنها يتميز الخير من الشر . وتوجد آخر الأمر حضرة الظلمة وهي مرتبة الشر والافعال الموجبة للخلود في النار . أما فيما يخص ابن عربى فيقول إن الله أقامه في الحضرة الثانية ، وعصمه من أن يخرج على حدود الشرع « بل أقامنى الله فى حضرة السدفة وحفظنى وعصمنى على حكم حضرة النور ( من حيث العلم ) وأقامنى فى السدفة وهو عند القوم أتم من الإقامة فى حضرة النور . فهذا معنى قول بعضهم فى الفناء إنه فناء المعاصى » ، أى أنه ، وإن كان يعلم عن طريق الكشف ، أن الأفعال كلها تنسب إلى الله ، وأنها حسنة فى ذاتها ، إلا أنه رأى أن اتباع طريق الشرع فى التفرقة بين الخير والشر والطاعة والمعصية هو السلوك الأموم والأكمل . ومن المؤكد بعد ذلك كله أن عمل الخيرات لا يلحق ضررا بالبشر لأنه يلائم طبيعتهم ، ويتسق مع نفوسهم التى صدرت من أصل طاهر لأنها من أمر الله .

وهكذا يمكن فهم ضرورة الحدود أو العقوبات التى حددتها الشريعة لمن خرج عن طريق الخير . فإنها ليست شرا ، بل هى خير فى صورة الشر . إنها نوع من العقاب أو الجزاء الذى يجعل به الله للذنبين فى أثناء هذه الحياة وكذلك الأمر فى المصائب والكوارث التى تحل بالأفراد أو الأمم . فقد قال تعالى : ( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ) « وكذلك ما ظهر من الفتن والخراب والحروب والطاعون » . . . فهذا كله جزاء على أعمال قاموا بها . وهو جزاء معجل فى الدنيا « وقد يكفر عن الذنب بعض خطاياهم فى الآخرة . أما إقامة حدود الشرع على السارقين أو الزناة فإنها تهدف إلى تطهيرهم . فعقابهم ليس شرا ، بل هو نوع من الرحمة . ولهذا نهى الشرع عن الرامة فى إقامة حد الزنا بقوله « ولا تأخذكم بهما رافة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » فإقامة هذه الحدود على المعصاة ، وعلى ملا من الناس فى الدنيا تطهير لأصحابها قبل أن يفضحوا على رؤوس الأشهاد فى الآخرة . . . فإقامة الحدود فى الدنيا أستر إذ يسقط عن صاحبها فى الآخرة بقدر ما أخذ منه فى الدنيا ( ١٠ ) . ومن واجب الوالى أن يحكم بما نص عليه الشرع ، حتى لا يكون مواليا للشر . أما إذا ترك مراعاة جانب الحق ، وحكم بالهوى ، فقد ضل . وبهذا المعنى يمكن أن يقال بأن مصائب الدهر وكوارثه هى الأخرى نوع من التطهير . وربما غادر بعض البشر هذه الحياة الدنيا « وما عليه خطيئة لكثرة ما يبتليه الله به » ( ١١ ) .

ولقد أمرنا الرسول أن نؤمن بالقدر خيرَه وشَره فيجب الإيمان إذن بالشر أنه شر ، وبالخير أنه خير . والخير كله ينسب إلى الله ، لأنه هو الذى يعطى الخير بقضائه السابق . ولكن المخلوقات هى التى تنفل هذا القضاء بالقدر اللاحق الذى يرتبط بكائن معين فى زمن معين ، فيوصف بأنه خير أو شر « فخيرته أبقاؤه على الأصل . . . » ولهذا قال : والخير كله بيدك ، وما حكم به من الشر فمن القابل وهو قوله والشر ليس اليك ( ١٢ ) « ومعنى ذلك أن كل كائن له استعداد خاص كان يعلمه الله منذ الأزل . فإذا خرج هذا الكائن من عالم الإمكان الى عالم الوجود الفعلى تحققت استعداداته من قبوله للخير أو للشر . فليس علم الله هو السبب فى سعادته بالخير ، أو شقائه بالشر ، بل السبب هو الاستعداد الخاص بكل كائن فإذا قيل : ولماذا كان الاستعداد مختلفا لدى الكائنات ؟ أجاب ابن عربى بأن حكمة الله اقتضت أن يحتوى العالم على كائنات تختلف فى استعدادها لقبول الفضل الإلهى ، حتى يتحقق لهذا العالم أكبر قدر ممكن من الكمال ، فليست ضروب النقص فى العالم إلا وسائل يراد بها تحقيق الخير .

غير أنه ينبغي ألا يكون ذلك مبرراً لأن ينسب المرء معاصيه إلى القضاء والقدر ، بل هناك قاعدة أخرى يجب اتباعها ، وهي أن يلزم المرء نفسه بفعل الخير . فإذا حدثته نفسه بفعل الشر فعليه أن يعقد عزمه على تركه ، إلا إذا غلبه القضاء السابق والقدر اللاحق . فإذا كان الله لم يقض عليه أن يفعل الشر السذّي حدثته به نفسه كان امتناعه عنه حسنة تكتب له ، وإذا حدث نفسه بفعل الخير وقام به كتب له عشر أمثاله ، أما إذا حال القضاء والقدر دونه فسوف يكتب له حسنة واحدة في كل زمان حدثته نفسه بهذا الخير ، في حين أنه إذا حدثته نفسه بسبئية فإن الله يغفرها له ما لم يرتكبها . أما إذا قام بها فلن تكتب له إلا بمثلها (١٣) .

### جـ - موقف الإنسان من الخير والشر :

إن الإنسان يتألف من روح وجسد . والروح طاهرة بحسب الأصل لأنها من عالم الأمر . ولذا لا توصف النفس بأنها شريرة في أفعالها ، بل هي مطبوعة على حب الخير لأن الخير فيها أمر ذاتي . كذلك يمكن القول بأن الأجسام وقواها طاهرة هي الأخرى . فكيف أمكن إذن أن يوصف الإنسان بأنه خير أو شرير ما دام العنصران اللذان يتألف منهما طاهرين بحسب الأصل ؟ إن طبيعة التركيب بين هذين العنصرين التي تحدد ، في نظر ابن عربي ، طبيعة الإنسان التي تكون أكثر ميلاً إلى الخير منها إلى الشر أو بالعكس . فاتصال النفس بالجسم هو السبب في الاتجاه نحو الطاعة أو المعصية . وعندئذ ندرك كيف يوجه المدح أو الذم إلى الإنسان الذي يجمع بين الروح والجسد ، والذي يكون أهلاً للشواب أو العقاب (١٤) . ويبدو هنا تأثر ابن عربي بأفلاطون ، الذي سبقه إلى القول بأن اتصال النفس الإنسانية بالجسم هو الذي أدى إلى نشأة النفس الحيوانية أو الشهوانية ، وهي سبب المعصية لأنها إما أن تكون مطبوعة فتنسب الدابة الذلول وإما أن تكون جابحة « لقوة رأسها وتركيب مزاجها » .

ولما كان الدين هو عمل الخير ، ولما كانت النفس مهيأة له بطبيعتها فانها لا تقبل الشر إلا بالحاح من القرين الذي يوسوس إليها به ، وهو الشيطان ، ولذا قال الرسول : الخير عادة والشر لجاجة . إذن ليس الشر أصيلاً فيها ، بل تكاد لا تقبله إلا مكرهة « فإن النفس بالذات ما زالت خيرة لأن أباه الروح القدس الطاهر ، وطبعها الخير . وإما هذه الصورة المسواه المعدلة من هذه الأخلاق (١٥) ويطلق ابن عربي اسم هذه الصورة على الجسم الذي خلقه الله فسواه فعنده . ولقد قبل الجسم هذه التنسوية وهذا العدل ، وقبوله للعدل من الخير (١٦) .

وإذا كانت النفس طاهرة بحسب الأصل فليس الظلم من صفاتها لأنه شر ، بل النفس الكاملة التي تسمو على المستوى الحيواني ، هي التي تشعر بالرحمة تجاه الخلق كله ودون تفرقة . فهي تدمو للآخرين أن ينالوا مثلما نالت هي من حب الخير . وأذن فإن كل ما ينقص من طهارة النفس أنها هو « أمر عرضي ، عرض لها لما عندها من القبول في جبلتها » والذي من شيمها أنها هو القهر والظهور . ومن هنا دخل عليها إبليس بوسوسته . ولقد جهل القائل الذي قال :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعل لا يظلم .

وما أنصف وما قال حقاً . (١٧) فالظلم الذي نراه من بعض الناس لا يصدر

عن طبيعتهم وإنما يأتيهم من جانب الشيطان «وللإنسان فيه مدافعة يجدها من نفسه» ولقد أمرنا بأن نصر أخانا مظلوماً أو ظالماً . أما نصرته كمظلوم فهذا أمر توجبه المروءة . وإنما نصرته الأخ الظالم فهو أن نصره على من يوسوس له في صدره بالشر . وتكون نصرته « بالكلام الذي تستحليه النفوس وتقاد إليه ، فتمينه على رد ما وسوس إليه الشيطان من ذلك ( ١٨ ) » ومن ثم يمكن تفسير قوله تعالى : « فآلهمها فجورها وتقواها » . بأن الله قد جعل في طبيعته النفس استعداداً لقبول ما تلهب من فجور أو تقوى ، وجعلها قادرة على التمييز بين هذين الاتجاهين ، فتختار الخير وتحاول أن تتجنب الشر . لكن من السذى يلهمها التقوى والفجور ؟ لا يجوز القول ، في نظر ابن عربي ، بأن الله هو الذي يلهمها أحد الأمرين ، بل الأولى أن نفهم هذه الآية على ضوء ما قاله الرسول من « أن الملك في الإنسان لمة ، وللشيطان لمة » . فيكون الضمير في الهمها للملك في التقوى ، وللشيطان في الفجور ... وكل بقضاء الله وقدره ... ولا يصح أن يقال في هذا الموضوع إن الله هو الملهم ، لما في هذا من الجهل وسوء الأدب ، ولما في ذلك من غلبة أحد الخاطرين ، والفجور أغلب من التقوى ، وأيضا لقوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ( ١٩ ) أما سوء الأدب فهو نتيجة للجمع بين الله والشيطان في ضمير واحد وهذا غاية سوء الأدب مع الله « أذن من الأولى أن ينسب الإلهام بالفجور إلى الشيطان ، والإلهام بالتقوى إلى الملك » متقابلة مخلوق بمخلوق أولى من مقابلة مخلوق بخالق ..

ويبقى من المقرر ، بعد ذلك ، أن النفس خيرة بطبيعتها وبحسب أصلها ، وإنما « ليست أمانة بالسوء من حيث ذاتها ، وإنما ينسب إليها ذلك من حيث أنها قابلة لإلهام الشيطان بالفجور ولجعلها بالحكم المشروع . ويرى ابن عربي أن الإلهام بالشر أو بالخير لا يكون إلا لدى أفراد الأمة التي بعث فيها أحد الرسل أما إذا وجدت أمة على الفطرة ، ولم يبعث فيها رسول فلها تسلك طريق الخير بغيرتها وتبعا لطهارة النفس الأصلية فيها . فالواجب الذي تقتضيه طبيعته النفس والذي يوجب الشرع ، مراعاة لهذه الطبيعة ، هو أن يتجه الإنسان إلى الخير ، ولا يسلك طريق الشر متذعرا بأن الشيطان هو الذي يوسوس به إليه ، أو بأن ذلك كان بقضاء الله وقدره « فاجهد ألا تصدر منك صورة الاخلقة في غاية الكمال في قول وعمل . ولا يفرنك كون النقص من كمال الوجود » ( ٢٠ ) . وقد زل جماعة من الناس في هذا الموضوع عندما اعتقدوا أن المعاصي الإرادية لدى الإنسان سبب في كمال العالم ( ٢١ ) . ويقول ابن عربي أنه تلقى في حياته هذا الصنف من الناس ، ثم يؤكد لنا أن سمة القبح في العالم هي أن يوجد إنسان يرضى لنفسه أن يهبط عن المرتبة التي أرادها له خالقه .

ومهما يكن من أمر ، فالاتجاه إلى الخير هو الطابع الأصلي في الإنسان ، وهو الذي يجب أن تكون له الغلبة . غير أن المرء قد يخطئ في تحديد هذا الخير ، فيريد شيئا يظنه خيرا وهو شر في حقيقة أمره . ففرا يدعو الله أو يسأله أن يحقق له غرضا ، دون أن يعلم أن الله لو حقق له ما سأل لأصابه الضرر « ولهذا ما كل مسئول فيه يقضيه الله لعبده ، وذلك رحمة به . فانه قد يسأل فيها لا خير فيه . فلو ضمن الإجابة في ذلك لوقع ، ويكون فيه هلاكه في دينه وآخرته ، وربما في دنياه من حيث لا يشعر . فمن كرمه أنه ما ضمن الإجابة فيما يسأل فيه ، وإنما ضمن الإجابة في الدعاء خاصة كما بيناه . وهذا غاية الكرم من السيد في حق عبده » .



فللعبد إذن أن يدعو الله أن يوفقه للخير ، وليس له أن يحسد له ما ينبغي أن يحققه له من صنوف هذا الخير . وهناك شيء يدعو إلى الحيرة ، في نظر ابن عربي ، وهو أننا لا ندعو الله أن يحقق لنا الخير إلا بتوفيق منه ، وإلا تبعنا لاستعداد بوجوده فينا لقبول هذا التوفيق . وهكذا نصبح أهلا لدعائه وأهلا لاستجابته لدعائنا ، على أن نترك الله يستجيب لهذا الدعاء على النحو الذي يراه هو لا نحن « فهو أعلم بالمصالح منا . فانه تعالى لا ينظر لجهل الجاهل فيعامله بجهله . وإنما الشخص يسأل والحق يجيب . فان اقتضت المصلحة الباطن أبطأ عنه الجواب . فان المؤمن لا ينهم جانب الحق ، وان اقتضت المصلحة السريعة أسرع في الجواب ، وان اقتضت المصلحة الإجابة فيها عنه في دعائه أعطاه ذلك سواء أسرع به أو أبطأ ، وان اقتضت المصلحة أن يعدل ما عينه الداعي إلى أمر آخر ، أعطاه الأمر الآخر لا ما عينه ( ٢٢ ) » .

وليس معنى أن يرضى الإنسان بالواقع الذي أراده الله له ، ألا يضرع إليه لكي يزيع عنه ما قد يصيبه من بلاء ، لأن ذلك هو ما يسميه ابن عربي مقابضة القهر الإلهي . « فانه ما ألك وحكم عليك بخلاف غرضك . . . إلا لتسأله رفع ذنبك عنك . . . فمن لم يشك إلى الله ، مع الاحساس بالبلاء وعدم موافقة الغرض الإلهي ، فقد قاوم القهر الإلهي » انه من الأدب مع الله أن يطلب المرء إليه أن يكشف عنه ما حل به من مصائب وبلاء « فالأدب كل الأدب في الشكوى إلى الله في رفعه ، لا إلى غيره ( ٢٣ ) وليس معنى الصبر على البلاء ، وهو كثير في هذه الحياة ، ألا يلجأ المرء إلى الله حتى يرفعه عنه ، فان الرضا بالبلاء وحبس النفس عن الشكوى غاية الجهل بالله . وإذا كان الإنسان يشكو عادة إلى أخوانه ممن قد لا يستطيعون له نفعا ، فلم لا يشكو إلى الله ، وهو يعلم أنه لا يتدر على رفع البلاء إلا من أنزله به ( ٢٤ ) وبهذا المعنى يمكن القول بأن الآلام التي يعانها المرء ويسمونها عذابا ليست شرًا خالصا ، وذلك لأنها تذكره بربه فيرجع إليه مضطرا لا مختارا « فيستعذب عند ذلك الأمر الذي رده إلى الله ، وذكره به فأخرجه عن حكم غفلته من نسيانه فسمها عذابا » ( ٢٥ ) .

وإذا كانت النفس مجبولة على الخير فليس للإنسان أن يستأذن ربه في فعل الخير . فان مثل هذا الاستئذان دليل على الفتور والتراخي ما دام الشرع قد حدد طريق الخير . وكيف يستأذن الإنسان في شيء يعلم أنه خير : « فان استأذنت ربك في خير تعلم أنه خير فانظر فان أجابك بالمعسل فحسن ، وإن خيرك فقد مكر بك واستدرجك . وإن لم تقع منه أجابة فاعلم أن في إيمانك ثلثة . فانك ما علمت أنه خير إلا من جهة الشارع ، والشارع الله . فلا شيء تستأذن بعد العلم ؟ فجدد إيمانك بين يديه ، وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله . آمنت بما عندك . واشرع في العمل ولا تستأذن في شيء قط . فان الله عليك رقيب ، فهو يلهك ما فيه مصالحك . وميزان الشرع ، الذي شرع لك ، بيدك لا تفسعه من يدك سامة واحدة ولا نفسا واحدا ( ٢٦ ) » .

ولا ريب في أن الاستئذان في فعل الخير يتلوى على التردد ، وفيه رائحة من الشك ، بعد أن بين الشرع أسباب الخير وطرقه ، وأسباب الشقاء والشر وطرقه . وهناك معيار حائض يفصل بين ما هو خير وما هو شر ، كما يقول ابن عربي : وهذا المعيار ميزان يحدد المرء في نفسه وهو الضمير . فإذا وجد المرء نفسه أنه واثق من أن يريد خيرا ، وأن ظاهره أو سلوكه ليس مخالفا لما يشعر به

فى باطنه أو يوحى به إليه ضميره فذلك دليل على أنه يسير فى طريق الخير فعلا .  
 أما إذا وجد أنه يسلك سبيل الخير بحسب الظاهر لكن يجد فى باطنه رائحة من  
 الشك أو الاضطراب فيما يقوم به من عمل أو عبادة ، أو انقذح فى خاطره شك  
 فى نتيجة هذا العمل أو العبادة فذلك لأنه مجرد من الإيمان ، ولأن قلبه فى ظلمة  
 حالكة « هذا ميزانك فى نفسك وما يخطر لك فيها » . ولذا أخبر الرسول بما معناه  
 أن بعض الناس يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، لكن الله يعلم ما يخطر فى  
 نفسه من شك يقذح فى إيمانه ، لأنه ليس موقنا بجدوى ما يقوم به من عمل  
 يراه الناس منه . وقد يعمل الرجل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، لكن باطنه  
 بخلاف ظاهره لأنه يشعر فى أعماق نفسه أن عمله مخالف لما أمر الله به « فيبدو  
 لله منه ما لا يبدو للناس » (٢٧) .

ولذلك يوصى ابن عربى أن نبداً بأن نحسن الظن بالناس ، والا نخسدهم  
 بالظواهر فنصدر أحكاماً سريعة قد تكون مخطئة . حقا يجب أن نميل إلى أهل  
 الخير ، وأن نتجنب أهل الشر « وقد ورد فى الحديث الثابت أن الجليس الصالح  
 كصاحب المسك ، إن لم يصبك منه أصابك من ريحه ، والجليس السوء كصاحب  
 الكبر ، إن لم يصيبك من شره أصابك من دخانه » فمن صاحب أهل الريب كان  
 جديراً بأن يرتاب الناس فى أمره ، وذلك بسبب غلبة سوء الظن بالناس . ومع  
 هذا فإن ابن عربى يرى أن حسن الظن بالناس أفضل من سوء الظن بهم ، فهو يقول  
 « أن هناك قاعدة أنهيك عليها ، أغفل الناس ، وهى تدعو إلى حسن الظن بالناس  
 ليكون محلك طاهراً من السوء . وذلك أنك إذا رأيت من يعاشر الأشرار ، وهو  
 خير عندك ، فلا تسئ الظن به لصحبته الأشرار ، بل حسن الظن بالأشرار  
 لصحبتهم ذلك الخير ، واجعل المناسبة فى الخير لا فى الشر . فإن الله ما سأل  
 أحداً قط يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق ، ويسأل عن سوء الظن بالخلق ،  
 ويكنيك هذا نصحا إن قبلت » (٢٨) .

#### د - الرهبة الشاملة :

ولما كان محبى الدين بن عربى يجعل المناسبة فى الخير لا فى الشر ، فقد  
 حدد لنا موقفه فى مسألة هامة أخرى ، وهى مسألة الوعد والوعيد التى تعد  
 أحد الأصول الخمسة فى مذهب المعتزلة ، وهى التى ترتبط بوجود إثابة  
 الصالحين وعقاب العاصين ، فالوعد خاص بأفعال الخير ، والوعيد يتصل  
 بأفعال الشر . أما فيما يتصل بالوعد فيما لا ريب فيه أن وعد الله حق . وأما  
 فيما يتصل بالوعيد فقد اختلفت آراء علماء الإسلام فى ذلك من اثنا عشرة  
 ومعتزلة (٢٩) . وليس لنا أن ندخل هنا فى تفصيل هذا الخلاف فإن ذلك أمر  
 يطول الحديث فيه . أما فيما يخص ابن عربى فهو يحذر من أن نخلف الوعد ،  
 وأن نصح بأن نخلف الوعد بالشر ، على ألا نسبه خلفا للوعد بل تجاوزا  
 وعفوا ، والعفو خير . فقد وعد الله العاصين من الناس بأن أجرهم على الله .  
 ولقد ذهبت المعتزلة بصفة خاصة إلى أن أوجبوا على الله ألا يخلف وعيده  
 بالمعاقب . وهذا هو ما يأخذه عليهم ابن عربى ، فيرى أن « هذه شبهة المعتزلة ،  
 وغاب عنها قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » . فقد تواطأ  
 العرب على أن التجاوز عن الوعد بالشر يعد من مكارم الأخلاق  
 فعاملهم الحق بما تواطأوا عليه ، فزلت هنا المعتزلة زلة عظيمة . أوتعها فى

ذلك استحالة الكذب على الله تعالى في خبره . وما علمت أن مثل هذا لا يسمى كذبا في العرف ( أو اللغة ) الذي نزل به الشرع .. وهذا من تصور بعض العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها ( العقلية ) ولا ينبغي لها ذلك . فعلمها أن تحاول فهم مقصد الشرع وأن تعرف طبيعة من يخاطبهم وبأي لسان يخاطبهم . ذلك أن العرب لا تمد خلف الوعيد كذبا بل تراه من كرم الأخلاق . فإن بعض الأعراب يحبنا عن كريم خلقه فيقول :

وإني إذا أوعدته أو وعسدت خلف أيعمادي ومنجز موعدي

وعندئذ فإذا رحم الله العصاة الذين أوعدهم بالخلود في النار فلا ينبغي أن يوصف الله بأنه قد أخلف في وعيده « بل ينبغي أن يقال إنه يعفو ويتجاوز عن عبده » (٣٠) . أفن من الجائر ، في نظر ابن عربي ، أن نعم الرحمة جميع الخلق بها فيهم أهل النار . وهو يمثل فكرة هذه الرحمة الشاملة بأنها تنسق تماما مع فكرته عن الوجود . ذلك لأن الوجود رحمة مطلقة في الكون . والعذاب شيء يمرض لأمر طار أو نمرض « فهو عارض لمرض ، والموراض لا تتصف بالديموم .. فلهذا يضعف القول بتسرد ( تبيد ) العذاب ، فإن الرحمة شملت آدم بجهنمه ، وكان حاملا لكل بنيه بالقوة فعمت الرحمة الجميع .. والله عند حسن ظن عبده به » (٣١) .

ويلاحظ أن هذا الرأي يبدو متعارضا مع ما جاء في القرآن من خلود بعض المعذنين في النار أبدا ، كما تتعارض فكرة نجات أبناء آدم جميعهم ، بسبب عفو الله عن آدم ، مع مبدأ المسؤولية الفردية الذي قرره الإسلام . لكن ابن عربي يحتج لرايه هذا بنصوص دينية أخرى جاءت في القرآن وفي الحديث . فقد علمنا أن رحمة الله قد سبقت غضبه . فإذا انتهى غضبه عاد الحكم للرحمة في رايه . كذلك نجده يقول إنه « ما ثم نص .. لا يتطرق اليه احتمال في تسرد العذاب .. فلم يبق الا الجواز وأنه رحمن الدنيا ورحمن الآخرة » فأهل العذاب سوف ينتهي أمرهم بأن يستعذبوا عذابهم كما يلتذ الأجرب بحك جلده .. ولا يبقى عليهم من العذاب الا الخوف من رجوع العذاب . فهذا القدر من العذاب الذي يسرد عليهم ، وهو الخوف . وهو عقاب نفسي لا حسي . وقد يذهلون عنه في أوقات . فسميهم الراحة من العذاب الحسي . فأهل النار حظهم من النعيم عدم وتوخ العذاب ، وحظهم من العذاب توقمه » .

ولما أراد تفسير النصوص التي وردت بخلود أهل النار إليها الى الأبد ، قال : إنه ليس هناك نص صريح بأن أهل النار الذين لا يخرجون منها يبقون دائما فيها من أجل العذاب . وإذا كان حكم العذاب قد ارتفع عن أهل الجنة فمن الجائر أن يرتفع عن أهل النار مع بقائهم فيها . فقد قال تعالى : « وما هم بخارجين من النار » ولكنه قال أيضا أن رحمة سبقت غضبه . غير أننا نجده يقول في مواطن أخرى ( ٣٢ ) أن مآل الاشتياء الى الراحة من النار وأنه لا يبقى في جهنم سوى خزنها .

وأخيرا يحتج ابن عربي لرايه القائل بأن الرحمة مستعم الجميع بأن الله واسع العطاء ، وأنه قد بسط رحمته فوسعت كل شيء ، بمعنى أنه يرحم بها كل شيء ، ويزيل بها غضبه عن عباده « فانظر فهنسا مر عجيب في قوله : «ورحمتي وسعت كل شيء» ، وقوله : «كل شيء هالك الا وجهه له الحكم» بانزال

شيء منزلته وجعله في مرتبته .. وقد قال عن نفسه ان بيده الخير ، وقال صلى الله عليه وسلم : « والخير كله بيدك والشر ليس اليك » (٢٢) كذلك يحتاج لهذا الرأي الذي نعترف أنه قد يחדش شعور كثير من الناس ، بأن مغفرة الله للمسيء من عباده هي امتنان من الله عليه . وإذا كان عفو الانسان عن أخيه الذي أساء اليه ضريبا من الكرم الذي وعد الله صاحبه بالاجر عليه ، فكيف يحجر المرء على ربه أن يعفو عن عباده المخطئين « فما نهى الله عباده عن شيء الا كان منه أبعد ، وما أمرهم بكريم خلق الا كان الحق به أحق » (٢٣) .

- 
- (١) فتوحات ١٨٧/٢ . (٢) فتوحات ٦٨٧/٢ - ٦٨٨ .  
 (٣) انظر كتابنا دراسات في الفلسفة الإسلامية - دار المعارف ط ٢ سنة ١٩٧٠ صفحات ٦٧ ، ٦٨ ، ١٧٠ - ١٧٢ ..  
 (٤) فتوحات ٤١٠/٤ .. (٥) فتوحات ٤٦٢/٤ ..  
 (٦) فتوحات ٤٠٩/٤ .. (٧) فتوحات ٤٥٩/٢ ..  
 (٨) فتوحات ٤١٢/٣ .  
 (٩) الفتوحات الباب ٥٠٦ : لكن اليس معنى ذلك انهم يخادعون الله ؟ وفي ذلك يقول ابن خوري « فما يخادع الله الا جاهل بالله غاية الجهل ، أو عارف بالله غاية المعرفة التي لا يمكن أن يكون للمحدث ألم فيها .. » ثم يقول : ان الله وقد وصف نفسه بالمرء والاستدراج « ولذلك يتصف به أهل الله يخادعون وينخدعون » .  
 (١٠) فتوحات ٢٠٤/٤ . يميز لينتس عن ذلك بأن خطة إيجاد أفضل عالم ممكن اقتضت أن يوجد السعداء والاشقياء ..  
 (١١) فتوحات ٢٠٥/٤ . (١٢) الفتوحات الباب ٤١٣ ..  
 (١٣) فتوحات ٤٤٧/٤ .. (١٤) فتوحات ١٨٢/٣ .  
 (١٥) فتوحات ٢٦٢/٢ . ويشبهه الاطالون النفس الفطيسية بالجواد الطبع ، والنفس الحيوانية بالجواد المصى - انظر اسطورة العربية في كتابنا في النفس والمحل للفلسفة الاغريق والاسلام ط ٤ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠ .  
 (١٦) فتوحات ١٨٢/٢ .. (١٧) فتوحات ٣٨١/٣ ..  
 (١٨) المرجع السابق ونفس المصنعة . (١٩) فتوحات ١٦٨/١ ..  
 (٢٠) نفس المرجع ونفس المصنعة ..  
 (٢١) لم يفتن لينتس الى هذه التفرقة الدقيقة ..  
 (٢٢) فتوحات ٢٤٥/٤ .. (٢٣) فتوحات ٢٤٣/٤ ..  
 (٢٤) فتوحات ٥٦٤/٣ .. (٢٥) فتوحات ٢٠٧/٣ ..  
 (٢٦) فتوحات ٢٢٠/٣ .. (٢٧) فتوحات ٦٩/٤ - ٧٠ ..  
 (٢٨) فتوحات ٤٦٢/٤ ..  
 (٢٩) انظر كتابنا « مناهج الآلة ومقدمة في نقد مدارس علم الكلام » الطبعة الثالثة - إنجلترا المصرية ١٩٦٩ ..  
 (٣٠) فتوحات ٤٦٧/٤ .. (٣١) فتوحات ٦٥٦/١ ..  
 (٣٢) انظر مقالنا في مجلة الاتام : الاخلاق ابن عربي من كتاباته ..  
 (٣٣) فتوحات ٣٢٤/٤ .. (٣٤) فتوحات ٣٢٢/٣ ..
- 

\* الرسمى : المعدل الإلهي يقتضى اثباته المحسن ومحاربة المسيء ، والنصوص القرآنية تؤكد خلود الكافرين في النار .



# مُلاحَظَة في النقلِيد الحَضَارِي

د. عماد الدين خليل

يبدو واضحا ان ابناء الحضارة المهزومة يقعون في نشاطهم الثقافي والعلمي تقليدا غير ذلك الذي يتبعه ابناء الحضارة الاصيلية المبدعة .. تقليدا ، لا يعود في جذوره الى المعطيات التجريبية والثقافية فحسب ، بل الى التجارب النفسية والاجتماعية والى مقدار الثقة والاعتزاز او الشك ومركب النقص الذي يتميز به ابناء حضارة من الحضارات . وتبدو ( نظرية ) دارون في ( الفشل والارتقاء ) خير مثال نضربه في هذا المجال . فبينما نجد ابناء الغرب من انصار وتلامذة دارون انفسهم يسعون للحصول على المزيد من اليقين العلمي ، والمزيد من ( التطوير ) و ( الملامة ) بين النظرية وبين الحقائق الجسيمة التي تتمخض باستمرار .. ويفترق عنه الكثيرون ، وهم معتزون واثقون بوجهات نظرهم المخالفة — بشكل من الاشكال — للاصول الاولى .. نجد ابناء الشرق يغمضون اعينهم المصابة بالرمد لزاء البريق الوهاج السذي انبثق اول مرة عن نظرية دارون رغم اعتراف صاحبها بخطورة فجواتها ، وظنيتها .. ويقولون كال دراويش ، الذين يهتزون حمدا وتسبيحا عند كل عبارة — ان ما قاله ( الاستاذ ) هو الحق المطلق ، واننا يجب ان نطوِّع كل افكارنا وثقافتنا وتجاربنا ومعطياتنا

الثقافية وفق تلك النظرية .. وحنى ! نفسرنا ! للقرآن الكريم يجب أن نوجهه !  
فى الطريق التى تلتقى فى النهاية بما طرحه دارون !!

صحيح إنه لا توجد لدى الشرقيين الوسائل والظروف والقدرات التجريبية  
الكافية لاختبار صحة أو خطأ نظرية ما من نظريات ( العلم ) الغربى . وبالتالى  
فلنأخذ لن نطلب منهم أبدا التصدى لخصصها ومعارضتها أو تأييدها ( علميا ) ، لأن  
جوابهم حينذاك معروف . ولكننا نريد فقط أن ننبههم الى ضرورة أن يكونوا أكثر  
( موضوعية ) واخلاصا للنظرية ذاتها عن طريق ملاحظة وتنبؤ معطيات  
الغربيين أنفسهم — بما فيهم تلامذة ورفاق دارون — بضدد النظرية . وحينذاك  
سيعرفون أن ما كل نظرية تطرح هناك تغدو قانونا معمولاً به ، أو قضية مسئلة  
لا تقبل مناقشة ولا جدالا . وانها لا بد وأن تجتاز مئات الامتحانات والاختبارات  
والفحوص . ويسقط عنها عشرات النخبينات والاستنتاجات ( الظنية ) كى يؤخذ  
بها امرا مسئلة .. وربما ادى ذلك كله بالنظرية الى أن تتجسه وفق مسارات  
معاكسة تماما للمطلقات الاولى !! نريد منهم — فقط — الا يكونوا — كما يقول  
المثل — ملكيين أكثر من الملك !!

إن الفرق الاساسى بين ابناء حضارة حية متطورة مبدعة وبين اناس لا  
يملكون حضارة ، أو يحبون تقاليد حضارة فى طريقها الى السقوط ، هو أن هؤلاء  
الاخيرين يأخذون ببدا التسليم المطلق بكل ما يطرحه العلم أو الثقافة ، دون أن  
يحاولوا فحص وتجريب مدى صحة أو خطأ هذه الطروح . أما الاولون فانهم  
لا يكونون أبدا عن الفحص والتساؤل والتجريب لأن جديتهم و ( موضوعيتهم )  
تعليمهم حقيقة أن العلم لن يقف يوما عند عتبة سلم إلا ليتجاوزها الى عتبة أخرى ،  
وأن معطيات العلم كثيرا ما ينقض بعضها بعضا ، وينسخ بعضها بعضا . ومن ثم  
فإن ( الركود ) عند درجة فى السلم تعنى أن ( المحرك ) الاساسى للصعود قد  
توقف ولن يكون بعد ذلك تطور أو تقدم بمفهومهما الصحيح العميق .. وهى  
ظاهرة سلبية ما مارسها حضارة من الحضارات الا وكان ذلك يعنى أنها فى  
طريقها الى نهايتها المحتمة ..

فى مسرحية برنرد شو ( أكثر صدقا من أن يكون صادقا ) يقول أحد  
الأبطال : « أجل يا سيدى ، كون إسحق نيوتن .. قد تهاوى .. أمام نقصد  
آينشتاين ، وقد كان كون نيوتن دعامة التصميم الذهنى .. وكان فى الوسع  
حساب كل شيء .. وكان كل شيء يحدث لأنه يجب أن يحدث .. والآن ، الآن  
ماذا يبقى ؟ كل شيء هو وهم .. العالم الذى كان حسابه مكنيا صار صعبا على  
الحاسبين » . وفى بحث ( العقل فى منتهى حدود الاحتمال ) لـ ( هـ . جـ . ولز )  
ترد هذه العبارات « لقد جذت على الحياة غرابة مفزعة . أن الحوادث التى  
حدثت حتى الآن تتميز بنوع من المعقولة والمنطقية ، تماما كما يضبط قانون  
الجاذبية الأجرام السماوية . أما الآن فيأوح أن ذلك التسلسل قد اختفى » !! ( ١ )  
ونحن هنا لن نطيل على القارئ بعرض مواقف الغربيين ، فلاسفة وعلماء ،  
إزاء الدارونية ، ولكننا نمر ببعضها مسرعين ، من خلال كتاب ( سقوط الحضارة )  
حيث التحليل الذكى لهذه المواقف .

يقول كولن ولسن ، مؤلف الكتاب المذكور « إن ما فعله توينبى هو انه ادلى  
بحقيقة رئيسية ضد المادية ، اذ لا يعتمد الإنراد فقط على الطاقة الإبداعية

المطورة . وانما تعتمد الحضارات ايضا على تلك الطاقة . وهذا مضاد لنهاركسية تهما ، لان الماركسية تقول : ان الحضارات تتطور وفقا للضغوط الاقتصادية ، وليست هناك ارادة حرة . اما توينبى فانه يقول : ان الحضارات تزدهر أو تتدهور وفقا للطاقة الاخلاقية التي تتميز بها ( الاتلية المبدعة ) ، ولهذا فان عبارة ( الطاقة الاخلاقية ) تكون عديمة المعنى اذا لم توجد هناك ارادة حرة .

« ويجدر بنا ان نلاحظ ان ثورة توينبى ضد المادية تتبع نفس الخطوط التي تتبعها ثورة لامارك ضد دارون . ولقد كان تطور دارون ماديا فقط . فاذا كانت الزرافات موجودة اليوم برقابها الطويلة فذلك لان الزرافات التي كانت قصيرة الرقاب انقرضت لأنها لم تكن تستطيع ان تبلغ الأشجار العالية ، في حين ان الزرافات طويلة الرقاب تكاثرت وصارت تنتج زرافات أخرى برقاب أطول .

« ويسمى دارون هذا : ( بقاء الأسلح ) أو ( الاصطفاء العرضي ) ، وهو يعني بذلك ان تعيين نوع الزرافات التي نعتبر أكثر صلاحا كان امرا عرضيا . اما لامارك فقد قال : ان للزرافات رقبا طويلة لأنها كانت تريد ان تكون لها نلسك الرقاب (!) ، وانه حين قل الطعام على الأغصان المنخفضة من الأشجار . بدأت الزرافات تحاول ان تبلغ الأغصان العالية وبذلك تكون قد ( ارادت ) ان تكون لها تلك الرقاب الطويلة .

« ويتضح لاي عاقل (!) ان فكرة لامارك امسح من فكرة دارون ، لان الانسان يستطيع ان يقوى عضلاته ، او ايسة قابلية أخرى . اذا كان بقاؤه يعتمد على ذلك ، ان الظروف الصعبة لا تقتل الانسان — الامر الذي أوضحه دارون حين قال ان ذلك هو ما حدث للزرافات قصيرة الرقاب — وانما تمثل تلك الظروف تحديا يستجيب له المرء ، وهذا هو التطور اللاماركي « (٢١) .

اما برناردشو فانه يقول : في مقدمة مسرحيته ( العودة الى ميتوشالغ ) . . « ان دارون اراد ان يجعل الحياة مجرد ميكانيكية حياتية : وان لامارك كان قد جاء بنظرية أقوى عن التطور قبل دارون . وقال لامارك ان الاجناس تتطور لانها تريد ان تتطور ، اما دارون فانه يقول انها تتطور اتوماتيكيا نظرا لتغيير ظروفها . . ويقول في نفس المقدمة : « . . . لم يكن الناس قادرين على ان يفهموا . . لماذا كنت أخشى الدارونية الجديدة (٢) ، واعتبرها حماقة مغرعة ، وأهاجم دعائها بعنف وحدة » . ثم يتحدث عن النتائج المغرعة التي تمخضت عنها المادية الدارونية في السياسة — وهو هنا يشير الى حرب ١٩١٤ — ويقول مثل توينبى ، ان الحضارات تسقط في اللحظة التي تكون فيها قوة الانسان اشد من قوة الدين « اي امل هناك اذن في ان تسير الانسانية الى الافضل ؟ اذا كان الدارونيون الجدد والبيكانيكليون لا يعتقدون ان هنالك شيئا من الامل ، لان التطور لا يحدث الا بصورة عرضية لا تدبير فيها ولا حكمة . . ؟

بيد ان هذه العقيدة الشقية لا تثبط عزائم اولئك الذين يؤمنون بان الدافع الذي ينجم عن التطور هو خلاق . وقد لاحظوا حقيقة شديدة البساطة ، وهي ان الارادة التي تصر على شئ عتفله في النهاية ، وهي تستطيع في لحظات معينة من التركيز الذي تبلغه لايهانها بالحاجة اليه ، ان تخلق وتنظم كيانا جديدا ، ولهذا فهو لا يعتبرون الجنس البشري لعبة لا ارادة لها . . وقد اشار وايزمان عالم الاحياء البارز الذي هبطت به الدارونية الجديدة الى مستوى الحماقة ، الى ان الموت ليس حالة ابدية في الحياة وانما هو حادث عرضي يفيد للتجديد الدائم ، ولتجنب ازفحام الارض !! (٤) .

ويوضح برناردشو بعض الأمور بوضوح وتأكيد شديدين : كاهمية المسألة الدينية المثبتة في النظام ، في الضبط الذاتي : « لما لم يكن في الدارونية مجال للارادة الحرة ، أو اية ارادة أخرى ، فان الدارونية الجديدة تعتقد بأنه ليس هنالك ما يدعى الضبط الذاتي . ومع ذلك فان الضبط الذاتي هو الميزة الوحيدة لقيمة البقاء التي نجد أن اختيار الظروف يجب دائما أن يؤدي لفترات معينة في البعيد . وقد يتم اختيار صفاتغير منضبطة لتبقى وتتطور لفترات معينة في ظروف معينة . إذ لما كان التهمون هم الذين يكافحون أشد الكفاح من أجل الطعام والشراب ، فان جهودهم تطور قوتهم وبراعتهم في فترة قصيرة جدا ، بحيث أن أقصى ما في وسعهم أن يفعلوه لا يمكنهم من أن ياكلوا أكثر مما يستطيعون . ولكن أي تغيير في الظروف يأتيهم بمقدار كبير من الطعام يدمرهم . ونحن نرى هذا الامر يحدث دائما . إذ نرى فقيرا قسويا صحيح البنية يصبح مليونيرا بالصدفة التي غالبا ما تحدث في التنافس التجاري ، وسرمان ما يبدأ بحفر قبره بأسنانه . أما الإنسان المنضبط ذاتيا فهو يظل على قيد الحياة في تغيرات الظروف لأنه يعد نفسه لها ، فلا ياكل أكثر من قابليته ولا أقل منها ، وانها ياكل بالقدر الذي ينفعه . فما هو الضبط الذاتي ؟ انه لا شيء سوى الحيوية المتطورة ، المتحكمة في الشهوات العادية والمنظمة لها ، فاذا أغفلنا وجود هذا المفهوم السامى ، واذا غفلنا في فهم البديهية الواضحة من أن النوع هو الذي يميز من يستحق البقاء ، كما تفعل المادية الدارونية الجديدة باسم الاصطفاء الطبيعى : فان هذا ليذل على حاجة علماء هذه الفكرة الى مهم موضوعهم نفسه ، كما أنه يسدل علم عدم ملاحظتهم للقوى التي يتم بموجبها الاصطفاء الطبيعى » !! (o) .



ان توينبي أو كولن ولسون أو برنارد تسو أو أي من المفكرين الغربيين الذين تناولوا نظرية داروين بالنقد والتمحيص ، لو كان يعلم — يقينا — أن ما جاء به داروين هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لكان من السخف أن يتعرض لمناقشة ( يقين ) كهذا بمبارات تخمينية كهذه ( أرى .. يرى .. ضرورة فهم موضوعهم نفسه .. يدل على عدم ملاحظتهم .. هبطت به الى مستوى الحماقة .. جاء لامارك بنظرية أقوى .. ويتفصح لأي عاقل .. الخ ) ، لكنه يعلم — قطعاً — أن رفيقته يبنى الأجزاء الكبرى من نظريته على الظن والتخمين والترجيح كذلك !! ففى — من هذه الناحية — أشبه بنظرية فلسفية يحق لكل باحث في حقول الفلسفة أن يأخذ منها ما يراه حقا ويدع ما يراه باطلا متهافنا ، ونحن راينا ناقديه أنفسهم يقومون في خطأ الظن بأن للزرافة ارادة ذاتية في تطوير رقبته من أجل أن تصل الى غذائها المعلق على الفصون العالية !! ان معطيات دارون لم تقم جميعا على مسلمات علمية مثبتة عن عينات حياتية توغرت لديه في جميع مراحل بحثه .. بل ان هذه العينات لم تخدمه سوى في مساحات ضئيلة من مسيرته التجريبية وملاحظاته الاستقرائية ، أما المساحات الأوسع فقد غطاها بالظن والترجيح والتخمين .. ولذا فليس من المستحيل على أولئك المفكرين الواثقين بانفسهم أن يناقشوا داروين ويحاسبوه على تخميناته وأن يأخذوا من نظريته ويدعوا حسبما يملى عليهم تكبيرهم ومتابعتهم العلمية ونتائج الأبحاث والحفريات والكشوف الجديدة التي لا تتف عند حد الا لتجاوزها الى آفاق أخرى ..



اننا اذا سائرنا وجهة نظر داروين في حدوث طفرات في تطور بعض الانواع فاننا لا بد وان نجد أنفسنا امام هذا السؤال : لماذا لا تخطيء هذه ( الطفرات ) يوما — كما أو نوعا — فتؤدي الى ظهور ( نوع ) أو ( أنواع ) تسبب دمار الحياة على الارض ؟ ألا يعني هذا انه — حتى على فرض الايمان المطلق بالطفرة — فان هناك قوة عاقلة تشرف على توجيهها لصالح الحياة ؟ أو على الأقل تمنح الانسان العاقل قدرة وذكاء على التحدى والمجابهة ؟ واذا كانت ( الطبيعية ) تهيب لكل مخلوق وسائله الخاصة لحماية نوعه من الانقراض ، فهل هذا يعني انها تملك البصيرة الناقدة التي تمنعها من أن يكون للانسان منشار كمنشار التماسيح ، فضلا عن عقله ؟ ألا يمكن أن تقع في الخطأ — يوما — وتمنحه وسيلة مادية ( زائدة ) للدفاع عن نفسه ؟ ألا يعني هذا ان ( الطبيعية ) في تقسيمها المنطقي لوسائل الحماية على المخلوقات ، تفكر وتعمل ؟!

ان الله سبحانه ، وهو القدير الخلاق ، شاء ان تكون الارض — وقد هيأها أساسا لتوالد الحياة ونموها وحمايتها — مسرحا لعرض قدراته الخلاقة في تشكيلة من المخلوقات البسيطة أو المعقدة ، ذات الاشكال والتراكيب المعجزة . . ونحن أمام فرضين لا يصطدم أى منهما بأى من الحقائق الدينية علية والقرآنية على وجه الخصوص ، بل العكس يسايرها ويوضحها . . احدها خلق مباشر ( مستقل ) لحشد هائل من المخلوقات المتبايزة ، وهو لن يعجز الله سبحانه وهو الذى خلق الكون في ستة أيام ، وأتاح للأرض امكانية الحياة فوقها بشكل معجز خارق من بين ملايين السدم والنجوم .

وأما الاحتمال الآخر فهو اتاحة المجال للطبيعة والأسباب والسنن أن تعمل عليها — على مدى الأزمان الطويلة — في تطوير الحياة على الارض ، فيما سباه دارون ( الانتخاب الطبيعي ) ، وذلك بتطوير المخلوقات ( الحية ) والتدرج بها من شكل الى شكل في مواجهة تحديات البيئة . . وهو أمر يحدث ليس فقط على نطاق الحياة وانما على نطاق (التطورات الجيولوجية ، المناخية ، الكونية بصورة عامة حيث الاتساع المستمر كما يؤكد القرآن الكريم ) . . الا ان تلك السنن والنواميس التي ( تضبط ) هذا التطور و ( توجهه ) لا يمكن بحال أن توجد من العدم لكي تارسم مهمتها المعقدة الدقيقة المعجزة هذه !!

ان قدرة الله سبحانه على خلق أنواع شتى من الموجودات بهذا التنوع ، توحى بأن هناك تدرجا في الخلق من الاشكال البسيطة الى الاشكال العليا ، ونحن لا نستطيع التسليم المطلق بهذه الفكرة ، إلا اننا يجب أن نلاحظ بأن الله سبحانه ما دام قد هيأ أرضية للحياة على سطح الارض بمواصفاتها وتركيبها المعروف فلا بد اذن أن يكون هناك قاسم مشترك أعظم في طبيعة التكوين البيولوجي لسائر المخلوقات الأمر الذى يمكن أن نلهمسه في تكوين ( الخلية ) . . وهذا القاسم المشترك انما هو الدليل الذى لا ريب فيه على أن وحدة الخلق من وحدة الخالق . . ترى لو أن ظروفا ذات سمات ومواصفات أخرى للحياة قد هيأها الله سبحانه على سطح كوكب آخر ، ألا ينتج عن هذا تكوين بيولوجى لمخلوقاتة يختلف — بشكل من الاشكال — عما في الارض لكي يكون ملائما لظروف ذلك الكوكب ؟ . . من الذى يحدث هذه الموامة الحيوية بين المخلوقات

جميعا وبين الأرضية التي تتحرك عليها وتحيا فوقها ؟ من الذى هيا للأحياء جميعا — على سبيل المثال — قدرة حيوية على امتصاص الأكسجين أو الكربون وتبطله ؟ ألا يدفنا هذا الى تخمين معاكس لفرضية دارون وهو أن تشابه الأوليات الحياتية لفصائل المخلوقات لم يجرى لأنها تطورت عن بعضها وانما لأنها بخلقتها ( المستقل ) تشترك جميعا بتعامل واحد ازاء ظروف حياتية واحدة تفرض على الكائنات الأرضية جميعا أن تأكل وتشرب وتنفس وتنام !!

و ( مندل ) ، عالم الحياة المشهور ، ألا يقرر أن كل نوع — على الأقل فى الفترات الأخيرة من تاريخ الحياة وهى الفترات التى تخضع للفحص والتجريب وليس للظن والتخمين — يحتفظ بخصائصه ومميزاته الوراثية التى تحمى نفسها وفق قوانين غاية فى الدقة والأعجاز ؟؟ ألا يتعارض فى هذا مع نظرية دارون التى تلغى الصفات والميزات ؟ أن فصائل القروذ العليا وقفت — فيها يبدو — عند مرحلة من الإدراك والقدرة على الإبداع والتنفيذ لا يمكن مقارنتها — بأى حال — بمراحل الإنسان ( وهذا الفرق الأساسى هو ما أكد عليه هكسلى أحد رواد نظرية النشوء والارتقاء ) .. ولقد أثبت علم النفس أنه عن طريق ( تجربة الخطأ والصواب ) يمكن تعليم ، حتى القطط والكلاب ، على العديد من الحركات والمهارات التى تمارسها فصائل القروذ .

★ ★ ★

لقد عجز دارون تماما عن تحديد مصدر الحياة الأولى على الأرض .. وقال — يوما — متحدئا عن مشاهداته لتكوين العين المعجز « كلما تذكرت مشاهدتى لتكوين العين هزنتى قشعريرة .. أنا لا أعتقد أنه ليس هناك اله » !! .. وأعلن هكسلى بعده ، عن ضرورة إجراء تعديلات جوهرية على صلب النظرية .. وأما الفلاسفة والمفكرون الأوروبيون أمثال توينبى وبرناردشو فقد أبدوا تشكيكهم ازاء الكثير من تخمينات الداروينية ، خصوصا تلك التى تنفى حرية الإنسان وإرادته الذاتية فى تطوير امكانياته على نطاق الحياة الخاصة والحضارات ..

أما نحن فمهل سنظل أسرى حضارتنا الضائعة ، وقيمتنا المشوهة ، ونفدو ملكيين أكثر من الملك ؟!



(1) كوكب ولبن : سقوط الحضارة ، الطبعة الثانية ، ص ٢٥٠ (ترجمة أنيس زكى) .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٠ و ١٥١ .

(٣) تمييزا لها عن نظرية لامارك التى سبقها .

(٤) عن سقوط الحضارة ص ٣٣٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٤١ و ٢٤٢ .

# الإنسان

## بين عوامل البقاء ومعاول الهدى

للشيخ سعد المصطفى

● ومع أنها أفكار مادية أرضية ، فقد انتشرت بين الناس بترك السرعة العجيبة . ودلت عليهم أسواق العقول بطريقة مثيرة حقاً . تحمل في طياتها غطرسة الإنسان وكبرياءه .

● ولذا تعيش الإنسانية — رغم تقدمها العلمي — بقلوب معلقة . ونفوس مضطربة ، لا أمن ، لا سلام ، لا هدوء . حروب هنا وحروب هناك . وقلق هنا وقلق هناك . لا

فرق بين منطقة وأخرى . فالعالم كله يعيش المأساة . ويصطلي بفارها . رغم أنه وقع في حربين عالميتين لمسى فترة وجيزة ، أزهدت فيها الأرواح ، وسنكت الدماء .

● وكل ما تتفق منه ذهن البشرية هو ميلاد مجلس الأمن في اليوم الرابع عشر من أغسطس سنة ١٩٤١م حين وقع روزفلت رئيس الولايات المتحدة . وتشرشل رئيس وزراء إنجلترا . ميثاقا غليظا ، أطلقا عليه « ميثاق الأطلسي » تلمس فيه للعالم سلاما يؤكد لجميع الناس في

● الإنسان جسم وروح ، قلب وعقل ، عواطف وجوارح ، لا يسعد ولا يفلح ، ولا يرقى رقياً متزناً إلا بعد أن يدرك كنه ذاته ، ويتعرف حقيقة نفسه ، ويتبين معالم الحياة الإنسانية المسميدة التي لا تترك الأذى ظل الموازنة بين متطلبات الجسد ومقتضيات الروح . وهذه الموازنة لا ولن توجد إلا في رحاب السدين الحنيف .

● ولطالما عانت الإنسانية — في القديم وفي الحديث على سواء — من المادية الطاغية ، التي مالت بالإنسان عن تلك الموازنة ، فشق الناس نتيجة البعد عن وحى السماء .

● وأن تقدم الاكتشافات العلمية ، وما ترتب عليه من سهولة اتصال الإنسان بأخيه الإنسان . مهما نأت البلدان . جعل التيارات الفكرية المختلفة الاتجاهات . والآراء المادية الخاضعة لمخلف المؤثرات . كلها تتطير إلى الإنسان بسرعة خارقة . وتلح عليه في جراحة عجيبة أن يعيش أسيرها .

جميع البلاد أنهم مسيحيون حياتهم في أمن من الخوف والحاجة . ثم وقع ممثلو الدول المجتمعة في واشنطن في اليوم الأول من شهر يناير سنة ١٩٤٢م وسجلوا فيه تضامنهم للدفاع عن حقوق الإنسان . وجاء في الديباجة:

« نحن شعوب الأمم المتحدة قد ألبنا على أنفسنا أن ننفذ الأجيال المقبلة من ويلات الحروب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يميز عنها الوصف . وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان ، وبكرامة الإنسان وقدره ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية . وأن نهى الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات » . إلى آخرها ورد في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة . . .

● وبعد فترة وجيزة . طرد عرب فلسطين من وطنهم . وسرقت أملاكهم . وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . وأحتلت إسرائيل أرض فلسطين بمساعدة ومشاركة الفين أبرموا هذا الميثاق .

وهنا نتساءل : ما الدافع لكل ذلك ؟؟؟

وللإجابة على هذا السؤال لا بد لنا من أن نضع أيدينا على حقيقة الصهيونية أولاً ، ثم على الأسباب التي دفعت هؤلاء إلى هذا الموقف المخزي .

### ١ - خطر الصهيونية

يدرك العالم كله خطر الصهيونية . واليك ، على سبيل المثال ، ما قاله الرئيس الأمريكي « فرانكلين » لشعب الولايات المتحدة :

أيها السادة : هنالك خطر عظيم

يهدد الولايات الأمريكية وذلك الخطر هو « اليهود » .

أيها السادة : حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمته الشعب . ويزعزون الخلق التجاري الشريف . أنهم لا يندمجون بالشعب . لقد أقاموا حكومة داخل الحكومة . وحينما يجدون معارضة من أحد فانهم يعملون على خلق الأمة مالياً كما حدث للبرتغال وإسبانيا . . . وإذا لم يمنع اليهود من الهجرة بموجب الدستور ففي أقل من مائة سنة يتقدمون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكمونها . ويدمرونها . ويغيرون شكل الحكومة التي ضحينا وبذلنا لأقاربها دماءنا وحياتنا وأموالنا وحرينا . . . إذا لم يستثن اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة فانه لن يمضي أكثر من مائتي سنة ليصبح أبنائنا عمالاً في الحقول إلى الأبد . فسوف يلعنكم أبنائكم وأحفادكم في قبوركم . . . أن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال . كما أن النمر لا يستطيع تغيير لونه ، فاليهود خطر على البلاد وإذا دخلوها فسوف يخرّبونها ويفسدونها » .

وكان هذا الخطاب بمناسبة الاحتفال بعيد الدستور في سنة ١٧٨٩م .

واليهود في أمريكا يمثلون ٣٪ فقط من تعداد السكان . وهذه النسبة الضئيلة تتحكم في ٣٠٪ من اقتصاد أمريكا وتنفذهم وتأثيرهم يمسك بعقل أمريكا . ويسيطر على جوانب الحياة الأمريكية . وسر هذا كما يقول المفكر الإسلامي وحيد الدين خان أنهم أدركوا أنه توجد إمكانات عديدة تؤثر على جميع نواحي الحياة مثل التجارة والإعلام . ولذا تجدهم يملكون وكالات صحفية ، ومؤسسات كبرى . في الوقت الذي تجسدهم يهتمون بالاهتمام البالغ بتثنية الأجيال

اليهودية الجديدة في كل مجالات التخصص المصري لدرجة أن الأمريكى إذا أراد باحثاً ممتازاً أو مديراً ممتازاً فليس أمامه إلا اليهودى . وبذلك سيطر اليهود على جميع مجالات الحياة حتى داخل أمريكا . والآن هم يحاولون زيادة عددهم عن طريق التبشير . مع أنهم قوم ماجنون عابثون حتى بالمقدسات التى يدينون بها .

### أزمة الضمير الصهيونى :

واليك هذه الصورة التى تبين لك أزمة الضمير الصهيونى ، نقلها الينا المرحوم الأستاذ الدكتور منصور رجب فى محاضراته فى فلسفة الاخلاق فى كلية أصول الدين . قال رحمه الله تعالى :-

ومن غريب ما رايت فى أزمة الضمير أن بعض الناس يوجههم ضميرهم السيئ توجيهاً أسمى ما يمكن أن يكون مظاعة وغلظة . وليس وجه الغرابة فى شدته أو فى خطئه . ولا فى مظاعته وغلظته . وإنما وجه الغرابة فى أن يوجههم ضميرهم هذا التوجيه الوحشى على أنه دين . « فى مكتبة مساحة السيد الحاج أمين الحسينى فى مصر الجديدة ، اطلمت على كتساب « صراخ البريء فى بوق الحرية والذبايح التلمودية » بقلم حبيب افندى فارس . فيه أن من غروض اليهود الدينية أن يعجنوا فطير الفصح بدم البشر « غير يهودى » وهذا الفطير لا يعطى منه عادة الا للاتباء من اليهود !! والكاتب يروى حكايات كثيرة عن هذه الذبايح ... !!

منها ذبيحة اعترف فيها احد الذابحين بعد أن أمن على أن يكون « شاهد ملك » . وكان استجواب الذابح يوم الجمعة ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٠ بحضرة صاحب الدولة « شريف

باشا » وقنصل دولة فرنسا ... وهنا ننقل لك بعض فقرات من هذا المحضر ص ١٥٧ .

س : لماذا تقتلهم ؟

ج : لقد قتلناه لأجل الحصول على دمه ، وبعد أن وضعنا السدم فى « قناني » أرسلناه الى .... وكنا نصنع ذلك اعتقاداً بأن الدم ضرورى لاتهام غروض ديانتنا ...

وفى ص ١٦٤ كان السؤال الآتى : س : قلت بأنهم أخذوا الدم لأجل الفطير ، مع أن السدم عند اليهودى محرم نجس ، فكيف هذا التناقض ، فسر لنا بوضوح !!!

ج : بموجب التلمود ، دمان مقبولان . دم الفصح ، ودم الطهور .

أه . وقد سجلت الذبايح التلمودية الكثير من الصور التى اقترفت باسم الدين اليهودى .

وشاء الله سبحانه أن المس بنفسى حقيقة الجبن والنذالة عند اليهود . ضرورة وجودى مع احدهم ويدعى « أورى ليفن » وكان ذلك فى أوائل الخمسينات فرأيت أزمة الضمير . وغساد العقيدة . وكلاحة اليهودى شاهدى عيان ... ولا أسترسل مع الاحداث . فاليهود طاعون خبيث أصاب بعض أطراف جسد الامة الاسلامية . ولا سبيل الى اخراجه الا بانتفاضة قوية تمزله تماماً عن مواطن الاصابة القاتلة ، وتوقف شره ، وتقضى عليه . فهم اصحاب باطل دائماً ، والباطل يغور ثم يغور . والحق لا محالة منصور . ومظلوم دائماً كما قال الله عز وجل « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال ائبى برىء منك ائبى أخاف الله رب العالمين » . ولذا تجد حزب الشيطان وجنده يقفون بجانبه . انظر الى العالم بمنظار الدين الحق تجد الذين لا يدينون بالاسلام قد أنش

كل منهم بدلوه في فترة من الفترات ولأجل لهذا الشيطان ، ولطما في القضاء على حزب الرحمن . وهنا يجيء الحديث عن السبب الذي جعل هؤلاء يتفنون هذا الموقف المخزي . وهو العداء للحق بهذه الصورة المؤلمة .

## ٢ - العداء للحق وأسبابه :

يشهد التاريخ قديما وحديثا على سواء بأن منشأ ذلك كله هو العصبية المادية التي لا تتسع للمعاني الروحية والحد الأدنى على تلك الأمة التي حبلت بمشعل الحضارة وأضاعت معالم الحياة ، وأرست أصول العدالة ، فكانت صاحبة التاريخ المشرق الوضيء المضيء . ورفعت راية الإسلام عالية خفاقة فوق ربوع الدنيا كلها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . لهذا كان العداء بهذه الصورة . وكان الرأي أن تنشأ إسرائيل أنشاء في جسد الأمة التي كان يهابها العالم كله . لأنها صانعة النصر . وحاملة لواء الحق . ورافعة راية الإنسانية .

وقبل ذلك بفترة من الزمن كان مؤتمر التقسيم الذي قسم وجزا أعضاء هذا الجسد القوي . ثم كان الاعداد لانشاء إسرائيل في مؤتمرات بال في سويسرا عام ١٨٩٧ . وفي هذا الجو العالمي الذي تهيأت أسبابه من كل الوجوه ، حتى من ناحية المسلمين أنفسهم ، كان التنفيذ على مراحل . وفي هذا يقول هرقل الصهيوني في كتابه « الدولة اليهودية » لو طلبت إلى تلخيص أعمال مؤتمر « بال » فاني أقول ، بل أنادي على رموس الأشهاد : انسى أسست اليهودية . وقد يثير هذا القول عاصفة من الضحك هنا وهناك . ولكن العالم بعد خمسة

عوام . أو بعد خمسين عاما سيرى من غير شك قيام الدولة اليهودية حسبما تنليه ارادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة « ثم كان وعد بلفور . وبعده قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . ثم كانت الأحداث التي تعيشها الأمة كلها . وهي حاضر لا يغيب عن الأذهان .

## ٢ - الصراع بين الحق والباطل :

والآن ، وبعد أن وضع الصراع بهذه الصورة بين الحق والباطل . وإن أعداء الحق أرادوا تجزئة الأمة الواحدة وتقسيمها حتى يسهل القضاء عليها . ويتم لهم ما يريدون . علينا أن ندرك أن الوحدة دين . وأنها قوة وأن يد الله مع الجماعة . وأن نصر الله للمؤمنين وعد حق . « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، وأن ندرك أن العالم بين اتجاهين . الأول يميل إلى السير في طريق الغواية ، يفوده الشيطان الرجيم . يحاول جاهدا أن يقضى على اتباع الحق بكل الوسائل . وقضية فلسطين شاهد عيان . الثاني يدعو إلى الالتزام بتعاليم السماء . وما على الإنسان إلا أن يطرح ما طرا من عبوج . وينبذ ما أدخل من تحريف . وأني للإنسان أن يميز وحده بين حق خالص . وحق خليط بزيف الذين حرفوا وبدلوا . كان افن لا بد من الالتزام بكل ما جاء عن المعلم الصادق الأمين . والعلم المكين المتين . أما المعلم الصادق الأمين فهو حبيبنا محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليماته عليه . وأما العلم المكين المتين فهو ما حواه القرآن الكريم من آيات وأحكام . وهذا هو السبيل الوحيد الذي يجمع بين متطلبات الجسد ومقتضيات الروح في الصورة المثلى . وهذا هو السبيل الوحيد الذي به يتحقق وعد الله بالنصر للمسلمين . والله لا يخلف الميعاد . « وعد الله الذين

امنوا منكم وعلوا الصالحات  
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف  
الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم  
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد  
خوفهم امانا يعبدوننى لا يشركون بى  
شيئا » ويؤمنذ يرح المؤمنون بنصر  
الله ينصر من يشاء وهو العزيز  
الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده  
ولكن اكثر الناس لا يعلمون . ويروى  
الشيخان أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود  
حتى يختبئ أحدكم وراء الحجر  
فيقول : يا عبد الله . هذا يهودى  
ورأى فاقته » ومعنى ذلك أن الدائرة  
— لا محالة — دائرة عليهم . ولكن  
حين تنتفخ القلوب على الايمان .  
ويجتمع المسلمون على مائدة القرآن .  
ويتأسون بالنبي محمد عليه السلام .  
رهبانا بالليل فرسانا بالنهار . ترى  
في وجوههم نور الايمان . وفي  
نفوسهم طمأنينة اليقين .

#### ٤ — محور القوة الفشوم وازمة المصالح :

وفي هذا المعترك المزدهم بالتيارات  
المتناقضة والعاصير المتهاججة .  
ومحور القوة الفشوم ( واشتملن —  
موسكو ) والحضارة الزائفة .  
والمدينة الكاذبة . فقدت المبررات  
الروحية . وقدت حتى تلك التي  
تسمى « المبررات الاجتماعية »  
و « المبررات الموضوعية » وإذا أردنا  
معرفة حقيقة المبررات الموضوعية  
فاننا نذكر ما قاله الفكر الاسلامي  
مالك بن نبي في محاضرة له بعنوان  
« دور المسلم » قال : « نذكر على  
سبيل المثال ما كان لهم من ثقة بكلتي  
العلم والحضارة . فقد كانت هذه  
الثقة هي منطلق الإنكار الأوروبية  
في القرن التاسع عشر . وفي بداية

القرن العشرين . خصوصا قبل  
الحرب العالمية الاولى ، والصلة بين  
هذين الجانبين واضحة . فحينما يفقد  
حياة ما أو مجتمع ما مبرراته لا بد أن  
يقسوم بعمليات تعمويض . يستبدل  
مبررات قديمة أو تقادمت . أو فقدت  
تأثيرها في الحياة الاجتماعية كدوام  
قوة للحياة الفكرية والعملية  
والعسكرية والاقتصادية . يعوضها  
بمبررات جديدة . فإذا لم تأت عملية  
التعمويض كما ينتظر منها بالمبررات  
الجديدة ، لما يحدث عنده ؟ تحدث  
الازمة الخطيرة التي يعيشها العالم  
المتحضر اليوم . فالعالم المتحضر يبدو  
أنه لمثل في عملية التعمويض . سواء  
من الجانب الادبي كحالة الوجودية  
مثلا . أو من الجانب السياسي  
كحالة الرجوع لاصله الاوروبي بحثا  
عن منطلقات جديدة لانكساره  
ولنشاطاته الاقتصادية . فكانها  
تقطعت أنفاسه ولم تعد في متداوله  
تلك الاشياء المتينة التي كان يرتكز  
عليها في القرن الماضي وبداية هذا  
القرن . فعندها . فان من الطبيعي  
أن من لا يجد سنداً لمى مسيرته  
التاريخية أن يقع في حيرة وتيه  
وقلق . وهذا ما يفسر لنا ما نراه  
اليوم من حيرة قائمة فعلا في العقول  
والنفوس والارواح . فإذا ما اجتمعت  
هذه الاشياء فعلا في نفس بشرية  
فمعهدها يمكن أن نقصور ما تولده من  
دوافع سلبية . فإذا ما فقد مجتمع ما  
مبرراته ولم يستطع تعويضها بالطرق  
المشروعة في محاولات مبذولة ،  
عندها يعتريه القلق . ويعتريه  
التيه . وتعتريه الحيرة . فماذا يترتب  
على هذا من تصرفات ؟ يترتب عليها  
التصرفات التي نراها في أوروبا  
وامريكا اليوم . يترتب على هذا مثلا :  
أن نجد البلد الذي حقق الضمانات  
الاجتماعية الى أقصى حد مثل السويد

وشعوره . انها الحقيقة التي عرفها قبل أن يخلق هذا العالم كله . انها العهد بيننا وبين الله ربنا « واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون ) ، وأنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولعل هذا الاستدراج الذي تسوق اليه الاقتدار أشبه بالاستدراج الذي حدث بين الفرس والروم من قبل إيان بعثة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم . وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وتلك الآية مكية . وكانت في بدء الدعوة . وفي نقطة الصفر . وكانت الدعوة حينئذ في مكة لا تتعداها . وماذا تصنع مكة — رغم أن المؤمنين كانوا قلة — إزاء العالم كله . بل إزاء المشركين فيها الذين لم يسلموا بعد . !!! ان الآية تتحدى بحيث لو كان أناس هذا القرن العشرين يمشون تلك الظروف بعقلانيتهم الحالية . وطرق تفكيرهم الحديث وكفى لقولوا ان الآية تتحدى . انها تتحدى امبراطوريتين . بل وتتحدى حضارتين قديمتين كبيرتين . امبراطورية وحضارة الفرس من ناحية . وامبراطورية وحضارة بيزنطة والبحر المتوسط بعامته من ناحية أخرى . ولكن ماذا حدث ؟ حدث أن تهاوت الامبراطوريتان . وسقطت الحضارتان . وهما الله الاسباب لقيام دعوته وانتشار دينه . وهذا

يتميز بشيء حطر . وهو أنه يتصدر رأس القائمة في ( احصائية الانتحار العالمية ) فظاهرة الانتحار في العالم يشكل فيها المكان الاول . البلد الأكثر تقدما نسبيا من حيث الضمانات الاجتماعية ... وهكذا . وهذا ان معنى شيئا ثانيا . يعني أن البطون اذا امتلأت لا تغنى النفوس ولا تشبعها . اذا شبعت البطون قد تبقى الارواح متمطشة . تبقى متمطلة . وحين لا تجد وجهة تتطلع اليها تفضل هذه الاستقالة من الحياة . هذا اذا ما يحدث ، وقد يحدث في بلاد أخرى أكثر من هذا في صورة ما . ويبدو أن هناك صور أخرى للاستقالة من الحياة . هي في الحقيقة أشنع من الناحية الاخلاقية . ولا أقول من الناحية الدينية . فهي أشنع ، لأن كل صور خيبة الأمل تتجلى فيها مع شيء من العجز حتى عن القيام بهذه المحاولة لاسدام النفس . وذلك أن هذه المحاولة تتطلب شيئا من الشجاعة . ولأن الإنسان مقد مروته الى درجة الفشل حتى في التخلص من الحياة بالطرق غير المشروعة . فإنه يفر منها عن طريق الموبقات . عن طريق التدهور الاخلاقي « . هذه الصورة التي نستطيع تقديمها في طوط عريضة عن الحياة في المجتمع المتحضر وعلى محور ( واشنطن موسكو ) .

### • — الافلاس هو طريق البداية

ولعل الله سبحانه يريد شيئا من وراء هذا كله . كأنها هذا استدراج تسوق الاقتدار فيه هذا المسالم المتحضر الى طريق حيث تنتهي فيه أخطاؤه . ويثبت فيه فشله . ليفسح المجال لتجربة أخرى جديدة عليه . لم يعرفها من قبل عمليا . ولكنها هي فطرته ووجدانه ، واحساسه



واقع نعرفه جميعا . والآن . فإن سير التاريخ البشرى يستدرج العالم الى فشل تحققت مقدماته . بل وتحقق الجزء الأكبر منه . ولكن فى يد من تكون عجلة القيادة حتى يقيم عوامل البناء بعد أن أصيبت الإنسانية تلك الأصابات القاتلة بمعاول الفناء ؟

## ٦ - المؤمنون خلفاء الله فى أرضه

ولا مناص إذا ما أراد العالم لنفسه سعادة وهناء إلا أن تكون عجلة القيادة فى أيدى الذين يدينون بالدين الحق الذى ارتضاه الله سبحانه لمبادء ديننا . « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » « أن الدين عند الله الإسلام » « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . وكانت هذه التسمية على لسان إبراهيم عليه السلام وأبنتها السماء . « وجاهدوا فى الأرض جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملّة أبىكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » . وهذا الدين انتظم كسل الأنبياء والمرسلين « فهذا نوح يقول » وأمرت أن أكون من المسلمين « وهذا دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام « ربنا اجعلنا مسلمين لك ومن فريقتنا أمة مسلمة لك » وهذه وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » وهذا الوحي الى الحواريين « واذا أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى

قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون » وهذا هو ما دار بين عيسى عليه السلام والحواريين « قلنا أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون » وهكذا انتظم الإسلام كل المرسلين فى رحابه . فليس بدعا إذن أن يكون المسلمون أولى بكل رسول من هؤلاء الذين ينتسبون زورا وبهتانا الى بعضهم . وليس بدعا أيضا أن يكون المسلمون خلفاء الله فى أرضه . والحاملين للرسالة . والداعمين الى الله . « وعلينا أن نعتقد اعتقادا جازما يظهر اثره فى كل ما نقول ما يراه شاعر الإسلام محمد آقبال من أن المسلم لم يخلق ليندفع مسع التيار . ويساير الركب البشرى حيث اتجه وسار . بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية . ويفرض على البشرية اتجاهه . ويولى عليها ارادته . لأنه صاحب الرسالة . وصاحب العلم اليقين . ولأنه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه . فليس مقامه مقام التقليد والاتباع . أن مقامه مقام الإمامة والقيادة . ومقام الارشاد والتوجيه . ومقام الأمر والنهى . وإذا تنكر له الزمان . وعصاه المجتمع . وانحرف عن الجادة . لم يكن له أن يستسلم ويخضع . ويضع أوزاره . ويسالم الدهر . بل عليه أن يشور عليه . وينازله . ويظل فى صراع معه وعراك حتى يقضى الله أمره . ان الخضوع والاستكانة للأحوال القاسرة . والأوضاع القاهرة . والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والاقزام . أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب . وقدره الذى لا يرد .

# الحج فضله وفوائده

للسيخ عبد المحسن الحمد العباد

أمتة في الحج وبين فضله وما أعد الله لمن حج وأحسن حجه من الثواب الجزيل فقال صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » رواه البخاري ومسلم . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « العبادة إلى العبادة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . .

وفي الصحيحين أيضا عنه رضي الله عنه قال : مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل . . قال : إيمان بالله ورسوله . . قيل : ثم ماذا . . قال : الجهاد في سبيل الله . . قيل : ثم ماذا . . قال : حج مبرور .

وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن العاص رضي الله عنه عند إسلامه : « أما

الحج عبادة من العبادات افترضها الله وجعلها إحدى الدعوات الخمس التي يرتكز عليها الدين الإسلامي والتي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

وقد حج بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة حجة التي رسم لامته فيها عمليا كيفية أداء هذه الفريضة وحث على تلة ، ما يصدر منه من قول وفعل فقال صلى الله عليه وسلم : « خذوا عني مما سلككم فلم يلا ألقاكم بعد عامي هذا » . فسبغت حجته صلى الله عليه وسلم « حجة الوداع » . وقد رغب صلى الله عليه وسلم

ومن البر في الحج أن يحصر في أثناءه على التأمل في أسرارهِ وعبرهِ والوقوف على ما فيه من غوائد عاجلة وأجلّة وهي كثيرة أجملها الله تعالى في قوله : « ليشهدوا منافع لهم » . وفيما يلي اششارة الى بعض هذه الغوائد والأسرار التي تضمنتها هذه الجملة من الآية :

**أولاً :** أن صلة المسلم ببيت الله الحرام صلة وثيقة تنشأ هذه الصلة منذ بدء انتباهه لدين الاسلام وتستمر معه ما بقيت روحه في جسده . . فالصبي الذي يولد في الاسلام أول ما يطرق سمعه من فرائض الاسلام أركانه الخمسة التي أحدها حج بيت الله الحرام . والكافر إذا شهد شهادة الحق لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة والشهادة التي كان بهما من عداد المسلمين أول ما يوجه اليه من فرائض الاسلام بقية أركانه بعد الشهادتين وهي اقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام .

وأول أركان الاسلام بعد الشهادتين المصلوات الخمس التي افترضها الله على المسلمين في كل يوم وليلة وجعل استقبال بيت الله الحرام شرطاً من شروطها ، فصلة المسلم ببيت الله الحرام مستمرة في كل يوم وليلة يستقبله مع القدرة في كل صلاة يصليها فريضة كانت أو نافلة . كما يستقبله في الدعاء .

وهذه الصلة الوثيقة التي حصل بها الارتباط بين قلب المسلم وبيت ربه بصفة مستمرة تدفع بالمسلم ولا بد الى الرغبة الملحة في التوجه الى ذلك البيت العتيق ليتمتع بصره بالنظر اليه ولاداء الحج الذي افترضه الله على من استطاع السبيل اليه .

علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله . . وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله نرى الجهاد افضل العمل أفلا نجاهد . . ؟ قال : لا ولكن افضل الجهاد حج مبرور .

ويتضح من هذه الاحاديث وغيرها فضل الحج وعظم الاجر الذي أعده الله للحجاج ويتضح أن هذا الثواب العظيم إنما هو لمن كان حجه مبروراً . فما هو بر الحج الذي رتب الله عليه ذلك الثواب العظيم . . ؟

ان بر الحج أن يأتي المسلم بحجه على النتمام والكمال خالصاً لوجه الله وعلى وفق سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . . وأن يحافظ فيه على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وامتنال الأوامر واجتناب النواهي لازم للمسلم دائماً وأبداً . ولكنه يتأكد في الأزمنة والامكنة الفاضلة لأن الله خلق المخلوق لعبادته وهي طاعته بامتنال أوامره واجتناب نواهيه . . قال الله تعالى : « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً . . » وقال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

فيكون المسلم ملازماً للطاعة وبمعيداً عن المعصية حين حجه وقبله وبعده ليوافيه الأجل المحتوم وهو على حالة حسنة فتكون نهايته طيبة وعاقبته حميدة كما قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » وقال تعالى : « وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنما الاعمال بالخواتيم » .

بالمسلم متى استطاع الحج بادر اليه أداء للفريضة ورغبة في مشاهدة البيت الذي يستقبله في جميع صلواته وليشهد المنافع التي نوه الله بشأنها في قوله « ليشهدوا منافع لهم » .

فاذا وصل المسلم الى بيت ربه رأى بعيني رأسه أشرف بيت واتمس بقسمة على وجه الأرض ( الكعبة المشرفة ) ملتقى وجهات المسلمين في صلواتهم في مشارق الأرض ومغاربها .. ورأى المسلمين مستديرين حول هذا البيت في صلواتهم وأصغر دائرة هي التي تلي الكعبة ثم التي تليها وهكذا حتى تكون أكبر دائرة في أطراف الأرض ، فالمسلمون في صلواتهم مستقبلين بيت ربهم يشكلون نقاط محيطات لدوائر صغيرة وكبيرة مركزها جميعا الكعبة المشرفة ..

**ثانيا :** اذا يسر الله للمسلم التوجه الى بيت ربه ووصل الى الميقات الذي وقته رسول الله صلى الله عليه وسلم للأحرام تجرد من ثيابه ولبس ازارا على نصفه الأسفل ورداء على نصفه الأعلى مما دون رأسه وفي هذه الهيئة من اللباس يستوى الحجاج لا فرق بين الفنى والفقير والزئيس والمرؤوس وتساوهم في ذلك يذكر بتساوهم في لباس الأكلان بعد الموت .. فان الكل يجردون من ملابسهم ويلفون بلفائف لا فرق فيها بين الفنى والفقير . فاذا تجرد الحجاج من لباسه ولبس لباس الاحرام تذكر الموت الذي به تنتهي الحياة الدنيوية وتبتدىء الحياة الآخروية فاستعد لما بعده بالأعمال الصالحة والابتعاد عن المأصي وهذا الاستعداد هو الزاد الذى لا يد منه في سفره الى الآخرة وهو الزاد الذى نوه الله بذكره في قوله : « وتزودوا

فان خير الزاد التقوى » ولهذا لما سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : متى الساعة .. ؟ قال صلى الله عليه وسلم له : « وماذا أعددت لها .. ؟ » منبها بذلك صلوات الله وسلامه عليه الى أن أهم شيء للمسلم أن يكون معنيا بما بعد الموت مستعدا له في جميع أحواله بفعل المأمورات واجتناب المنهيات ..

**ثالثا :** اذا دخل المسلم في النفسك لبى بالتوحيد قائلا كما قال صلى الله عليه وسلم في تليته : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. يقولها وهو مستشعر لما دلت عليه من إفراد الله بالعبادة وأنه وحده الذى يخص بها دون ما سواه فكما أنه سبحانه وتعالى المتفرد بالخلق والإيجاد فهو الذى يجب أن تفرد له العبادة دون غيره كائنا من كان ، وصرف شيء منها لغير الله هو اظلم الظلم وأبطل الباطل . وهذه الكلمة يقولها المسلم أجابة لدعوة الله عباده لحج بيته الحرام . فيستشعر المسلم عظمة الداعي وعظم أهمية المدعو اليه فيسمى في الإتيان بما دعى اليه على الوجه الذى يرضى ربه تعالى مع استيقانه بأن المدار في هذه العبادة وفيها من العبادات على الإخلاص لله كما دلت عليه كلمة التوحيد التى تضمنتها هذه التلبية وعلى المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرشد الى ذلك صلى الله عليه وسلم في حجته حيث قال : « خذوا عني مناسككم » .

**رابعا :** واذا وصل المسلم الى الكعبة المشرفة شاهد عبادة الطواف حولها وهي عبادة لا تجوز في الشريعة الإسلامية الا في هذا المكان وكل

المسلمون في مشارق الارض  
بالمسلمين في مغاربها فيتعارفون  
ويتناصحون ويتعرف بعضهم على  
أحوال بعض فيتشاركون في الافراح  
والمسرات كما يشارك بعضهم بعضا  
في آلامه ويرشده الى ما ينفي له  
فعله ويتعاونون جميعا على البر  
والتقوى كما أمرهم الله سبحانه  
بذلك ..

**سادسة :** ويشهد الحاج مظهرها  
عجيبا من مظاهر التعاون اذ يرى  
أرض منى كلها مغطاة بالخيام فلا  
يكاد يمضي يوم النفر الاول الا وقد  
عادت كما كانت تقريبا وذلك لقيام  
كل بما يخصه . فاذا قام كل مسلم  
بما يقدر عليه في خدمة الاسلام  
وتعاونوا على ذلك فان الجهودات  
الفردية وان قلت تكون كثيرة بضم  
بعضها الى بعض ..

وهذه الفوائد القليلة التي اشرت  
اليها اشارة هي من جملة المنافع  
الكثيرة التي اجمل ذكرها في قوله  
تعالى « ليشهدوا منافع لهم » . وان  
اعظم فائدة للمسلم بعد انتهاء حجه  
ان يكون حجه مقبولا وان يكون بعده  
خيرا منه قبله وان يحدث ذلك تحولا  
في سلوكه واعماله فيتحول من  
السيئ الى الحسن ومن الحسن الى  
الاحسن ..

والله المسؤول أن يوفق المسلمين  
جميعا لفقته في دينه والنيات عليه  
وأن يمكن لهم في الارض وينصرهم  
على عدوه وعدوهم انه ولي ذلك  
والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك  
على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه .

طواف في غير ذلك المكان انما هو من  
تثريب الشيطان ويدخل فاعله في  
جملة من عناهم الله بقوله : « ام لهم  
شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم  
يأذن به الله » .

ويشاهد ايضا تقبيل الحجر الاسود  
واستلامه واستلام الركن اليماني ولم  
تأت الشريعة بتقبيل او استلام شيء  
من الاحجار والبنيان الا في هذين  
الموضعين ، ولما قبل عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه الحجر الاسود بين انه  
فعل ذلك متبعا للرسول صلى الله  
عليه وسلم في تقبيله اياه وقال :  
« ولولا اني رايت النبي صلى الله  
عليه وسلم يقبل ما تقبلت » .

**خامسة :** ويشهد الحاج في حجه  
اعظم تجمع اسلامي وذلك في يوم  
عرفة في عرفة اذ يقف الحجاج  
جميعا فيها ملبين مبتهلين الى الله  
يسألونه من خير الدنيا والآخرة .

وهذا الاجتماع الكبير يذكر المسلم  
بالموقف الاكبر يوم القيامة الذي يلتقي  
فيه الاولون والآخرين ينتظرون فصل  
القضاء ليصيروا الى منازلهم حسب  
اعمالهم ان خيرا فخير وان شرا  
فشر . فيشفع لهم جميعا الى الله  
عبده ورسوله محمد صلى الله عليه  
وسلم ليقضى بينهم فيشفعه الله .  
وذلك هو المقام المحمود الذي يحمد  
عليه الاولون والآخرين وهي الشفاعة  
العظمى التي يختص بها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها  
ملك مقرب ولا نبي مرسل .

وفي هذا التجمع الاسلامي الكبير  
في عرفة وكذا في بقية المشاعر يلتقي



## وأماكن طرق الحج

للإمام أبي اسحق الحري — تحقيق : الشيخ حمد الجاسر  
عرض وتحليل : عبد العزيز جادو

على مواجهة كل ما يحيط بهذا العمل من صعاب . ثم هو بعد ذلك له حاسة مميزة يندر أن تتوفر لسواه من العلماء في استكشاف تلك الآثار الثمينة القيمة بالفخر والاعجاب مما لا يمكن أن تقع عليها من قبل إلا عين بصيرة فاحصة كالتي يمتاز بها استاذنا الكبير .

أما الآثار التي كشف لنا عنها شيخنا الجاسر حتى الآن فهي بالحق كنوز مليئة بالآلاء والدرر الغوالي . ثم هو — كما هي شيمته دائماً — لا يستأثر بالكنز لنفسه ، ولكنه بعد أن تقع عليه عينه الفاحصة ، ويستقر بين يديه الماهرتين ، يأخذ في تنفيذه وترتيبه وإزالة ما قد يكون عالقاً به من غواش . ويظل يتعهده بعنايته الفائقة إلى أن يضع عليه لمساته الأخيرة ويغدو عملاً منسقاً كاملاً يرضيه بين يدي مقدره في نواضع

لقد كنت أحسب — كما يحسب غيري من قراء الضاد في أرجاء العالم العربي كله — أن استاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر عالم محقق فحسب ، إلى أن اكتشفت أن لهذا العالم الجليل مواهب عقلية نادرة تجعلنا نعهده أيضاً عالماً من علماء الآثار ، وعليها شامخاً من أعلامها المجيدين ، ورائداً من روادها الفلافل . فهو — كما أرى — قد آلى على نفسه ألا يخدر وسعاً في العمل بجهد وأمانة وبكل حزم وثبات على الكشف عن المجهول والتفتيق في المناطق الأثرية العلمية عن الآثار النفيسة المخبوءة في أية بقعة من البقاع ، وفي أي ركن من أرجاء المعمورة . وهو إذ يمارس هذا العمل الشاق أنها يمارسه بقطنة المسالم ببواطنه وخوافيه ، وبقدرة المتكبر من نفسه ومن عمله ، والمقتدر

جبل عليه . وكان ذلك عليه هينا لأنه اتخذ العلم عدته والبحث مطيته .  
واليوم يقدم لنا عالمنا الأثرى كنزا ثمينا من السكوز القديمة التي عثر عليها وحققها ، يرجع أثره الى أوائل القرن الثالث الهجري . فهو للإمام أبي اسحاق الحربي عن ( المناسك ) وأماكن طرق الحج ومعاليم الجزيرة . والإمام الحربي هذا هو العالم الجليل إبراهيم بن اسحق بن إبراهيم أبو اسحق الصري ، ( ١٩٨ - ٢٨٥ هـ ) ، من أعلام العلم والثقافة في القرن الثالث الهجري ، كان جديرا بأن تدرس حياته دراسة وافية ، لمعق تأثيره في كثير من جوانب الحياة ، في ذلك العصر ، دينية كانت أو لغوية أو جغرافية . ولد ببغداد واتجه لطلب العلم في سن مبكرة قبل العاشرة . ومعروف أن المرء في ذلك العهد يبدأ أول ما يبدأ في الدراسة بتعلم القراءة والكتابة ، حتى يبلغ درجة تمكنه من مجالسة علماء الحديث للاخذ عنهم . وفي الثامنة عشرة من عمره بلغ في علم الحديث درجة لا يبلغها إلا من تمكن فيه بعد طول دراسة ومواصلة .  
وفضلا عن الصلة التي تربط بين الإمام ابن حنبل وبين الإمام الحربي من أنهما ينتميان في الأصل الى بلدة واحدة هي ( مرو ) فإن نشاط الحربي ، وعلو همته ، ورغبته في تحصيل علم الحديث جعله يتصل بالإمام أحمد بن حنبل بعد أن تلقى ذلك العلم على صغار الشيوخ ، فكان له ما أراد .

وقد لازم الحربي الإمام ابن حنبل من الثالثة والعشرين الى الثامنة والأربعين في طلب علم الحديث . وعلى هذا يمكن القول بأن الحربي قد تأثر ببلغ الأثر في أفكاره وآرائه بشيخه الإمام ابن حنبل ، وهذا ما يجده الباحث واضحا فيها أثر

للحربي من آراء وأفكار مما طفحت به مؤلفاته وخاصة ما يتعلق منها بالحديث . حتى لقد قيل فيه : « ما أخرجت بغداد بعد الإمام أحمد ابن حنبل مثل الإمام الحربي » . وكان أبرز جانب نراه في حياة الحربي العلمية بعد الحديث ، هو اتجاهه الى اللغة العربية دراسة وتأليفا . ولهذا غائنا نرى من أبرز آثاره كتاب ( غريب الحديث ) ، وهو كتاب يدل على سعة اطلاع وطول معاناة بموضوعه ، وبحالة إيجاد طريقة لتدوين المفردات اللغوية وجمعها .

ولقد سار في كتابة اللغة متأثرا بطريقتي المحدثين ، وكأنه اتخذ دراسة اللغة وسيلة لخدمة الحديث وما يتصل به .

وكانت أبرز سمة من سمات حياة الحربي الخاصة اعترازه بكرامته ، وترفعه بها من أن تنال . أنه يدرك أن العالم يجب أن يسو بنفسه عن كل ما قد يمس جانب العلم ، أو يحط بقيمته . وكان رضي النفس كريها ، بينما كان بعض علماء عصره يتخذون من العلم وسيلة لبعض متطلبات الحياة ، كان هو يترفع عن ذلك .

ومع عدم عناية الحربي بظهوره الخارجي من حيث اللباس إلا أنه كان يحرص على أن يظهر بظهور الكمال من حيث الصفات الفاضلة .

وكان يحب التباعد عن كل رجال الدولة ، مع شدة اقبال كثير من علماء عصره عليهم ، بل على تملقهم وحرصهم على نيل رضاهم ، وكان مع هذا على جانب كبير من التواضع .

ويدل اتجاهه في التأليف الى نواح خاصة ، على نبهه وكرم خلاله ، فهو يؤلف عن أكرام الضيفة ، وعن ذم الضيفة ، وعن

٦ - ابن القفطى على بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ترجمه فى ( انباء الرواة ) .

٧ - الامام محمد بن احمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ترجمه فى كتبه : ( سير اعلام النبلاء ) و ( تاريخ الاسلام ) و ( طبقات الحفاظ ) .

ومما جاء فى كتاب ( مروج الذهب ) عن الحربى : « .. وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القياد ، لم يكن معه تكبر ولا تجبر ، وربما مزح مع بعض اصقائه بما يستحى منه ويستتبع من غيره ، وكان شيخ البغداديين فى وقته ، وظهرتهم » .

وبالجملة فان المتتبع لما ذكره المؤرخون عن هذا الامام الجليل يجد ما يثير فى نفسه الاعجاب والتقدير لهذا العالم فى جميع جوانب حياته ، مما لا يتسع المجال للاسترسال فيه .

ذلكم هو الامام ابو اسحق الحربى صاحب الاثر الذى نحن بصددده . اما الاثر نفسه الذى تركه لنا منذ قرون ، وكاد أن يندثر وتأتى عليه يد البلى لولا أن وقع عليه استاذنا الجاسر مانفذه من الضياع فهو كتاب ( المناسك ) وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

وهذا الكتاب الذى نقدمه للقراء يعد من انفس السكتب التى تعنى بتحديد مواضع الجزيرة ، وهو من الآثار المفيدة التى تضيف الى ثقافتنا الجغرافية أشياء نافعة حقا . ولها فى تراثنا العلمى العربى قيمة علمية كبيرة جدا . أما الميزات التى يمتاز بها هذا الكتاب الضخم الفخم الذى يبلغ عدد صفحاته ٨٢٤ صفحة من الحجم الكبير - فهى كثيرة ، أهمها :  
١ - أنه اثر ترجع نصوصه كلها

الهدية والسنة فيها ، وعن الحمام ( بتحديد الميم ) وآدابه .

ولقد ضاعت جل مؤلفاته ، ولم يبق الا اليسير منها مما نجد ذكره مغرقا فيها وصل اليها من المؤلفات التى وصفها الخطيب بأنها كثيرة (١) ومنها :

- ١ - كتاب ( اتباع الاموات ) .
- ٢ - كتاب ( الادب ) .
- ٣ - كتاب ( اكرام الضيف ) .
- ٤ - كتاب ( التنسير ) .
- ٥ - كتاب ( التميم ) .
- ٦ - كتاب ( دلائل النبوة ) .
- ٧ - الحمام وآدابه .
- ٨ - ذم الغيبة .
- ٩ - سجود القرآن .
- ١٠ - كتاب ( السروى ) .
- ١١ - كتاب ( العلال ) .
- ١٢ - غريب الحديث .
- ١٣ - القضاة والشهود .
- ١٤ - كتاب ( المغازى ) .
- ١٥ - كتاب ( مناسك الحج ) .
- ١٦ - كتاب ( النهى عن الكذب ) .
- ١٧ - كتاب ( الهدايا والسنة فيها ) .

ولقد ترجم للإمام الحربى كثير من المؤرخين منهم :

- ١ - على بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، ترجمه فى كتابه ( مروج الذهب ) .
- ٢ - محمد بن اسحق بن النديم من اهل القرن الرابع الهجرى ، ترجم الحربى فى ( الفهرست ) .
- ٣ - الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه ( تاريخ بغداد ) .

- ٤ - القاضى ابو الحسين محمد بن خلف الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ فى كتابه ( طبقات الحنابلة ) .
- ٥ - ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ترجمه فى كتاب ( معجم الادباء ) .



الى القرن الثالث الهجرى فما قبله  
من علماء ورواة ذوى خبرة ومعرفة  
بها يتحدثون عنه . ومن هذا فانه  
يعتبر من اصول الدراسات القديمة  
فى تحديد المواضع وفى مختلف  
النواحى الثقافية التى طرقتها الكتاب .  
٢ - وفى الكتاب تصحيح  
لمعلومات خاطئة ، واكمال لآخرى  
ناقصة .

٣ - يوضح لنا هذا الكتاب اصول  
اقوال وردت لنا فى بعض المؤلفات  
بدون ذكر اصحابها .

٤ - ويورد معلومات أخرى  
وصلت لنا من كتب نظفها سبقت  
الى ذكرها ، فيوردها بطريقة أخرى  
تؤيد تلك النصوص ، كما نرى ذلك  
فيما أورده متعلقا بتاريخ الآثار  
المقدسة بكة .

٥ - وفى الكتاب نصوص  
مطلوبة ، من كتب مفقودة مثل كتاب  
( تاريخ المدينة ) ليحيى بن الحسين  
العلوى الذى لم نعرفه الا بواسطة  
السهمودى مؤرخ المدينة المتأخر .

٦ - اما النصوص الأدبية  
الشعرية ، فيوشك أن يكون هذا  
الكتاب هو الوحيد فى جمع ما قيل  
من الأراجيز . فهو يمدنا بفخيرة  
طيبة من الأراجيز الطويلة الكاملة  
فى تحديد طرق الحج من العراق الى  
المدينتين المقدستين ، وهى أراجيز  
ذات قيمة كبيرة اذ أنها تحدد المنازل ،  
منزلة منزلة ، بحسب سير موكب  
الحج فى ذلك العهد ، وتصف كثيرا  
من الأماكن وصفا دقيقا مما يزيد من  
قيمتهما اللغوية والأدبية .

وليس المقام مقام دراسة  
لحواشى الكتاب ، وانما المقصود

الاشارة الى أهميته اشارة نرجو أن  
يكون من ورائها ما يحفز الباحثين  
الى دراسته من مختلف نواحيه .  
لاسيما وقد بذل أستاذنا العلامة  
الشيخ الجاسر فى تحقيق هذا الأثر  
العظيم - الذى يتمثل فى مخطوطة  
فريدة مشحونة بالتصحيح والتحريف  
- جهودا يقصر دونها كل أطراء ولا  
يبلغ شكرها أى ثناء . غلقد سلك فى  
التحقيق طريقا قويا ، وبنى عمله  
فى الكتاب على أسس موضوعية  
متوخيا عدة أمور منها :

١ - تقويم الاصل ما أمكن  
بالرجوع الى المصادر التى لها صلة  
بكل بحث من بحوثه ، مع الاشارة  
الى تلك المصادر .

٢ - اضافة تعليقات موجزة لبيان  
بعض الامكنة والمواضع ، وبعض  
الاعلام .

٣ - تقويم عبارة الكتاب عند  
التحقيق من تحريفها مع الاشارة الى  
ذلك فى الهامش .

٤ - ترتيب الكتاب بحيث يفيد  
منه طلاب التاريخ والعلم والأدب  
أعظم فائدة .

وفى ختام هذا التحليل الموجز  
لكتاب ( المناسك ) ، لا يسعنى الا  
أن أسدى الشكر وانرا وجزىلا  
لصديقى الأستاذ الجليل الشيخ  
الجاسر على ما بذل من جهد صادق  
فى سبيل تحقيق هذا الأثر الفخم ،  
حتى جاء على هذه الصورة البالغة  
حد الكمال والجودة وحسن الترتيب  
وروعة الاخراج . وعلى ما تفضل  
به علينا من زاد أدبى وعلمى ، داعيا  
له بطول العمر مع الصحة والعافية  
وراحة البال .

## قصة من محاورات الشيطان

# في بيت العنابوت

للاستاذ : محمد ابيوب البسوهي

في نهاية أيام الصيف .. في يوم اشد لهيبه — كنت جالسا بمقهى مواجه للبحر بالاسكندرية قبيل الغروب — وسبحت نظراتي مع الماء رويدا رويدا حتى استقرت هناك بعيدا عند مشارف الافق .. وكان قرص الشمس الدامي .. المتفن بالجراح مما عانى طوال النهار من معركة الحياة يستمد ليغيب هناك وراء البحر .. وكان يشحب قليلا قليلا كأنها يراد النوم جفونه لينعم بنوم هادئ بعد نهار بنيس .. وبينما أنا فيها يشبه الغفوة .. أو قل على أبواب سنة من نعاس .. اذا بي اراه فجأة جالسا الى جوارى في المقعد الملاصق ، ولم اكن قد رأيته حين اقبل ولم اعرف كيف دخل وقعد .. وكعادته في أن يمد للناس خيطا يمسكهم به قال كالمحدث الى نفسه وكأنه يفتني : ما اشد ما ينصرف الناس عن مباحج الروح .. هناك لحظات نادرة ، يمكن أن تسميها لحظات التنوير أو لحظات الاشرار تفصل هموم النفس وتجدد نشاطها ، انني اعنى لحظات التأمل .. ذلك انها من لحظات الوجود الحقيقي .. ان الانسان قد يعرف فيها نفسه .. اعنى يكتشفها لما أكثر ما يجهل الناس حقيقة انفسهم ، وكأنهم يعيشون معها في غربة .

ثم ارتفع صوته كأنها ليشدنى اليه وينبهنى وهو يقول :  
يجب أن نفتزع انفسنا من التواءه — هذا هو طريق ارتفاع النفس — ولو  
الى لحظات — فوق الخضم الزاخر من الاهواء .. وبعد ذلك تعود النفس نشطة  
كأنها قد اغتسلت فى بحر النور .

وأعجبني كلامه — فهو يتقن دائماً هذا النوع من نصب الفخاخ فنفطرت  
تلقاه .. وكان يخفى وجهه عنى قليلاً — متجنباً أن أنظر فى عينيه — بسرّة  
الحقيقة التى قد نقرأ فيها أسرار الامواق . وكان يدخن نوعاً عجيباً نافراً من  
الطباقي . فلما رأتى أتابع حلقات الدخان — تيسم ضاحكاً ، وانحنى فى أدب  
وقدم عليه .

قلت : شكراً — اننى لا ادخن ..

قال : وهو يطوى عليه : حسناً فعلت ، فإن التدخين من أعجب وارذل  
العادات .. ان الذى يمارس هذه العادة يود لو يبذل الكثير لينجو من مخالبتها —  
والذى لم يمارسها بعد قد تبدو له ذات بريق جذاب .

ورأتى أعود الى متابعة قرص الشمس الذى يوشك أن يتوارى فى  
الامواق فقال : سيدي اننى معجب بك . انك تمنع هذه الصورة من الجبال  
بعض حقها .

قلت فى شيء من المباهة وبسرعة خجلت بعد ذلك من اندفاعى فيها :  
أحب كل صور الجبال .

قال صدقت ان الامر كذلك تماماً .. ان للجبال صوراً شتى ولكن أعظم  
صورة فيها أرى قد تجسد فى تكوين المرأة أن النظر الى جبالها المتجرد على  
الشاطئ عبادة .

فضحكت بدورى وقلت : عرفت من أسلوبك يا لئيم ، انك تحسن تقديم  
المسل الذى تصنعه بيدك بعد أن تدس فيه ما تشاء .. وما كان حسدك من  
لحظات التنوير وغسيل النفس فى بحر النور غير استدرج .. آه .. آه ..  
ويل للذين لا يعرفون أساليبك ..

فقال : سيدي اننى لم أسمع اليك — انك انت الذى جئت الى الشاطئ —  
حيث تهرح الجيلات .. انك اذن فى دائرة نفوذى أعنى بعض حقول تجارى —  
اننى ولى الامر هنا .

قلت : ولماذا تخصصنى بالذات فى مثل هذه الساعة ؟ لماذا لم تذهب الى  
غيرى — انظر — هناك عشرات من الآخرين ..

قال : عسوا .. اننى لم أخصك انت بشيء — انك اذ تحسبني معك انت  
وحده .. اذا بى فى ذات اللحظة مع كثير من هؤلاء ، اننى كالمرأة الكبيرة  
تنعكس عليها عشرات أو مئات الصور فى لحظة واحدة . انها تستوعب كل  
ما يمر فى طريقها .. دون أن تخص أحداً — انها تتسع لتشمل صور الدواب .  
وهوام الأرض .. والسيارات .. وسباحات الجو .. وباعة البطيخ ..  
والمتعركين .. والشامخين بأنوفهم فيها ، والمعجبون بما أرسلوا فى شعورهم  
من سواف .. والفاتنات .. المرأة تعكس فى لحظة واحدة كل هؤلاء ، اننى  
معك أيها السيد المفضل ومعهم أيضاً فى التو واللحظة .

قلت : ليكن الامر كما تقول .. ولكن ألا تستطيع ان تدعنى وشأنى أيها ..  
فضحك حتى كاد يستلقى ثم قال : كنت تريد أن تقسول أيها السيد — ولكنت  
استدركت .. حسناً فعلت .. اننى أعرف نفسى .. ومعرفة النفس نصف  
القضية على الأقل — هل تدرك اننى أعجب بالذين يحاولون أن يكشفوا بعض

أماليبى .. لقد قرأت ما كتبته عنى بما أسميته حوارا مع إبليس .. لقد كان فيه بعض ما يشد انتباهى .. أننى لا أخشى أن يكشف عن بعض وجوهى النقاب .. فان لى آلاف الآلاف من ملايين الوجوه ..

قلت شامتا : ولكننى أرى أننى استعظمت أن أنفذ الى بعض اسرارك .. فاعتدل فى جلسته وقال فى هدوء عجيب : يا سيدى .. واسمح لى أن أذكوك بسيدى على الرغم من أنك نعتنى بأشد الصفات .. أننى لا أخشى الكلام كثيرا .. أن العشرات من محطات الاذاعة تذيع أثناء الليل وأطراف النهار على أمواج الاثير ألوانا من المواعظ — وتشيد بالجهد — وتذكر الناس بفضائله وتصب اللعنات على إبليس .. ومع هذا يزداد عدد العملاء الذين يطـرقون بابى بحثا عنى .. أن أكثر ما يقال يمر بجوار أذان صماء أننى لا أخشى الكلام كثيرا ..

وارتفع صوته قويا مجلجلا .. حتى لكأنه ينبعث من مكبرات للصوت تلقف صوته وتكره أضعافا مضاعفة .. وهو يردد شامتا بقوله فيه مزيج من الأسى والحيرة : لقد ذهب أولئك الذين كنت أخشاهم : لم تكن هناك كتب .. ولا أذاعات .. ولا كلمات مطبوعة .. وكان الواحد منهم يسافر الى بعيد ليبحث عن كلمة .. أو حكمة .. أو تأويل .. ثم يتخذ من الحكمة التى يصل إليها دستورا عمليا لحياته ..

نعم كان هؤلاء أعدائى — ولكننى حين أمر بذرات التراب فى قبورهم المضئنة أنحنى أجلا وتقديرا ..

قلت : أنك تريد أن تستدرجنى الى مودتك بمثل هذا الادعاء ، فما أكثر ما تذكر الحقائق التى تريد بها باطلا .. انه كما أن لك ملايين الملايين من الوجوه .. فانه يبدو أنك تملك مثل هذا العدد من الأساليب .. أننى أحاول أن أفهمك ولعل ذلك من أسرار صبرى على حوارى .. أنك قد تجلس الى العالم كأنك تلميذ يتعلم .. وقد تصاحب التافه الثرثار وتبدو بين يديه متخشعا لتلبسه لباس الغرور المهلك ..

قال فى غير مداراة : نعم .. ان شبكى كثيرة الخيوط .. هناك من اشدهم بخيط مثل خيط المنكبوت .. وهناك من أعد لهم حبلا غليظا من صلب كذلك الذى تشد اليه ماخرات البحار .. وهناك من يشتد بهم الأسى والحزن حين لا أمد لهم يدا ..

وكان الى حوارنا اثنان يتحدثان .. وكان أحدهما يبالغ فى تركية نفسه . انه وحده الذى فعل كذا .. انه وحده الذى يستطيع أن يأمر .. انه وحده .. وكان الملعون ينمت اليه باسمها .. قلت : انه أهدر بانبك ولا ريب .. لقد زينت له ما يثرثر به .. ترى هل تظل صديقا له الى مدى طويل .. ؟ قال : لا .. ان الحقائق لا تتوارى دائما .. أننى اشجعه وأمد اليه يدي الى حين ثم انتقم منه واكسبه .. وأدعه بعد ذلك عريانا ..

قلت : وعندئذ سوف تشعر بسعادة الانتقام .. فتجهم وجهه حتى أصبح فى مثل لون الفحم ثم أجاب : لا تتحدث معى عن السعادة .. ان السعادة شىء كان ثم ضاع .. لقد أثار حديثك هذا شجوننا دفينة .. لو تغير وجه الامر .. لسعدت أنا وسعدتم أنتم .. أننى أوسوس .. ولكن كم يطيب لى أن تذهب وسأوسى هباء .. أننى عند ذلك قد اتخففت وقد أستطيع أن أمد عين الامل الى أبواب الرحمة ..

قلت : أفن هناك شىء تخشاه منا .. لقد قلت أنك لا تخشى أكثر الكلام

الذى يقال .. فما الذى يخيفك اذن .. ؟ ما الذى يجعل كيدك يبدو ضميما ؟ ..  
العقيدة .. !!

وكنت أظن اننى قد وصلت الى لب اسرارهِ حين رأيته يمعن مفكرا ثم  
يقول : وا أسفاه .. حتى العقيدة وحدها لا تكفى للوقوف طويلا فى سبيلى ..  
ان أخشى ما أخشاه .. بل وأحيانا يخيل لى اننى أتمناه لانهى مهمتى هى  
الإرادة ..

ما أشد خيبتى وضياعى أمام العقيدة المسلحة بالإرادة .. ان الإرادة  
الصادقة هى التى شرب منها أولو العزم اولئك الذين يخيل الى أحيانا أن معدنهم  
قد ندر .. انه لكى أنجسوا أو أحاول التماس طريق النجاة .. لا بد أن يتحرك  
شئ ما فى أعماق نفوس البشر .. أن تتحرك تلك المضغة التى فى الصدور ..  
أن ذرة واحدة من عزيمة صادقة هى خير لكم من ألف كتاب .. أن مسلايين  
السكاري الذين تتخطبهم الخمر .. والوف الألف من العصاة .. والزناة ..  
والشاردين عن حقول الجماعة .. وغير هؤلاء يريدون أن يتوبوا .. ولكن لا احد  
يستمسك بالحبل الممتد الممدود لكم ..

ان الذين تذوب ثرواتهم أمام مفاتن الغواني يريدون ان يعودوا ولكنهم  
يستمرون فى نفس الطريق .. ان أحدا ممن ذكرت ليس فى حاجة الى المزيد  
من الكلمات ما لم تفتح تلك المضغة التى فى الصدور .. ان شيئا ما يجب أن  
يتحرك من الدأخل .. اعنى داخل النفس ..

هل سمعت من الابرة الذهبية ؟ .. انهم فى الصين استطاعوا ان يدفعوا  
بسن الابرة الى أماكن ذى حساسية فى الجسد فتصح الإبدان .. ان القلوب  
فى حاجة الى هذه الابرة .. ان مجرد المعرفة لا يكفى .. فانت ترانى أعرف  
أكثر مما تعرفون ..

قلت : وانك تعنى ان سن الابرة التى تحرك الاعماق هى الإرادة .. ؟  
قال نعم : انها حين تمس القلب ينهض عبلا قويا .. وتكفيه أقل  
المواظ .. أن الكلمات تصبح فى هذا الوقت كأنها مصابيح على جنبات  
الطريق .. ان آية واحدة قد تكتيككم .. انظر مثلا الى قول الحق ( قل للمؤمنين  
يفضوا من أبصارهم ) . لو نفذتم هذه الآية وحدها لاستطعتم أن تهدبوا نصف  
ملكى .. لو اتخذتموها شعارا عمليا .. لو صارت دستورا لاهل الأرض .  
لتحولت ألوف الملايين التى تصرف فى الأزياء التى لا تلبس فى البيوت .. وانما  
أنسجها لكم لتكون معارض للطرقات .. هذه الكنوز تستطيع ان تنفذ وتعلم  
الملايين من أهل الأرض .. ولاكتسبتم ما هو أعظم من ذلك .. العنة .. وهذو  
النفس .. لو نفذتم هذه الآية وحدها لاستطعتم أيضا ان تفضوا على كثير من  
مفاسد الجنس والجريمة التى تشع من أكثر ما تصورون وتذيعون فى مسارحكم  
والملاهى .. لو غض الناس أبصارهم لاستيقظت الطاقات الكامنة الخلاقة اننى  
لا أخشى الكلام .. بل أخشى الملل المسلح بالعقيدة والإرادة .. ولكن هيهات  
.. يبدو اننى مطمئن من هذه الفاحية .. لذلك لا أجد حرجا فى التصريح ..  
وتطلى ضاحكا فى سخرية ..

لم استطع أن أجيب فسكت عن الكلام هنيهة .. فأنفجر ضاحكا ليقول :  
انك قد تعجب حين تصورنى وأعظا .. اننى لا آتى بجديد .. انه يطيب لى

ان اثير فى نفسك روح الاسى والحسرة لانك تعلم ان هذا حق ولكنكم لسبب لا ادرية تتجنبونه .. اننى لا أخشى هذا الكلام .. لانكم تعرفونه .. ان الذين يتخطون فى الظلمات لن يفيدهم ان تشرح لهم اوصاف الاماكن التى لا يرونها ان كل ما هم فى حاجة اليه قد يكون عود ثقاب .. ثم جرسنة من ارادة ..

وانه ليدو جلياً انكم لن تفعلوا .. ولذلك اتلذذ بأن انجرع نشوى الشماتة .. ما أشد غيباء صاحب الكنز الذى يدعه مغلقاً ثم يذهب ليستجدى فى الطرقات .. اننى المقعد الذى يركب الاعمى ويقوده .. ولن تستغنوا عنى .. ولذلك احاول أن ارضيك ببعض الكلام .. اننى أريد ان اكون صديقاً لك .. ومن أجل هذا اكشف لك عن بعض ما تحب ان تعلم ، عسى ان تطمئن الى مودتى وتسلمنى يدك .. ولن أخشى بعد ذلك ان تكون قد عرفت بعض اسرارى .. فان نيمى من بحار الفتن لا يفيض ..

...

وصبت اللعين .. وراح ينظر عن يمين وشمال .. لقسد زافت منه الابصار .. ثم تبسم حين رأى شاباً يهبط من سيارته .. وتهل ثم قال كالحدث الى نفسه مخافتاً : نعم ستجدى الى جوارك على المسور .. قلت : ابك شيء من خبال ..؟ هل تتحدث الى نفسك ..؟ قال : انما اتحدث الى هذا الذى جساء اننى لا اعرفه .. ولكنه سوف يكون من أعظم عملائى .. قلت : وما دمت لم تعرفه فكيف تنبأت له بهذا المصير ..؟

قال : اننى اعرفهم بسيماهم .. الا ترى ان كل انسان يشغله ما يهمه ؟ انك حين تقرأ كتاباً تعرف صاحبه من أسلوبه ولو لم تره .. والفنيون حين يرون رسماً يدركون على الفور من يكون رأسه .. اننى اعرف اصحابى .. اعرفهم وأميزهم من بين الملايين .. ان بينى وبينهم تجاوباً قلبياً أسود هناك اسمة سوداء تربطنى بهم ..

قلت : أرى انك تريد ان تذهب لترحب به ..؟ فتبسم وقال : سوف أرحب به تماماً .. ولكنه سوف يرى منى بعد ذلك الويل والثبور .. سوف يلعن هذه السامة .. ولنسوف يبكى دماً ، ولن ينفعه النسوح والعويل ..

فتحت عينى وأنا أردد : لا حول ولا قوة الا بالله .. واذا بى أفيق من هذه السفة التى أخذتنى من النعاس ورحت أصبح فى نفسى .. وكأننى أقذفه بكلمات الغيظ المحمومة من خلفه .. وكأننى ما زلت أراه : أيها اللعون .. انك تدعونى الى وليمة من عالم الفكر الاسود .. انك تنصب لى فخاخاً عقلية فانت تدرك اننى أهوى التفكير .. فانت تدعونى اليه بأسلوبك التجريبي الذى تعلمته فى عالم الظلمات .. وتصيح صيحات المنكوبات حين يدعو الى بيته ذبابة .. كى يفتريها ..

# الفتاوى

## فى الحج

هل يجوز لى ان اشد على وسطى وانا محرم حراما اضع فيه نقودى ؟  
**الاجابة :**

قال ابن عباس : يجوز لك ان تشدد على وسطك وانت محرم ما يسيبه الناس الآن بالكمر وفيه جيوب لوضع النقود وما تحتاج اليه فيها ؟

## الحج عن الغير

مرضت مرضا شديدا منعنى من الحج بنفسى ، وطال المرض ، وقال الأطباء انه زمن ولا يرجى برؤه ، فانت رجلا حج عنى ثم تفضل الله على بالشفاء واستطيع الحج الآن ، فهل يسقط فرض الحج عنى ام تلمنى الا عادة ؟  
**الاجابة :**

اذا عوفى المريض بعد ان حج عنه نائيه فانه يسقط الفرض عنه ، ولا تلمه الا عادة فلا تفضى الى ايجاب حجتين ، وهذا مذهب الامام احمد ، وقال الجمهور : لا تجزئه حجة النيابة لانه تبين انه لم يكن ميتوسا منه وان العبارة بالانتهاء .  
واذا اردت ان تحج مرة ثانية تطوعا كان افضل .

## ادعية الطواف

ما هى الادعية المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطواف وهل كل ما يدعو به المطوفون وارد عن الرسول الكريم ؟

## الاجابة :

يستحب للطائف ان يكثر من الذكر والدعاء ، ويتخير منها ما ينشرح به صدره دون ان يتقيد بشيء مما يردده المطوفون ، ولم يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادعية مروية منها :

١ - عند استقبال الحجر الأسود : « اللهم ايماننا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بميثاقك واتباعا لسنة نبيك . بسم الله والله اكبر » .

- ٢ — وعند الشروع في الطواف : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .
- ٣ — وعند الركن اليماني « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .
- ٤ — وفي الطواف عند كل شوط رب اغفر وارحم واعف عما تصلم وأنت الأعز الأكرم .
- ولا بأس بقراءة القرآن أثناء الطواف .

### صلاة السنة أثناء الإقامة

دخلت المسجد والمؤذن يقيم لصلاة العشاء ، فكبرت وصليت ركعتين سنة العشاء القبلية ، ثم لما فرغت أحرمت بالعشاء وراء الإمام وبعد الفراغ من الفرض نبهني أحد المصلين إلى أن التطوع بعد الإقامة للصلاة غير جائز فهل هذا صحيح ؟

#### الإجابة :

إذا أقيمت الصلاة كره الاستئغال بالتطوع ، فمن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » ، وفي رواية « ألا التي أقيمت » رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن ، وروى أن رجلاً دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الفداة — الصبح — فصلى ركعتين في جانب المسجد ، ثم دخل مع رسول الله ، فلما صلى رسول الله قال « يا فلان بأى الصلاتين اعتددت بصلاتك وحدك أم بصلاتك معنا » رواه مسلم وأبو داود والنسائي ، وفي انكار الرسول صلى الله عليه وسلم مع عدم أمره بإعادة ما صلى دليل على صحة الصلاة وإن كانت مكروهة .

ومن هذا يبين أن صلاة السنة أثناء الإقامة أو بعدها صحيحة وإن كانت مكروهة .

### موضع وضع اليدين

المصلى يضع يده اليمنى فوق اليسرى أثناء قيامه في الصلاة ، ولكن في أى مكان يضعهما . ؟

#### الإجابة :

قال الترمذى : أن أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم يرون أن يضع الرجل يمينه على شماله في الصلاة ، ورأى بعضهم أن يضعهما فوق السرة ، ورأى بعضهم أن يضعهما تحت السرة ، ووردت روايات تفيد أنه صلى الله عليه وسلم كان يضع يديه على صدره فمن هلب الطائي قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضع اليمنى على اليسرى على صدره فوق المفصل — رواه أحمد .



# بربر الوعيد الاسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

## الرقيم ..

ما هو المراد بالرقيم الذي ورد في قصة أصحاب الكهف في قول الله تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا . إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا » .

أحمد منصور — دبي

اختلف العلماء في المقصود من هذه الكلمة . فمن المؤرخين من قال : إنها اسم جبل ، ومنهم من قال : اسم كلب ، ومنهم من قال اسم قرية على بعد مرسخ من عمان على تخوم البادية ، وذكر الثعلبي عن ابن عباس أن الرقيم واد بين غطفان وإيلة دون فلسطين ، وعن سعيد بن جبیر أنه نسوع من الحجارة ، وقيل من الرصاص كتبوا فيه قصص أصحاب أهل الكهف ثم وضعوه على باب الكهف ، وقال على بن أبي طلحة : الرقيم الكتاب ، وأيا كان فإن الرقيم في اللغة تعني النقش والكتابة .  
قال الله تعالى في سورة المطففين ( كتاب مرقوم . يشهده المقربون ) والمرقوم هو المكتوب والمنقوش ، ويروى أن الكهف الذي أوى إليه أصحاب الكهف كان منقوشا من الداخل بالكتابات القديمة وغيرها . .

.. .. .

## الكويت ..

لدولة الكويت مكانة مرموقة في العالم الاسلامي والمجتمع الدولي على السواء .  
ويسعدنا ونحن في بلاد السفن أن تكشفوا لنا بعض الجوانب عن هذه الدولة الفتية .

الحاج أحمد سيدو

الكويت بلد اسلامى عربى وسكانه عرب ينحدرون من اصول عربية عريقة بالعروبة ، وما زالت عاداتهم وتقاليدهم عربية صرغة لم تؤثر فيها اية عادات وافسدة .

وتقع الكويت فى الشمال الغربى من الخليج العربى بين خطى عرض ٢٨ و ٣٠ درجة شمالا وخطى طول ٤٦ و ٤٨ درجة شرقا تقريبا جنوبى العراق وشمالى الاحساء من المملكة العربية السعودية .

وهى منفذ طبيعى لشمال شرق الجزيرة العربية ، وقد اكتسبت بموقعها هذا مكانة تجارية قديما وحديثا .

ومساحة الكويت ( ١٧٨٢٠ ) كيلو مترا مربعا .  
وببلغ عدد السكان ٧٣٣١٩٦ حسب آخر احصاء أجرى عام ١٩٧٠ م .  
واكثر السكان من الجزيرة العربية والبلدان المجاورة وأما السكان الاصليون فهم نرح من الجزيرة العربية والخليج العربى .

وامراؤها آل صباح فرع من قبيلة عنزة وهى القبيلة التى ينتمى اليها آل سعود العائلة الحاكمة بالسعودية ، وآل خليفة العائلة الحاكمة بالبحرين ، ويتم غالبيتهم السكان فى مدينة الكويت وضواحيها ، والباقيون يقطنون أماكن متفرقة خارج العاصمة .

والكويت اليوم مدينة تجارية عظيمة يفد اليها كل يوم من جميع اطراف العالم البواخر والطائرات والسيارات وهى كثيرة الشبه بباقي المدن العربية المحيطة بها .

وقد تضافرت العوامل الاجتماعية والطبيعية والسياسية والاقتصادية على نموها وازدهارها ، وتعد مرت فى كل المراحل التى تمر بها اية مدينة جديدة .

ولقد اتصل اهل الكويت بالعالم ، واشتغلوا بالتجارة واستخراج اللؤلؤ فائثوا ثراء واضحا ، وكان ذلك قبل ظهور النفط ، وهم يميلون للتجارة بطبيعتهم .

وتبدو ملامح شخصية جديدة لهذا البلد الفتى ، فمستد أصبح التقدم التكنولوجى نتيجة حتمية لانتصار العلم فى هذا العصر ، فلم يعد هناك مجال أن يكتفى بما قد يوجد به أرضه ، كما أصبح لزاما أن يبحث عن وسائل أخرى يضيفها الى عصب حياته الاقتصادية حتى تترسخ دعائم نهضة اقتصادية تكون ركيزة جديدة الى جانب البترول ، وكان الاتجاه الى التصنيع وقامت بعض الصناعات فعلا .

وبذلك تكون الكويت قد خطت خطوات على الطريق الى عالم الصناعة بجانب التجارة .

# بأقلام القراء

نسبته تقديمية

« واشرقت الأرض بنور ربها »

يقول الاستاذ محمد سعيد عدى :

هذهنى ( ٥٥٥٥ ) فقال : ما حال الأقليات فى بلادنا اذا قامت الدولة الإسلامية وكنا بصدد مناقشة عن القومية ونشأتها وآثارها بالنسبة لنا نحن العرب بصورة خاصة ، فأجبت :

يا أخى ، ان الدارس الإسلامى الحقيقى ، بشكل موضوعى لا التاريخ الذى وضعه الصليبيون والمستشرقون وبعض خريجي الجامعات التبشيرية ، يقف على الحقائق الدامغة التى ترد الحجر من حيث اتى ، هذا الحجر الذى رماه المستشرقون وبعض الخريجين والصليبيين واندادهم فى وجه الدولة الإسلامية ، ليعتبروا ما تجمع لها من كيان ، وليسلطوا سلطانهم الحاسد ، واستعمارهم اللثيم الفادر على أمة القرآن الكريم ، على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الخالدة ..

ان الواقف على كبريات حقائق التاريخ يعرف ان حقوق الأقليات وحياتهم ورعايتهم كانت فى ظل رسالة الإسلام ، لا فى ظل التمرات الضيقة ، فى ظل العدالة السبعة التى نادى بها الإسلام ، لا فى ظل راية الحق والتفاضل والعصبيات المحلية الإقليمية .

اسمع يا أخى الى ما قاله البطريرك عيشويية عام ٦٥٦ هـ .  
« ان العرب الذين مكثهم الرب من السيطرة على العالم ياملوننا بالعدالة كما يعرفون ، أنهم ليسوا اعداء للصرانية بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسنا ، ويمدون يد العون الى كنائسنا وأديارنا » .

واسمع الى قول رسول المحبة والعدالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهدا ، او انتقصه ، او كلفه فوق طاقته ، او اخذ شيئا بغير طيب نفس منه غانا حجيجه يوم القيامة » .

والى قوله : « من اذى نبياً فقد اذانى ، ومن اذانى كنت خصمه يوم القيامة » ..

والذى اعتقده يا اخى انك سمعت قصة امير المؤمنين عمر وقد مر فى الاسواق فوجد يهودياً يتسبّلون فقال له ما هذا فقال .. عن حاجة يا امير المؤمنين ، فاعتاده عمر من يده وقال له : « ما انصفناك .. نأخذ منك الجزية وانت شاب ونتركك تتسول وانت شيخ .. فاقصه الى خازن بيت المال ، وقال له : اعط هذا واضربه من بيت المال شيئا معلوماً » ..

واعتقد انك سمعت قصة الامير عبد القادر الجزائري يوم الفتنة الكبرى عام ١٨٦٠ فى دمشق والتي افتعلتها ايداء ائمة مستعمرة غادرة — لفاية نفس نفس يعقوب — وكيف انه احتضن وحى ١٠ آلاف مواطن نصراني فى بيته يؤويهم ويظلمهم و ..

ففى ظل رسالة الاسلام ذلك لا فى ظل غيره .. وعلى كل نجاعتنا اننى اومن بالقرآن الكريم دستوراً ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم زعيماً وبالاسلام ديناً ونظاماً ومنهاجاً للحياة كلها يمكن تطبيقه فى كل عصر ومصر ، وانت لا تؤمن بذلك حيث انك تؤمن — كما تقول — بالاسلام عقيدة وديناً فقط ، وانه نظام عاجز عن مسايرة متطلبات العصر الحديث ، فلا بد من ان يكون بيننا حكم ثالث ، وانا اخار القرآن الكريم — ان رغبت — او اقول المستشرقين وشهاداتهم التى لها فى نفوسنا ثقافتنا المسلمة — رسماً واسماً — اجل قدر واعظم مكان — حكماً ثالثاً فما رايك ؟ ..

استمع الى قول الله عز وجل فى كتابه : « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون » .

وقال : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

وقوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شئ » .. هذا بالاضافة الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ام ليلة اسرائه فى القدس الشريفة جميع الرسل والانباء عليهم الصلاة والسلام ، وكان ذلك تأكيداً لامامة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، واعتراهم بذلك ، « مثل لى النبيون فخصيت بهم » .

هذا غيضى من غيضى بالنسبة للقرآن الكريم والنسخة المطهرة ، واليك شهادة بعض المستشرقين عليك تنوب الى الحق وتعود اليه ..

يقول غوستاف لوبون : « يا له من دين لو كان له رجال » .

ويقول ماركس (١) في صدد كلامه عن الزكاة في الاسلام : « فالتزكاة نظام اجتماعي عام ومصدر تدخر به الدولة المحمدية ما تمد به الفقراء ، وتعينهم ، وذلك على طريقة نظامية قوية لا استبدادية تحكيمية ولا فريية طارئة .. وقد وحدت الأمة ( كلها ) في اطار من دائرة اجتماعية عادلة .. وبذلك برهن النظام الاسلامي على أنه لا يقوم على اساس من الاثرة البغيضة » (٢) .

هذه شهادة اعدائه قبل انصساره .. غاين نحن .. ؟ وما لنا تائهون حائرون .. ؟

وهذه شهادة التاريخ وهو ينطق .. فالأخطل كان يدخل على عبد الملك بن مروان وعليه جبة خز وفي عنقه سلسلة من ذهب علق فيها صليب . وما يقال عن الأخطل ، ومكانته ، يقال عن آل بختيشوع سلالة جورجيس ابن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور وعن آل حنين من نصارى الحيرة ، وحبيش الأعسم ، وقسطا بن أوقا ، ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن ياسيل ، وسرجيس الراسي ، وابن البطريق وغيرهم من الذين سساهموا في الحضارة العربية الاسلامية ..

على كل — فيا أخى — ان كان في الماضي القريب اساءة لهؤلاء فلا يعقل ان تظل النساء صاحبة ضاحكة ، فلا يكون ذلك من الاسلام الخالد العادل وانما هو من المسلمين ، وهذا ليس بمجيب ، فانظر الى التاريخ وما حدث فيه بين الكاثوليك والبروتستانت بسبب تعصب كل فريق الى فريته ..

واخيرا فالدولة تعترف لهؤلاء بالموطنة يتمتعون في ظلها بنعيم الحرية ، ويتضايون بوارف اشجارها — العدالة والمساواة والاخاء — بكثير من الحقوق والواجبات ، قل ان تحظى بها اقليات وطنية في جميع انحاء المسالم .. ونتحدى .. !

وختاماً ، فلا بد للشمس الحق ان تسطع ، ولا بد للظلام الباطل من جلاء وسفسير — باذن الله — راسخي الجنان ، ثابتي القدم ، عن حقنا مدافعين ، وعن اسلمنا ذاتدين ، مهما تقول المتقولون ، وسنردد ما قاله رسول الله صلى الله عليه في الماضي ..

والله — يا ناس — لو وضعت الشمس في يميننا ، والقمر في يسارنا على ان نترك او — نقرزع في امر دعوتنا ، ما تركناها حتى يظهرها الله او نهلك من دونها خنقوز باحدى — الحسنين .

اما نصر من الله وفتح قريب ، او بشهادة في سبيل الله ، والله اكبر والمنة لله ورسوله وللمؤمنين .

(١) ماركس هذا غير ماركس اليهودي الشيوعي ..

(٢) الاسلام والحضارة لكرد على ج ١ ص ٢٧١ .

(٣) نصين لعنى الحديث الشريف .



# قالت صحف العالم

## مراجعة الحساب

لا ينقصنا المال فعندنا منه سيول داخل الصحراء ، ولا ينقصنا الدم فعندنا شباب  
فخس الالهاب يكاد ينفجر دما ، ولا ينقصنا السلاح ، فالأسواق مفتوحة ما دامت الأيدي طسويلة  
والجيوب مليئة ، ولا ينقصنا الحضارة والمدنية والثقافة ما دامت اسبابها متوفرة بل فائضة  
من حاجتنا ، ولا ينقصنا العروش والتيجان وأنواع الحكم والوان الجاه والسلطان ولا  
ينقصنا الفتيون والمهندسون والمدرسون والمعلمون والدعاة والمرشدون ، ففى مصر وهذا من  
نك الاتساع جنود مجندة تصدر كل عام الى البلاد العربية والافريقية المجاورة .  
فما هذا الشر الذي ينقصنا اذا .. ؟

انما ينقصنا فقط الشعور بفداحة الخسارة وعظم الكارثة والتالم الحقيقى على ضعف  
المصلحين فى هذا العين وقلة همتهم وهوانهم على الناس .

فهر المسائل الوحيد الذى لا يعرض بشئ لا بالمال ولا بالعلم ولا بالسلاح ولا بالذكاء والدهاء  
ان هذه المراحل الطبيعية والفنية قد تعرض بعضها البعض وقد تسد اهداها فراخ الاخرى لهن  
من الدهر اما اذا لم نشعر بالخسارة مطلقا ولم نتالم لها بنانا ، اما اذا لم نتوقع قلوبنا على  
مصيبة العالم الاسلامى كتوقع المرء الذى امين فى قارعة الطريق ، اما اذا لم نتسبح ضيائنا  
واهايسينا على رغم شسامة الاعداء ونكائهم الثلاثية وسفيرة الاجانب فى الصلح الصالفة  
وهوان ابنائنا وشبابنا فى العواصم الغربية فان هذا الذهب الفائض فى داخل الارض وان  
هذه الاتون الزاهية البراقة من الحضارة وان هذه الاسلحة الحديثة المستوردة من الغرب  
والشرق لا تنفصا شيئا ولو جمعا بين معونات الكتل السياسية كلها ؟ اذا قمت بجولة قصيرة  
بين العواصم العربية الاسلامية اليوم وتجولت فى اسواقها العاصرة وشوارعها المزدهمة  
ورابت مسورتها فى الليل وجدتها كاملة العدة والعتاد كاملة الزينات والجاهج والملاذات فيها  
العلم فيها الشباب وفيها المال وفيها الفن وعندها القدرات والمشارع والشعائر بل عندها  
الكرم وعندها زخم ولكن ينقصها مع كل هذا الذى نكرناه - ولا ملاحظة - ذلك الشعور المفقود  
المطلوب بجراحها وآلامها جراحات القلب والروح وآلم الوجدان والضمير .

فما هو العمل واين الطريق .. ؟

الحل ان نكهرب هذه الطاقات الغامضة العاجدة التى لا روح فيها ولا حياة ان هذه  
القوى والطاقات والخواهب والمؤهلات والوسائل والادوات كاسلاك الكهرباء فكيف ترى اذا منينا  
بالاسلاك ونسبينا الكهرباء اننا بوسائلنا العاصرة نستطيع ان نعقل ما لم يكن بالحسبان  
اننا بوسائلنا القصيرة التى نزيدها ونستزيدنا نستطيع ان نصنع المجزات ونأتى بها يدهى  
له القول وتظهر فيه الابواب ولكن بالوسائل الحية الوسائل النابضة بالحركة الوسائل  
المكهربة .

ان مواردنا ووسائلنا كثيرة متوفرة يفيض بها العالم الاسلامى كله فها مال وهاك  
ايد عاملة وهاك قرائع وهاك علوم وهاك عدد وهناك لكساء ولكنها مع ذلك لا تؤدى وظيقتها ولا  
تلعب دورها ولا ينفع بلادها واهلها وقد يبدو لراى ان سببه الفقرة والانقسام والوهدة  
تستطيع اذا تحققت ان تحل هذه المشكلة .

وذلك خطأ كبير أضلنا أعواما طويلا في مناهة الحيرة والفوضى الفكرية لا نجد مسيلا الى الخلاص فالوحدة هي أيضا لا تتحقق ولا تخرج الى حيز الوجود من غير هذا الكبرياء من غير هذا العامل الأساسي الوحيد الذي ذكرنا وهو الشعور بفداحة الخطب ووخز الضمير وتالم القلق والوحدة التي تقسم على أسس صناعية أو خيالية أو على أغراض سياسية ولا يكون ورائها مصيد من تلك الطاقة المتكهربة أو الطاقة المولدة أن تسدوم طويلا وتذهب حيث ذهبت الوحدات السابقة لانها وحدات مساقطة أو وحدات ميتة أو وحدات عرجاء أو وحدات ذات أرجل خشبية لا تستطيع أن تقوم وإذا قامت فلن تستطيع أن تسدوم .

\*\*\*

## الامة العربية بين خيارين - الاستسلام المشين أو المقاومة المشرفة .

دخلت الحرب العربية - الاسرائيلية مرحلة جديدة في شهر تشرين الاول من عام ١٩٧٢ فقد جيز هذا الشهر باتساع المسود تكتيكا جديدا يستهدف تنفيذ ما حددت به قولدا ماثير بملاحة الدافقين العرب الى كل مكان .

ومع أن القنصايط الدغالي مجسد كلياً في الوقت الحاضر فإن العدو لم يترد في مواصلة امتداده بل انه وسع نطاق امتداده بحيث شملت أوروبا أيضا وذلك حين أقدم على اغتيال الشهيد والى عادل زعير في روما .

وإذا كانت لا تزال هناك ذرة من ريب لدى عربى واحد بأن العدو لن يتركنا حتى ولو تركناه ولن يتوقف عن محاربتنا حتى لو ساقناه وسقطنا له بكل ما اغتصبه في حرب عام ١٩٦٧ فإن الفسارات التي شنتها طائراته على صيدا وضواحي صور والبقاع وبعض المناطق السورية في منتصف الشهر العالي وادماجه على اغتيال الشهيد والى زعير كل ذلك جاء ليثبت من جديد أن اسرائيل لن تغفر الى هجة تبور بها عدوانها وذريعة تتوكل بها لواصله غاراتها البربرية على أراضينا .

إن ما نريده اسرائيل هو استسلام عربى كامل دون قيد أو شرط .

استسلام لا ينتزح منا فقط أمواتنا بشرية ضحها للاراضى الفلسطينية والعربية التي احتلتها في عام ١٩٤٨ وفي عام ١٩٦٧ بل كذلك يرقنا على فتح حدودنا في وجهه رعاياها وازاضينا في وجهه سلمها . استسلام يجبر حكومتنا على تبادل التمثيل الدبلوماسي معها استسلام يمكن العدو من التطفل في جميع الاراضى العربية والسيطرة على اقتصادياتها وتخريبها من الداخل .

استسلام يضع الاراضى العربية كلها تحت رحمة العدو بحيث يتمكن من تنفيذ مرحلة اخرى من مراحل مخططة الهالك الى انشاء دولة اسرائيل الكبرى الممتدة من التيسل الى الكرات بجهد أقل وتكاليف أصغر مما دفعه حتى الآن .

استسلام يمكن المسود من السيطرة على النفط العربى ويحول العرب لا في فلسطين وهذا بل في سائر انحاء الوطن العربى الى اجراء في ذيارهم .

هذا هو ما يريده المسود . . وإذا نحن لم نوافق على ذلك فإن اسرائيل لن تدعم وسيلة ولا هجة لمهاجمتنا وضرب مدننا وتصف قرانا وذبح أطفالنا واهراق مزارعنا وتدمير ابفينا .

للك حقيقة يجب الا يختلف عليها عريبان التسان . حقيقة اخرى يجب الا تكون موضع جدل أو خلاف أو مناقشة وهي اننا نواجه اليوم كما واجهنا منذ بدء الهجمة الصهيونية على بلادنا واحدا من خيارين :

أما الاستسلام غير المتبد وغير المشروط وهذا معناه انحناء الامة العربية ربما الى الابد ، وأما المقاومة وليس هناك من يقول أن المقاومة سهلة أنها تتطلب اشياء كثيرة لكي تكون نصالة ومجدية وتحقق اهدافها .

( عن مجلة فلسطين )



اعداد الدكتور / عبد المعطى بيومى

**الكويت :** وجه حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم كلمة شكر الى ابناء الوطن على الحفاوة العظيمة التى عبرت عن فرحة الشعب بمناسبة شفائه وعودته سموه مكتبل الصحة موفور العافية .

● عقد فى الكويت فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء الدفاع والخارجية العرب ، وقد بحثوا فى امكان وضع خطة عربية لمواجهة الخطط الصهيونية ، وعلن الامين العام للجامعة ان توصيات اللجنة ستعرض فى اجتماعين قادمين .

● عقدت اتفاقية بين الكويت والمغرب تستهدف توثيق علاقات البلدين التجارية والاقتصادية والاعلامية .

● ناشدت الكويت على لسان سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح - البلاد العربية بان تكون على مستوى المسئولية والخطر ، وأن تتحمل كل منها نصيبا من أعباء المعركة .

● وصف رئيس وفد منظمة التحرير الفلسطينية نتائج المؤتمر بأنها بداية هادئة جدا على طريق ملء بالمصاعب .

**مصر :** بدأت الاستعدادات للاحتفال بمرور الف عام على الازهر فى شهر يونيو القادم على مستوى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية .

● تقرّر أن يتلقى بنك ناصر وبنك القاهرة الزكاة من المواطنين وصرفها فى المجالات التى حددتها الشريعة الاسلامية .

● ستنشئ جامعة الأزهر بالاشتراك مع الأمم المتحدة مركزا سكائيا تابعا للجامعة ، وقد بدأت الاجراءات اللازمة لانشاء هذا المركز .

**السعودية :** قام جلالة الملك فيصل فى الشهر الماضى برحلة الى بعض الدول الافريقية لتوثيق علاقة المملكة السعودية بمسلمى افريقيا .

● تلقت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة مبلغ ( ٢٠ ) الف ريال قيمة التبرع السنوى للجماعة من جلالة الملك فيصل .

● قام الشيخ ضياء الدين باباخانوف مفتى المسلمين فى طشقند بزيارة الى المملكة العربية السعودية بعد حضوره الدورة الاخيرة لمؤتمر مجمع البحوث الاسلامية .

● دعت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة ( ٤ ) آلاف طالب - ١٤٠ معلما ) المسلمين الى بذل التبرعات حتى تستطيع مكافأة المتفوقين ومواصلة برنامجها الجليل .

**أبو ظبي :** تحتفل دولة اتحاد الامارات العربية بالعيد الاول لقيامها فى شهر ديسمبر ٧٢ ويشهد الاحتفال وغود من الدول العربية .



● أتم مجمع البحوث الإسلامية مشروع تقنين الشريعة الإسلامية في بعض المذاهب الفقهية ، وسيعرض المجمع هذا المشروع على مفكرى وهيئات العالم الإسلامى لإبداء الراى فيه لوضعه فى الصيغة النهائية .  
● أوصت لجنة شئون القرآن بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بمعاملة حافظ القرآن معاملة المؤهل فى الجيش .  
● تقرر انشاء معهد عال للسنة يلحق بكلية أصول الدين سيتمح طلابه مكافأة شهرية .

**الأردن :** قرر وزراء خارجية الدول الإسلامية بالأمم المتحدة تشكيل لجنة للبحث فى قيام إسرائيل بتغيير المعالم المقدسة فى مدينة القدس ، وستعرض اللجنة تقريرها فى مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى القادم .  
● قامت إسرائيل أخيراً ببناء ٤ معابد يهودية فى القدس العربية بعد أن أزالَت المساكن العربية وبعض الكنائس من المكان الذى بنت فيه هذه المعابد .

● أنهت المرحلة الأولى من بناء المستشفى الإسلامى الخيرى فى عمان ، ويجرى الآن جمع التبرعات لإكمال المشروع .

**سوريا :** شكلت لجنة من علماء الآثار لدراسة آثار ( قطنة ) التى يرجع تاريخها الى عهد الأمويين ، وكانت عاصمة من عواصم المهمة فى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد .

**اليمن :** عقدت فى القاهرة فى الشهر الماضى اتفاقية للوحدة بين شمال اليمن وجنوبه وتمعها كل من رئيس الوزراء فى الشمال والجنوب .

**ليبيا :** طالبت ليبيا الأمم المتحدة بضرورة جعل اللغة العربية لغة رسمية فى المنظمة الدولية .

**المغرب :** توثقت الاتفاقية التجارية بين المغرب والمملكة العربية السعودية فى سبيل توثيق العلاقات بين البلدين العربيين المسلمين .

**تركيا :** شكلت لجان اقتصادية عراقية وتركية لبحث الوسائل الكفيلة بزيادة حجم التعاون التجارى والاقتصادى بين العراق وتركيا بعض تقلص نشاط تركيا مع إسرائيل .

**الصومال :** أنفقت الحكومة الصومالية ( ١٠.٠٠٠ ) شلن صومالى لتجديد بعض المساجد فى الصومال .

**باكستان :** أبلغت باكستان الأمم المتحدة أنها لا تستطيع الاعتراف بها يسمى « بنجلاديش » فى باكستان الشرقية لأنها لا تنسى أنها جزء من باكستان انفصل عنها بقوة التدخل الخارجى الهندى .  
● ذكرت آخر الإحصاءات أن عدد سكان باكستان الغربية بلغ ٥٨.١٠٠.٠٠٠ .

**أفغانستان :** سيعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية فى كابول فى شهر مايو القادم .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحاي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الفرجي						المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						في سنة ١٩٧٢ م		أيام الأسبوع	
عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	س	عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	س	١	٢		
٢٣	٤١	٥٠	٤٠	٧	١٢	١١	٤٨	٢٩	٢٨	١١	٢٨	٥٥	٦	١	الأربعاء
٢٣	٤١	٥١	٤١	٨		١١	٤٨	٢٩	٢٩	٥٦	٢٩	٥٦	٧	٢	الخميس
٢٣	٤٢	٥١	٤١	٨		١١	٤٨	٢٩	٢٩	٥٦	٢٩	٥٦	٨	٣	الجمعة
٢٣	٤٢	٥١	٤٢	٩		١١	٤٨	٢٩	٢٩	٥٧	٣٠	٥٧	٩	٤	السبت
٢٣	٤٢	٥١	٤٢	٩		١٢	٤٩	٢٩	٣٠	٥٨	٣١	٥٨	١٠	٥	الأحد
٢٣	٤٢	٥٢	٤٣	١٠		١٢	٤٩	٢١	٣٠	٥٩	٣٢	٥٩	١١	٦	الاثنين
٢٣	٤٢	٥٢	٤٣	١٠		١٢	٤٩	٢١	٣١	٥٩	٣٢	٥٩	١٢	٧	الثلاثاء
٢٣	٤٢	٥٢	٤٤	١٠		١٣	٤٩	٢١	٣١	٥٩	٣٣	٥٩	١٣	٨	الأربعاء
٢٤	٤٢	٥٢	٤٤	١١		١٣	٥٠	٢٢	٣٢	٥٩	٣٤	٥٩	١٤	٩	الخميس
٢٤	٤٢	٥٢	٤٥	١١		١٤	٥٠	٢٢	٣٢	٥٩	٣٤	٥٩	١٥	١٠	الجمعة
٢٤	٤٢	٥٢	٤٥	١١		١٤	٥٠	٢٢	٣٢	٥٩	٣٥	٥٩	١٦	١١	السبت
٢٤	٤٢	٥٢	٤٥	١١		١٥	٥١	٢٢	٣٢	٥٩	٣٦	٥٩	١٧	١٢	الأحد
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٥	٥١	٢٢	٣٢	٥٩	٣٧	٥٩	١٨	١٣	الاثنين
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٦	٥٢	٢٢	٣٢	٥٩	٣٧	٥٩	١٩	١٤	الثلاثاء
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٦	٥٢	٢٢	٣٢	٥٩	٣٨	٥٩	٢٠	١٥	الأربعاء
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٧	٥٢	٢٢	٣٢	٥٩	٣٨	٥٩	٢١	١٦	الخميس
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٧	٥٢	٢٢	٣٢	٥٩	٣٩	٥٩	٢٢	١٧	الجمعة
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٨	٥٤	٢٦	٣٦	٥٩	٣٩	٥٩	٢٣	١٨	السبت
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٨	٥٤	٢٦	٣٦	٥٩	٤٠	٥٩	٢٤	١٩	الأحد
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٩	٥٥	٢٧	٣٧	٥٩	٤٠	٥٩	٢٥	٢٠	الاثنين
٢٤	٤٢	٥٢	٤٦	١٢		١٩	٥٥	٢٧	٣٧	٥٩	٤١	٥٩	٢٦	٢١	الثلاثاء
٢٤	٤٢	٥٢	٤٥	١١		٢٠	٥٦	٢٨	٣٨	٥٩	٤١	٥٩	٢٧	٢٢	الأربعاء
٢٤	٤٢	٥٢	٤٥	١١		٢٠	٥٦	٢٨	٣٨	٥٩	٤١	٥٩	٢٨	٢٣	الخميس
٢٤	٤٢	٥٢	٤٥	١١		٢١	٥٧	٢٩	٣٩	٥٩	٤١	٥٩	٢٩	٢٤	الجمعة
٢٢	٤٢	٥٢	٤٤	١١		٢١	٥٨	٢٩	٣٩	٥٩	٤٢	٥٩	٣٠	٢٥	السبت
٢٢	٤٢	٥٢	٤٤	١٠		٢١	٥٨	٢٩	٣٩	٥٩	٤٢	٥٩	٣١	٢٦	الأحد
٢٢	٤٢	٥٢	٤٣	١٠		٢٢	٥٩	٢٩	٣٩	٥٩	٤٢	٥٩	٣٢	٢٧	الاثنين
٢٢	٤٢	٥٢	٤٣	١٠		٢٢	٥٩	٢٩	٣٩	٥٩	٤٢	٥٩	٣٣	٢٨	الثلاثاء
٢٢	٤٢	٥١	٤٢	٩		٢٣	٥٩	٢٩	٣٩	٥٩	٤٢	٥٩	٣٤	٢٩	الأربعاء
٢٢	٤٢	٥١	٤٢	٩		٢٤	٥٩	٢٩	٣٩	٥٩	٤٢	٥٩	٣٥	٣٠	الخميس

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا من تسهيل الأمر عليهم ، وتغديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عفدنا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متمدن التوزيع مقدم ، وهذا بيان بالتمهدين

**القاهرة :** شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

**جدة :** الدار السعودية للنشر — ص.ب ٢٠٤٣ .

**الرياض :** مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

**الطائف :** مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

**مكة المكرمة :** مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

**المدينة المنورة :** مكتبة ومطبعة ضياء .

**عبدن :** وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

**الكتلا :** مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

**مسقط :** المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

**صنعاء :** مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

**تمشق :** الشركة العامة للطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

**الخرطوم :** الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣

**الاييض/السودان :** مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

**عمان :** الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب ٢١٥ .

**طرابلس الغرب :** مكتبة الفرجاني — ص.ب ١٣٢ .

**بنفسازى :** مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

**تونس :** الشركة التونسية للتوزيع .

**بيروت :** شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

**دبي :** شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

**ابو ظبي :** شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — السيد غازي بساط .

**الكويت :** شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩

**الدوحة :** سالم الانصاري — الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

## اقرأ في هذا العدد

١	المرب	حديث مع سمو ولي العهد
٨	من هدى السنة	للدكتور على عبد الممن عبد الحميد
١٤	القرآن وعلم الفلك (٢)	للدكتور محمد جمال الدين المندي
٢٣	الاسلام والمشكلة الاقتصادية	للدكتور محمد شوقي المنجري
٢٤	لييك (قصيدة)	
	تطبيق ورد حول مولد محمد صلى الله	
٢٥	عليه وسلم	
٤٢	المائدة	
٤٤	مجمع البحوث بين الامل والواقع	للاستاذ يحيى هاشم حسن نوغل
٥٢	موقعة المنصورة	للاستاذ محمد رجاء هنفي عبد المجلى
٦٢	التربية الجنسية للطفل	للدكتور وجيه زين العابدين
٦٧	فكرة الخير والشر (٢)	للدكتور محمود محمد قاسم
٧٧	ملاحظة في التقليد الحضارى	للدكتور عماد الدين خليل
	الاسرة الإنسانية بين عوامل البناء	
٨٣	ومعاول القضاء	للشيخ سعد المرصفي
٩٠	الحج فضله وفوائده	للاستاذ عبد الحسن بن هيد العباد
	المناسك وامكن طرق الحج ( كتاب	للامام أبى اسحق العربى : عرض
٩٤	الشهر )	وتعليق الأستاذ عبد العزيز جادو
٩٨	في بيت العنكبوت ( قصة )	للاستاذ محمد لييب البوهي
١٠٣	الفتاوى	
١٠٥	بريد الوعى	أعداد : عيد الحميد رياضى
١٠٧	باقلام القراء	
١١٠	قالت الصحف	
١١٢	الأخبار	أعداد الدكتور عيد المعطى بيومى
١١٤	مواقيت الصلاة	